من خطب سيادة الرئيس

رهانات وتحديات ثقافية متعددة الأبعاد

إن الدخول في ما يسمى بمجتمع المعلومات يؤكد ان الاتجاهات المؤثرة في النمو مستقبلا هي تلك المتصلة باحكام السيطرة على العلوم والابتكار التكنولوجي الى جانب سرعة تواصل المعلومة واستغلال الفرص التي يتيحها الانفتاح العالمي.

وقد رافقت التحولات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم في أواخر هذا القرن تحولات ثقافية شكلت امتدادا لعولمة الاقتصاد والتكنولوجيا والاتصالات.

ومما يزيد في أهمية التحديات الثقافية التي سيعرفها العالم خلال القرن القادم آثارها المتوقعة على جميع الاصعدة الفردية والمجتمعية والدولية بما يستدعي مقاربة دقيقة تجمع بين رصد الظواهر وتشخيص التحولات وتحليلها وإدراك أسسها وقوانين نشاتها وتطورها.

واعتبارا لتاريخ بلادنا العريق وارثنا الحضاري الرائد فقد توخينا مقاربة تنبع من مقومات شخصيتنا الوطنية وهويتنا العربية الإسلامية في إطار رؤية شاملة للنهوض بالانسان وتنمية المجتمع والارتقاء بالعلاقات الدولية الى مستوى الشراكة الحضارية من أجل وجود أفضل للإنسانية جمعاء.

وان بلادنا ترى أن تجسيم هذا الوضع الحضاري إنما هو مسؤولية مشتركة تتحملها جميع الدول والشعوب ومختلف المنظمات والهيئات العالمية مثلما تنهض بها النخب وهياكل المجتمع المدني في مختلف أرجاء العالم من أجل أن يظل الانسان حيثما كان قيمة القيم ورهان الرهانات يوفر له التقدم مزيدا من الحرية والكرامة والرخاء ويفتح أمامه مجالات جديدة للعمل والإبداع والتالق.

إن مسالة الهوية والتعددية الثقافية والحوار بين الثقافات ستشكل رهانات كبرى في بدايات القرن القادم وهو ما يتاكد باطراد في ضوء التحولات المتسارعة التي افضت إلى تقارب المسافات وانفتاح الحدود وتجانس الوعي والسلوك بما ساهم في بناء ثقافة عالمية يخشى أن تصبح مصدر هيمنة على الثقافات الوطنية وطمس لخصوصياتها والغاء للتنوع الطبيعي بينها وسيكون رهان التربية بناء على ذلك رهانا متعدد الابعاد معرفيا وثقافيا.

من خطاب في افتتاح أشغال الندوة الدولية العاشرة للتجمع الدستوري الديمقراطي
حول «تحديات القرن الحادي والعشرين ورهاناته» (4 نوفمبر 1998)

زين العابدين بن علي

الثقافة سند قوي للتغيير

لقد فسحنا المجال للشباب في كل الميادين للإسهام في عملية البناء للمستقبل، كما أولينا الطفولة عناية متميزة لنحت شخصية مواطن الغد وغرسها في أرضيتنا الثقافية والحضارية وإشباعها بقيم الاعتدال والتفتح وشحذ ملكات الإبداع والابتكار والمبادرة وإعمال العقل لديها.

وقد وفرنا لأبنائنا وبناتنا فرص التالق والتقدم في كل الميادين وإذ أخص من بينها ميدان الرياضة فإننا ننتظر الكثير منهم لبذل مزيد الجهد في سبيل رفع راية تونس خفاقة في مختلف ساحات المنافسة بما يعزز دور هذا القطاع في تنشيط الحياة الاجتماعية وصقل المواهب لدى الناشئة والإسهام في دعم المجهود التربوي في كل المستويات.

وإذ عملنا منذ التغيير على إحياء نسيج المجتمع المدني الذي شهد حركية متميزة قد بدأنا نلمس آثارها الايجابية في الحياة العامة فإننا ندعو إلى مزيد التوعية والتحسيس ونشر الثقافة الجمعياتية في أوساط الشباب الذي ما تزال مشاركته في هذه الفضاءات تستدعي الدعم والتعزيز.

إننا عملنا على أن تكون الثقافة سندا قويا للتغيير إيمانا بدورها الفاعل في ضمان التوازن وتاصيل الهوية والانخراط الفاعل في المحيط العالمي. وإذ نجدد التأكيد أن الفعل الثقافي عطاء لا يتوقف فإننا سنواصل فتح الآفاق أمام أهله ودعم النشاطات الثقافية من خلال تطوير التشريعات الخاصة بها والارتقاء بمختلف القطاعات الفنية إلى مستوى ما نصبو اليه من رفعة وامتياز.

من خطاب الذكرى الحادية عشرة للتحول

(7 نوفمبر 1998)

في زمن الشعر

هل انتهى زمن الشعر ؟

سؤال حيّر النقاد والشعراء، في السنوات الأخيرة، فأجابوا عنه، سلبا وإيجابا، خارج الشعر وداخله، وضربوا في جغرافية الشعر بحثا وتنقيبا، لكن السؤال تواتر ولم يسكن، رغم ازدحام خارطة الشعر بالشعراء، شيوخا وشبابا، تقليديين وحداثيين...

التساؤل سيحسم حتما، يوما ما، يوما يراه بعضهم بعيدا، ويراه الشعراء قريبا، بل رأوا ملامحه في الأيام الشعرية التي نظمها اتحاد الكتاب (10 ـ 13 ديسمبر 1998) رأوها معبرة بكلمات بسيطة بليغة : «لا... لم ينته زمن الشعر».

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك أن الأيام الاربعة ضاقت، بصباحاتها ولياليها، عن الشعراء الذين أرادوا قراءة نماذج من أشعارهم رغم مشاركة عشرات الشعراء... ضاقت عن أحباء الشعر الذين تابعوها بالانصات والنقاش... ضاقت عن كثير من القضايا التي يمكن طرحها حول الشعر واتجاهاته ومساءلاته وتجلياته... فكانت العينات المقدمة شعرا ونقدا وتحليلا ونقاشا، «غيضا من فيض» حقا.

جاءت هذه الأيام الثالثة تجاوزا للايقاعات الشعرية المتداولة فبثت في الساحة الشعرية إيقاع منزلة الشعر، وكانت، كما يقال، عن الشعر احيانا «مجازا أبلغ من الحقيقة»... التقى إيقاع الشعر في خياله بإيقاع اللغة وإيقاع إشراقات الحياة في واقعها الذي قال في ما قال «لا... لم ينته زمن الشعر».

هذا التراكم الشعري الحديث، بكل أشكاله وتياراته، أثرى التراكمات التي عرفها الشعر عبر شتى العصور والأحقاب، مبينا أن نبضات الإيقاع بين جغرافية الشعر وجغرافية الحياة جعلت اللقاء بين كافة التيارات الشعرية وأجيالها وبين الشعراء

والنقاد والباحثين وأحباء الشعر، تلاحما ثري المضامين والاشكال والتطلعات.

اثبت اللقاء أن الشعر في تونس صار ظاهرة تتشكل فيها معالم «زمن الشعر».

فهل عاد الشعر إلى موقع «ديوان العرب» ؟

هذا هو السؤال الجديد المنبثق من منزلة الشعر في تونس، على صعيد الكم وصعيد الكيف معا. سؤال تجيب عنه الأيام الشعرية بكثافتها وتلاقحها وتجاوزها لاطروحات الشعر في «ديوان العرب». فالشعر اليوم ليس عودة بأي صورة من الصور، بل هو امتداد لتطلعات الإنسان واستشراق لحاضر وجوده ومستقبله. هو إنسانيته الخالدة، المتقلبة، الثابتة، المتحولة.

الشعر في كل الحالات نبض الحياة وايقاع وجدانها، ولا حياة لإنسانية الإنسان من خارج جغرافية الشعر ونبض وجدانه وإيقاع أزمنته، قد تتغير لغة الشعر في معاجمها البلاغية وصورها الابداعية وقد تتغير الأسماء والمسميات وتتراكم الملابسات وتختفي اصوات وتتصاعد اصوات، لكن الشعر في جوهره حي لا يموت.

ومن هنا يكون «زمن الشعر» متغيرا بتغير درجات الابداع يضيق حينا ويتسع حينا، تماما مثل «زمن الشعر».

والكلمة الأخيرة دائما للشعراء لخيالهم الشعري، لكلماتهم الجميلة الصادقة، «لجنونهم العلوي»... للابداع الفاعل مطلقا.

فعلى قدر إبداع «زمن الشاعر» يكون «زمن الشعر».

المسار

رحيق القمر

الغربي المسلمي

كان بين الفتى والقطا
ألفةٌ ... وقَـمَـرْ
ورمادُ قبيلــــهْ
حين عنَّ الفتى للمدينــــهْ
عنَّ طائرُهُ مثلهُ للرَّحيـــلْ
لحظةً شاء جناحاهُ بعض الرَّفيفْ
رأى الأُفْقَ مُلقًى على وجههِ فبكى ...
وأعار الفتى
ريشةً... وفمًا نازفًا بالعويـــل
ثمّ قال : المدينةُ يا صاحبي يماماتُها لا تغنّي
المدينةُ يــا صاحبـــي
تطرحُ في الشُّرُفات القصيَـهْ
شهــيَّ العناقيــد
وأنا ما زلت بعدُ رهيَـف الهــوى
وسلالُ المدائن
مجدولةٌ بالشُّعَور العصيَـــهْ
يا فتى... امض لما شـئـتَ
المدينةُ وافدُهاَ قاتلٌ ... أو قتيـــلْ
أنا ها هنا... لستَ مـنّــي
فلي قمر في المساء الشَّفيف
يخاتلني برحيق ورشرشة من ضياء
على النَّخلة الطّارحـــهْ
سمائي تمطر شعرا
وتلك المدينة تمطر من ديمة مالحـــهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لي قطاتي
وريحانة على قدر ظلّي
وشيء من الطلّ
وبرّ المطاريح أغمسه في النّدى
وأغنّـــــــي...
الفتي قال : يا طائري «تَقَبْيَلْ» كما شئت في اللاّ رحيلْ
... أنا راحل
وبوسع المدينة أن تسعف الورد والنّخل والقبّرهْ
بوسع المدينة أن تألف اللّيلة الممطرهْ
بوسع المدينة أن تتدفّق بالإخضرار وتطرح من شجر الأرصفهْ
بوسع المدينة إن شاءت ابتردت على الغيمة العابــرهْ
وأن تلتقي
قمرا وتسمع منه حديث البراري
وتسأله عن صهيل الخيـولْ
أنا تارك الرّيح للرّيح
وتاركٌ خرّوبة حفرت على جذعها أسهما ووعـولْ
وتارك بيت خفيض بكى بابه على شفة التلّة الهامــدهْ
كان لي عنده شجنٌ بلون عباءة أمّي...
أنحلني ...
فلم يبق غير شحوبي... ووهج القصيـدهْ
المدينة ـ يا طائري ـ
... موغل في الرّحيل إليها أنا
على كتفي كلماتي...
وأزمنتي شجر عنبيّ الفصـولْ
بوسع المدينة يا طائري
أن تستريح على لغتي
وهذي الحروف تطير وتملؤها بالهديـــلْ ...

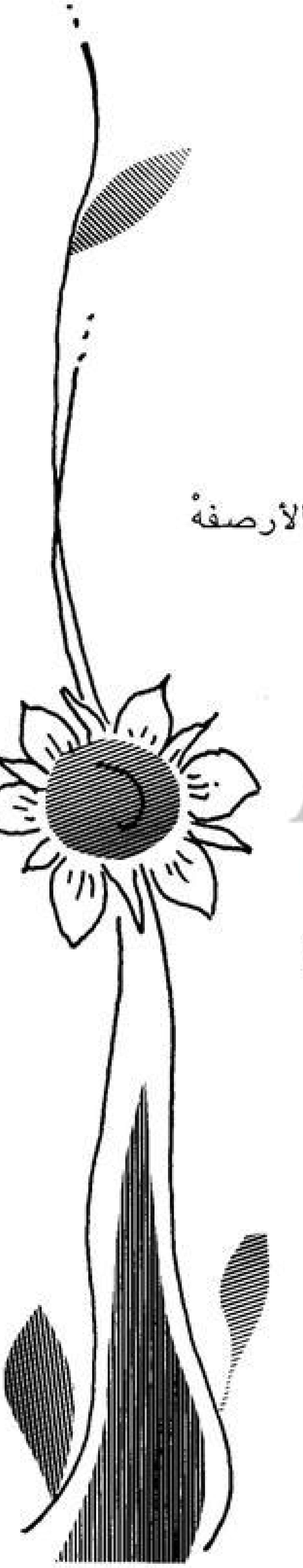

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

سيرة امرأة لا تقرأ الفنجان

قبل أن يرن جرس السادسة مساء لم يكن بمقدور رانيا التأكّد إذا ما كان الزّمن قد تعطّل، الساعات الأربع مضت متثاقلة وشاحبة كأنّها مشدودة إلى صخرة ثقيلة...

ما إن رنّ الجرس حتى هوت ذراعاها على المكتب وغامت الدّنيا أمام عينيها ولم تنتبه إلى ضجة التلاميذ وهم يبارحون القاعة ويتلهفون على الأدراج... الجرس، لا شك له مذاق الحلوى تتحلب له شفاههم بشوق واستعطاف...

ضغطت على أسنانها وهي تسجّل الدرس في كرّاس القسم، دفتر المناداة تردّدت في مراقبته ثم سلمته إلى التلميذة المسؤولة، أحسّت برعشة تستبد بها وتجرجر كيانها إلى هوة سحيقة... ما حدث لها يستدعي مراجعة الطبيب فهي لم تقو طيلة الساعات الأربع على التدريس إذ شعرت بخدر يندّس في مفاصلها ويعقد لسانها، في المرة الأولى انتفضت يدها اليمنى على السبورة وتطايرت قطعة الطباشير، كادت تسقط وتتلاشى لو لم تتماسك... انتدبت آخر طاقاتها وتمادت في الاحتمال...

هتفت إحدى تلميذاتها :

ـ سيدتي، ماذا حدث لك ؟... هل أنت مريضة ؟

ـ لا، لا شيء، لا تنشغلوا... قالت وهي تتهاوى على الكرسيّ...

كان بإمكانها أن تستأذن وتغادر المعهد، فهي لم تعد قادرة على

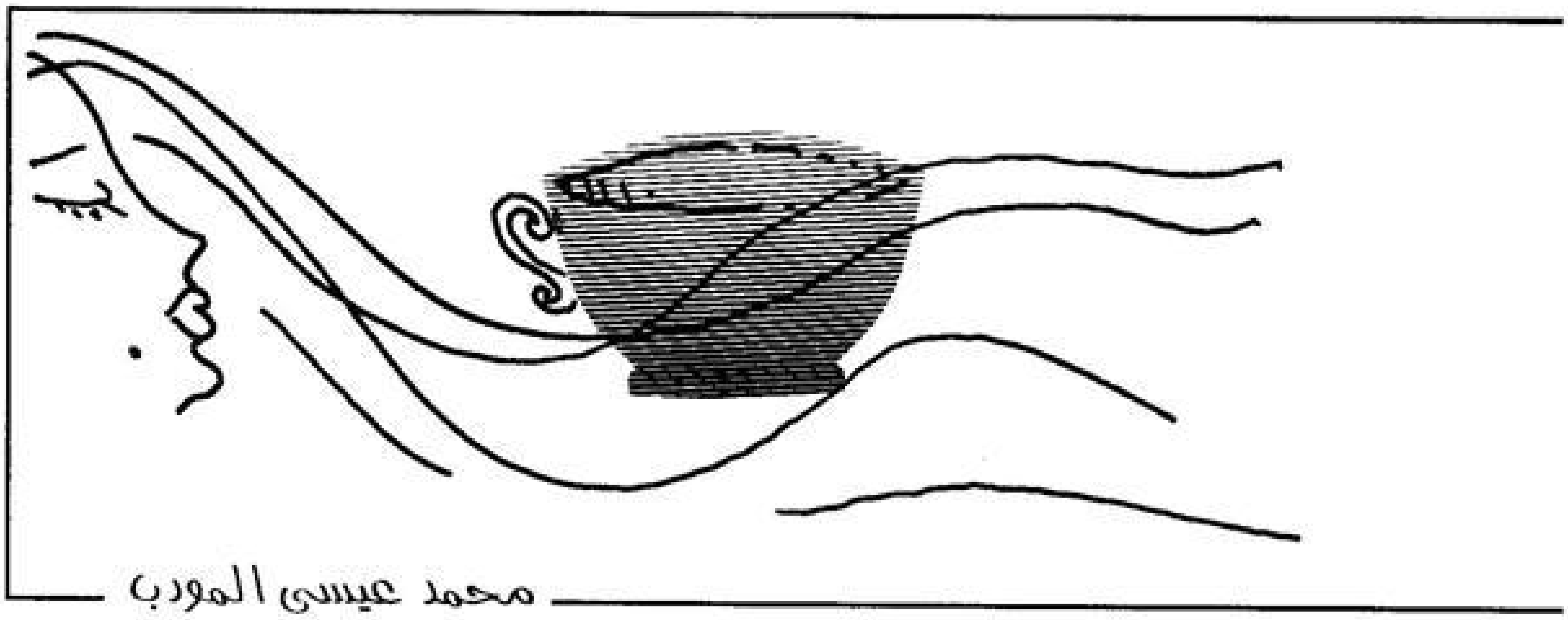

الوقوف، صـوتها أيضا تسلّخ وأضحى مـرتعشا ومرتبكا، ربّمـا خمّنت أن البـقاء مع تلامـيـذها أفضل من الـعودة إلى الشـقـة الباردة... لكم كـرهت جدرانها !.. لكم كرهتها !..

التلاميذ انتبهوا إلى تغيّر مـفاجىء في ملامح أستاذتهم، وجهها شاحب وضحكتها المـعتادة تلاشت.. ران عليهم الصمت وأحجـموا عن طرح أسئلة مرهقة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علّق أحدهم :

ـ أستاذتنا حامل...

لكزه آخر :

ـ كيف ؟.. زوجها مات منذ ثلاثة أشهر.. أنسيت ؟..

ـ وما المانع يا غـبي؟.. هي قادرة على الحمل حتّـى وإن مات قبل سنة..

هتفت تلميذة من مقعد خلفي وهي تمضغ الشوينغوم :

حين وصلت إلى قاعة الأساتذة لاحظت صديقتها هديل أستاذة الفرنسية المعروفة بانطوائها شحوبا غريبا يكتنف وجهها :

سألتها وهي تحدّق في عينيها :

ـ ما الأمر ؟.. عيناك حمراوان أيضا ؟...

ـ آه يا هديل. أحسّ أنّي فقّاعة تضمحلّ..

ـ هيّا بنا، هيّا يا رانـيـا، سـيـحـمـلـك ريـاض إلى المسـتـشـفـى..

ـ لا، لا تهوّلي الأمور، إنّي أتحسّن..

في الأثناء خاطبها أحد زملائها :

ـ هناك من ينتظرك أمام المعهد، ربما يكون أحد الأولياء ..

ترجلت نحو الباب الرئيسي رفقة هديل، فكرّت في الاعتذار للوليّ، لن تتمكّن من التحاور معه وقد تطلب منه أن يعود في يوم آخر، سيحدّق في وجهها ويفهم أنها لا تقدر على الكلام..

وقف قبالتها شيخ يرتدي معطفا أسود ، شهقت ، الشيخ ذاته الذي لاحقها في الثانية بعد الظهر، تعقبها في الأزقة الضيّقة حتى وصلت الى المعهد ولم تفهم ساعتها لماذا كان يصرّ على إخفاء وجهه بجريدة. من يكون هذا الشيخ الغريب ؟ ... هل هو متسول خجول ؟ هل ؟ في النظرة الثانية اكتشفت ان عينيه زرقاوان وفي جبهته آثار جرح قديم.. لاحقت عيناها أعلى عنقه ، الجانب الأيمن تحديدا ، اتسعت حدقتاها وشبكت يديها على صدرها حين عثرت على الشامة السوداء...

بكت عينا الشيخ وهما تتحسسان الوجه الشاحب، انفرج فكاه احتقن وجهه وانتفضَ هو الآخر فتح أزرار معطفه وهم باخراج شئ ما من أحد جيوبه..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاساتذة وهم يغادرون المعهد اثارتهم عاصفة الصمت والتلاميذ تصايحوا من بعيد لما تهاوت استاذتهم وتلقفها الشيخ الغريب بذراعين متلهفتين..

* * *

كان مزاجي سيئا عندما استفقت، سعال إحدى المريضات أفزع جفوني فلم أعد قادرة على النوم، جرّبت أن أنام على جانبي الأيسر، الأيمن لم أجرّبه وأنا أعلم أنّه مخرّب بالحقن، النوم على البطن يستثيرني أيضا لما أكون في غرفتي... هناك أنام على بطني عارية تماما...

وفي الحقيقة فإن شكل الحجرة أزعجني، مستطيلة ومكتظّة بالأسرّة، كان يمكن أن يخصّصوا غرفة صغيرة لكلّ مريضتين، وفي تلك الحالة ستكون للحقن نجاعة أقوى، ستتراكض السّوائل في الأبدان وتنتعش وتقاوم الآلام... في هذه الحجرة لا يحدث ذلك، الروائح العطنة والحشرات

تخذل كل الأدوية...

على ما أعتقد نمت تسع ساعـات، وكان يمكن أن أنام أكثر لولا السّعال.. الحقن، لاشكَ خدّرتني وخبّأت بعض آلامي في سوائلها...

أبي لم أجده بجانبي، أحتاجه ليتسمّع وقع أنفاسي ودقات قلبي.. منعوه، ربّما من مصـاحبتي.. لو كنت في مصحّـة لاختلف الأمر، سيخـصّصون له سريرا بجانبي ويشجعّونه على البقاء...

لماذا بحثت عني يا أبي؟ لماذا اقتفيت آثاري؟ هل سافرت إلى باجة؟ بيتنا تهدّم، قبع هناك منذورا للغبار والنفايات ومسكونا برؤى لعينة.. هل زرته؟ هل أبكتك الجدران المتداعية؟ من سلّمك عنواني إذن ؟..

لم أرك منذ ذلك اليوم الأرعن.. أتذكر يوم 10 ديسمبر 1978 ؟..

يومها كنت عائدة من المدرسة، أجري في الزقاق الحجري وأفتح ذراعيّ وأنا متلهفة إلى رؤياك يا أبي، مثـل الفراشة أتماوج وأرقص.. كنت أهفو إلى دغدغـاتك وقبلاتك، مـتشـوّقة كنت إلى شفـتيك وهما تنـدسّان في عنقي، عصير أنا من فرح وغبطـة بين يديك أشاغب الشامة السوداء في أعلى عنقك وأسبـح على صدرك.. هل فـعلت ما وعـدتني به؟ هل جئـتني بالدميـة التي أخبرتني عنها؟ قلت إنّها تتكلّم وتصيح مثلك..

الدّمـية لم تـصح يا أبي. وحدي صـحت وأنا أتسلّل إلـى غرفـة النوم... سقطت المحفظة من يدي، تهشمت قارورة الحبر في داخلها.. وجهك أسود، هل عرفتك؟.. ويداك محمرّتان، مجنونتان..

لماذا قتلت أمي يا أبي؟ لماذا مزّقتها أشلاء ؟..

لحمـا ودما حـضنتها وقـبّلتهـا، لم تسمعني وأنا أرتعـش على صدرها الدّامي، اللّحـاف الأبيض غـسلته أمـي وأوصتني بأن لا ألهـو به كي يبـقى ناصـعا لك.. وأنت، غـسلته بدمـائهـا، دماء أمي التي في الصّـباح مـشطت شعري وأحضرت لي قهوة الحليب ثم لاحقت خطواتي باتجاه المدرسـة..

ـ أمّك ساقطة.. قلت سارحا وصوتك مختنق.. خانتني مع ساعي البريد، خانتني أمك يا رانيا..

من دسّ في صفائك السمّ يا أبي؟ هكذا، ببساطة تحولت إلى سفاح، وأنا؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل فكرت كيف ستعصرني الدّموع وتضيق عليّ الليّالي الكئيبة ؟..

بقيت في المستشفى عشرة أيام كتلة من لحم مرتجف، لا أحد زارني غير أصدقائي في المدرسة.. آنستي مريم لم تتخلّف عنّي يوما، كانت تأتيني بالحلوى والملابس الجديدة، قبلاتها، لن أنسى دافئة وغامرة..

في اليوم العاشر أهدتني الأقدار أبا عظيما، حضنني بشغف ولهفة ثم قال :

ـ أنت منذ اليوم ابنتي، ابنتنا رانيا..

سي الناصر حرم من الأطفال، وكنت أنا ابنته..

لا أدري، أيهمك يا أبي أن تعرف ما حدث لي في منزلي الجديد؟ هل تذكّرت ابنتك في السّجن ؟...

عشت تسع سنوات في حضن أبي وأمي، لم أعرف غير الفرح والمرح، وكنت أكبر وأكبر في بيت لا يعرف إلاّ الدّفء.. ولكن، ما حدث يوم 22 جوان 1987 كان كارثة جرّتني إلى حزن أخرس..

هل علمت؟ يومها مات سي الناصر في حادث مرور سيّارة فظيع وأمّي جميلة لفظت أنفاسها في المستشفى..

ذهبا (هل كنت تفعل مثلهما؟) إلى المعهد للإطّلاع على نتائج الباكالوريا، سي الناصر رقص وغنّى حين استمع إلى إسمي ضمن الناجحين وأمّي جميلة زغردت طويلا في المعهد..

الحادث يا أبي قتل فيّ كل شيء ودفع بأشباح اليأس إلى ملاحقتي وتعذيبي...

في الجامعة كنت طالبة ساقطة، هل تعرف معنى أن أكون ساقطة؟ دخنت وشربت كلّ أنواع الخمور ورافقت الأصدقاء إلى شققهم.. لن تحاسبني الآن عندما أخبرك أني أجريت عمليتي إجهاض.. في الحالتين فضلت أن لا أرتكب حماقة في حقّ طفل بريء، عندما يسألني عن أبيه بماذا أخبره؟، هل أعطيه قائمة الأصدقاء ليختار أباه؟..

تذكرت كلماتك يا أبي فجرّبت أن أكون ساقطة..

كنت أعرف أنك في السجن لا تبعد عنّي إلا مئات الأمتار لكنّي تناسيتك

وأهملتك، بمجرد التفكير فيك تنبض أصابع يديَ بانفعال..
والآن يا أبي، الليْلة بالتحديد أنا علـى استعداد لاحتضانك، سـأحتضنك بعنف غير أنّي لن أنسى أنّك قتلت أمي...
أنا، أتدري؟ مشحـونة بوجه أمّي وأتشرّب ملامحـها بصورة لا إراديّة.. تحيط عنقي بذراعيها، تقبّلني بلا شفتين وتسألني دون صوت :
ـ لمَ يكسو الانفعال وجهك؟ كفكفي دموعك كي أرتاح ...
وتَقول لي بصفاء :
ـ أبوك لم يقتلني إلاّ لانّه يحبّني، يحبّني هل فهمت ؟
آخر عيد يا أبي كان عيد الأضحى، آخر عيد كنّا معا...
أنا لا أذكر إلا تلك المناسبة البعيدة، كلّ عيد تلاه كان جنازة...
يومها أهديتني قلادة ذهبيّة نقش عليها اسمان : ربيعة ورانيا...
بعد أن ذبحت الخروف قبّلت أمي من شفتيها في غفلة منّي، أنا راقصتني وداعبت أحلامي وصوري الوضيئة..
قالت أمي :
ـ أبوك رجل نادر يا رانيا، نادر يا أبنتي..
وقالت في ليلة كنت فيها غائبا :
ـ وقـعت في غرام أبيك من أول نـظرة، حضنني ثم خـطبني من شفـتّي وبعد سبعة أيّام تزوّجنا.. أتصدقين؟ سنحيا معا ونموت معا ...
وأنت يا أبي لماذا لم تمت؟ لمـاذا خنت أمي؟ ألم تعدها بأن تموتا مـعا؟ لا شكّ أنّك الآن ميّت، جـسد بلا روح.. عـينان زرقاوان، شفـتان متـيبّسـتان والمـعطف الأسود كـفنك فوق التـراب، أنت الآن مـيّت مثل أمي، لم أسـمع صوتك ولم أر لك شفتين.. طيّب، أين أنت؟ هل تخشى العقاب؟. تدرك إذن أنَّ السّجن لم يغسلك من أدران الخطيئـة فجئت مـتسربلا بالـخوف، لن يعلو صوتي ولن أعاقبك، فقط سأحتضنك وأقبّلك مثلما أفعل مع أمي...
أنتَبهُ من غفوتي على صوت ممرّضة :
ـ هل استفقت؟ كيف أنت الآن ؟...
قلت وأنا أتفرّس في وجهها المتغضّن :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ لا أدري، لا أدري..

ظلّت واقـفة قبـالة سريري تحـملق في ملامـحي باحتـراز، الرخيـصة تعـرفني دون شك لكنّهـا لم تكلّف نفـسهـا رسم ابتـسامـة على وجـهها، الابتسامة تلك قادرة على إنقاذ مريض مـن الموت.. ملامحها فظّة ونظراتها ترسل شررا غريبا، من أعلمها أنّها تصلح ممرضة؟ من ضحك على نهديها؟ هي لا تصلح إلاّ أن تكون ساقطة مـثلي، تتجاهلني وهي بالتأكـيد تعرفني.. في العادة يعـود التلاميـذ إلى منازلهم في اليوم الأول من السنة الدراسـية حاملين لقـائمتين: قـائمة الكتب وقائمـة أسماء الأسـاتذة.. وهي، أليس لها أبناء؟ هل درس عندي أحدهم فرسب أو طرد من المعهد؟.. أمْ مثلها لا تنجب أبناء صالحـين، تموّل الشوارع بالنشّالين والمـتسوّلين وماسـحي الأحذية وبائعي الفـول والسّجائر في البـارات، أنا كنت مدمنة على الـذهاب إلى أحد بارات تونس، أشرب وأرثي حـال الأطفال الذين يقفـزون من مكان إلى آخر وعيونهم عالقة بالعلب المنكمشة والصّحون الفارغة...

البائسة!.. تسمّرت أمامي، تلعنني وتتشمّت بي...

انكمشت ملامحي وأنا أسألها:

ـ ألا يوجد شيخ في بهو المستشفى؟..

ـ من؟.. شيخ؟.. ربّما، أنا لا أعلم...

قالت ذلك بانفعال ثم سارت نحو ممرّ طويل...

مضت ولم تمهلني لكي أطلب جرعة مـاء.. لماذا جاءت إلى الحجرة إذن؟ والرفيـقات؟ ألا يحتـجن إلى متابعـة ورعاية؟ حلقي جفّ والخدر حـفر من جديد خندقـا في مفاصلي، آلامٌ حادّة اجـتاحتني في كـتفيّ وجنبي الأيمن، انتابني شبـه دوار، تعرّق جبيني، لويت رأسي يمـينا وتقيّأت أشياء كـثيرة على الجليز المغبرّ...

شخيـر حادّ اكتشفتـه بجانبي الأيمن، امرأة عجوز، بيضـاء الشعر تنام على ظهرها منفرجة الفاه، المسكينة وجهـها بخار، تنهي أيّامها الأخيرة في المستشفى، لو كان زوجها حيّا لاستـبقاها في بيته لتموت بجواره، أمّا وقد مات فأبناؤها لم يحتملوا شخيرها، سارعوا بها إلى المستشفى ثم اختفوا...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا مثلهـا منبتّة الجذور، شـجرة ميّـتة، أبي بعد عشـرين سنة خرج من السّجن شـيخا ميّتـا ينقصه فقط أن يسـتبدل كفنه ويكتـشف ظلام التراب وجشع دوده، السّـجن لم يكن مظلمـا، نتف الضـوء تتخـاتل مـتناثرة ولا تموت، ودود السجن ليس كدود التراب، يظلّ في كلّ الحـالات محترسا من الجسد الحيّ، يتحايل ليقتـات من لحم مكشوف وغير محميّ، دود التراب لا يتحـايل ولا يغامر، مهـمّته سهلة، يقـف أو يقرفص أو يتمدّد كـما يحلو له، ينهش لحما لا ينافسه فيه أحد، ينهش ويسكر ويعبث ثمّ يهجع...

ترهّل بصري في الفراغ، تأمّلت السّقف والجـدران.. اللوحة المعلقة في صدر الحجرة بدت لي غائمة، استطعت أن أمـيّز الشّمس السّاقطة في البحر والسّمـاء التي لا شك أنّها زرقاء والشـاطىء الصّخري، في الجـانب الأيسر طائر يجـثم على إحدى الصّخـور حدست أنّه طائر السّـاف، من الواضح أنّ الرسّام مـبتدىء فـالألوان خالية من العـمق والذّوق، كان عليهم أن يطفـئوا الضّوء في الحجـرة حتّى لا أكتشف الأخطاء، فما مـعنى أن تكون الصّخور سوداء؟ وجناحـا الطائر بيضاويـن؟ إلى ماذا يرمزان. إلى السـذاجة أم إلى انعـدام الحسّ الفنّي؟ كان عـلى الرسّام أن يكون جـريئـا لا أن يكتفي ببـيع لوحته، فالفنّ لا يكتمل إلا إذا انبضت فيه عروق الجرأة...

اكتشـفت أنّي وقفت وسرت نحو النافـذة المطلّة على الجبل، تاج الرأس الطيّب، ووراءه يختفي البحر الأبيض المتوسط... من أشاع هذه التمسية؟ أي غبيّ هذا!.. لو سألوني عن رأيي لقلت : البحر الأسود الضعيف، لا أجد معنى للتّسمية إلاّ أنّي أجد فيها تسلية تعزلني عن الحرارة الخانقة، يقولون خالف تعـرف، وأنا في ليلـتي الطويلة التي أحسّ أنّهـا لن تـنتـهي أخـالف علمـاء الجيولوجيا والجغرافيا والبحار..

في فـترة خلتـها حلمـا ثخـينا استـمعت إلـى جلبة مـتعكّرة داخل أحد الممرّات، لم أستطع تمييز ما يحدث، فكرت في الوقوف من جديد واستجلاء الأمر، فالمشهد إن كان بائسا أو مفرحا قد يخفّف آلامي...

وصلني صوت مختنق :

ـ لقد مات...

ـ استدعي الحارس، ذلك الحيوان، كيف تغافل عن المصيبة؟.. أردف آخر..

مددت ذراعيَ، أحسست بالخدر يجمّدهما، لا أدري كيف جرت دمعتان كبيرتان على خديَ وبكيت في صمت...

لماذا تذكّرته؟ لماذا انثالت عليَّ كل الصور المتعكّرة؟ ها أني مرآةٌ مشروخة يتهافت عليَّ نمل مجنون ويسرّب في المنعطفات سخريةً عاوية..

لقد تزوّجت يا أبي، تزوّجت وترمّلت..

معك حق عندما تندهش، كيف لإمرأة ساقطة أن تتزوّج؟ دهشتك طيّبة يا أبي، ألا تعلم أنّ السّاقطات يظفرن بأزواج أوفر حظا ومالا من أزواج الشريفات؟ أنا لم أغنم صيد الساقطات بل صادفني صيد الشريفات فكنت منكودة الحظّ.. أجل، لم أفكر ولم أهادن الحيل، كنت إمرأة لا تقرأ الفنجان...

عندما عيّنت أستاذة اضطررت إلى تقمّص دور إمرأة شريفة. كنت حريصة على إتقان دوري فاحترزت من زملائي ومن كلّ الرجال، والحقّ أنّ المعهد بدا لي محرابا لا يجوز أن تدنّسه ساقطة مثلي، شهواتي رحّلتها إلى الصحاري، حاربتها لأفتّش في وجوه تلاميذي عن متعتي العظيمة، كنت مثل المحنّطة أدرّس وأعود إلى الشقة صحبة هديل وسناء...

رضا في الأثناء كان يلاحقني بسيّارته كل يوم، يفاجئني من حيث لا أدري بملامحه المرحة، اغتبطت خفية وخشيت أن تستيقظ شهواتي النّاريّة...

في أحد الأيام رتّبت أنفاسي وقواي وصرخت في وجهه :

ـ ماذا تريد أيّها الجبان؟.. أتحسبني ساقطة؟ (وكنت بالفعل أقنع نفسي بأنّي لست ساقطة).

لم يرتبك رضا ولم يحمرَّ وجهه...

ـ أحبّك قال ثم أردف : هل تقبليني زوجا ؟...

بعد أيام تزوّجنا غريبين، مثل أمّي غامرت ولم أقرأ الفنجان، غريبين انغلق علينا باب الشقة، لا أهل ولا زغاريد.. هو قاطع عائلته في بنزرت وأنا، أنا ماذا يا أبي؟...

عشنا معا سنتين ولم يكن رضا زوجا ولا رجلا..

لم ير فيّ غير جراية استاذة، ورضيت بذلك..

قال لي في ليلتنا الأولى وهو يترنّح :

ـ لا أريد أطفالا، هم لا يصلحون إلاّ للأشراف، فاحترسي من الأخطاء يا حبيبتي..

كدت أبصق على وجهه وأمزّق أمعاءه مهرّب المخدرات ذلك، أتصدق يا أبي ! ؟...

كانت ليالي الشقة ماجنة، تضجّ بالعاهرات والأوباش والخمور والمخدّرات، مخدّرات أجل في شقتنا، وكنت أحكم إغلاق باب غرفتي وأتلف صخبهم، الأنذال !..

ومع ذلك تصلني أصواتهم إبرا وسكاكين فأتقلّب مجنونة على السّرير ويستعبدني الأرق حتّى الصّباح...

يائسة فكّرت في قتل رضا،أوهمت نفسي بأن مصرعه يريحني، ألم تقتل أمّي يا أبي؟.. قتلتها لترتاح أليس كذلك؟ السّفلة كذبوا عليك، خدعوك، لعقوا طيبتك واستوطنوا أشباحا من نذالة في دماغك...

صارحني يا أبي، هل ارتحت ؟..

أمي لم تخنك.. ساعي البريد، أتذكره؟.. مات منذ عشر سنوات في حضن زوجته وهو يردّد :

ـ ربيعة زوجة محي الدين النّوالي لم تكن يوما عشيقتي.. إنّها، من يخبر زوجها وابنتها؟.. إمرأة شريفة.. أيّ خطأ ارتكبت؟.. كنت أسلمها خفية رسائل أخيها المنصف الهارب إلى إيطاليا...

أمي أبدا لم تخنك لكنّ رضا عفّر وجهي في الطين..

في إحدى الليالي كنت نائمة حين رجّتني طرقات عنيفة على باب غرفتي، الأوباش غادروا الشقّة فمن بقي إذن؟ ..

عندما فتحت الباب فاجأني جسد رضا وهو منطرح على الجليز، كان على مشارف الموت، ينتفض مثل كلب جريح، حرارة رأسه قاسية ووجهه كان مثل وجهك يا أبي أسود مغبرًا ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال لي الطبيب بنبرات صارمة :

ـ حالته خطيرة.. لست متأكدا من مرضه طبعا وسننقله فورا إلى مستشفى شارل نيكول..

مات رضا بعد شهر ولم أحزن، فقط شملتني عاصفة من بكاء مرّ لمّا أعلموني أنّه مصاب بمرض السيدا...

هل عرفت يا أبي حجم بؤسي الأرعن ؟..

كانت أيّامي مضغوطة بالحرمان والأنين..

فلماذا أقتفيت آثاري؟.. لماذا؟..

وأيّ إحساس شملك وأنت تراني بعد عشرين سنة ؟ لا تهمّني دهشتك وأرغب في رؤية دموعك..

أشتاق الآن إلى الموت وقبل أن يحصل ذلك دعني أقبّلك بلا شفتين وأختبر دفء حضنك..

*****

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أرقت هديل حتّى الفجر ولم تصدّق ما حدث، دخّنت كثيرا ولم تستطع أن تتفادى لحظات الضّجر، لو كانت سناء برفقتها لخفتت تشنّجات أعصابها وتخميناتها البشعة، لماذا سافرت إلى المهدية فجأة هي الأخرى؟...

ـ ليست حاملا.. قال الطبيب وهو ينظر إليها بإمعان ثم استأنف :

ـ أليس لها أهل؟..

هتفت بارتباك :

ـ تقريبا لا. وأنا أقوم مقامهم، رانيا أكثر من صديقة...

صارحني يا دكتور، لا تخفي عنّي شيئا ..

ـ حالتها خطيرة على ما يبدو، لا أستطيع تحديد مرضها الآن وسنضطرّ إلى استبقائها في المستشفى، سنجري لها فحوصات دقيقة وتلزمنا أيضا بعض الصّور بالأشعة...

حاولت أن تطمئنّ على حالتها غير أن الطبيب اعتذر...

في البهو استوقفها الشيخ، ربّتَ على كتفها وهو يغالب ارتباكا حادّا، وجهه متغضن تنهمل فيه خدوش حفرتها ليالٍ قاسية وعيناه تتّقدان ببريق

خامل..

نكس رأسه متمتما :

ـ رانيا، أهي بخير ؟..

من يكون هذا الشيخ الغريب؟ تساءلت.. ما شأنه برانيا؟.. ها هو يعود بعد أن تسبّب في الكارثة، ما إن رآته حتّى تهاوت، لماذا يسأل عنها؟.. هل يعتزم قتلها؟.. وجهه المتجهّم يوحي بالارتياب، هل هوّ مجرم؟. والصّورة التي بين يديه، هل جاء يساومها بها؟ يا له من نذل ! ..

قالت وعيناها مشرّعتان للسّقف :

ـ ما شأنك بها؟ ولماذا طلبت مقابلتها؟.. لماذا؟.. لماذا خلعت أوصالها؟..

انخرط الشيخ في نوبة بكاء، كاد يسقط، أسند يده اليمنى على الجدار، أعادَ الصورة إلى أحد جيوب معطفه وراح يسعل بشدّة، سمعته هديل وهو يهذي كالمجنون : قتلتها، قتلتها مرتين...

لم تنشغل بهذيانه واستبعدت أن يكون مجرما فهو لا يكاد يستجمع جسده، قد يكون معتوها شاءت الصدف أن يتسبّب في نوبة الصّرع التي أصابت رانيا، تهاوت على الأرض كوما من لحم يرتعش بقسوة، البائس ! .انبجس كالثعبان من تحت الأرض، ما الذي قاده إلى المستشفى؟ هل شعر بالندم؟ مثله، هل يعرف الندم؟ هو بالكاد لا يعرف إلاّ ضحالة الأزقة والطرقات، وقد يكون مخمورا استثارته رانيا، الشيوخ يعشقون التعفّن والانحطاط في آخر أيامهم، وفي نوبة التعفّن لاقاها، من ينكر جمالها في المدينة؟ فبعد موت رضا خطبها أحد الأثرياء لكنها رفضت بشدة..

قالت وهي تصلح أوراق الامتحان :

ـ يكفي ما حصل لي، لقد عشت فترة معتمة جدًا..

من يعرف سرّك يا رانيا؟ ومن يستوضح عتماتك؟، لماذا لم تبوحي بأسرارك ؟ ولماذا كنت صامتة، تفترسك المغالق الحديديّة ؟...

صباحا عادت هديل إلى المستشفى، اندهشت لمّا رأت رانيا على نقالة الإسعاف، وجهها لاح أسود مستسلما وجسدها ملفوف بلحاف أبيض،

سألت أحد الممرّضين والدّموع تتململ على خديها :

ـ ماذا حدث؟.. ألم تتحسّن حالتها ؟..

ـ مرضها خطير يا آنسة وسننقلها إلى مستشفى شارل نيكول..

حاولت رانيا أن تنهض، أصدرت أنّة ثقيلة لكنّها لم تقدر، رأسها نسي كيف يصعد واستسلم لخدر شرس، ضغطت على يدي هديل بحرارة وعيناها تسوحان بعيدا كالحالمة..

وقبل أن ينغلق الباب الخلفيّ لسيّارة الإسعاف هتفت ممرّضة ذات وجه متغضّن باتجاه رانيا :

ـ الشيخ.. الشيخ ذلك الذي مات البارحة سأل عنك وترك لك هذه الصورة، هل عرفته؟...

22 ـ 08 ـ 1998

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إصدارات جديدة

حـــرائـــق الآتـي

محمد بوحوش

سائر والحرائق تأكل خطوي
سائر في الخلاء البعيد..
لا مواسم تنقذني
لا زلازل تنبئني بالدّمار الأخير
أوصد الآن مملكتي
أصلب الأنبياء جميعا
وأبعثني من رماد اللّغات نبيّـا جديدا.
من الأرض أبدأ معجزتي
طارقا عتمات السّماء،
غازيا لغد سوف يأتي ويقــرأني..
آيتي : أن أرتّب هذا الزمان،
وأمحو تفاصيل صورته الواضحة،
أن أعيد بناء السّماء،
أصوغ من النار خلقا جديدا.
لست نوحا لأنجو
ولكنّني أغرق الخلق كي يستفيق المنامْ
شاسعٌ لا بلاد ولا سقف لي..
كائناتي الرّؤى،
والحروف ملائكتي،
نبراتي وصوتي..
أحد لا يراني
وإنّي أطل على ما أريد.

البحث
عن روح الطفل
الضائعة

مقدّمات لطرح الإشكالية "أدب الطفل"

١/ عن هذه الورقة، عن متاهة الأسئلة :

حين خامرتني فكرة المشاركة في هذه النّدوة، كانت بحوزتي قناعةٌ راسخةٌ بأنّي قادرٌ بلا شكّ على الكتابة في هذا الموضوع القريب منّي بشكل خاصّ، فأنا رجل تعليم وتربيّة عاشرت الأطفال سنينا طويلة وعلّمتني هذه المهنة كيف أتعامل مع الطّفل ثمّ إنّي تلقّيت تكوينا لا بأس به في علوم التربية والبيداغوجيا وأنا إلى جانب هذا كاتب وقد كتبتُ عشرات القصص والمسرحيات للأطفال زيادة على كوني أشرف على مجلة مختصة بالطفل.

غير أنّي عند الشروع في تحبير الورقة الأولى شعرتُ بعجز شبه تام عن بلورة الأفكار التي كنت أنوي طرحها وعن الإمساك بالسؤال الأهمّ للقضية الملقاة أمامي.

ولمّا تداخلت السّبل ويئست أو كدت من الوصول إلى مدخل يضمن لي مواصلة الحديث في الموضوع العام للنّدوة بدأت أهوّن الأمر على نفسي

---

* مداخلة قدمت في ندوة نظمها إتحاد الكتاب التونسيين حول «ندوة أدب الطفل والناشئة» يومي 10 ـ 11 اكتوبر 1998.

محاولة في فهم إشكالية أدب الطفولة في تونس*

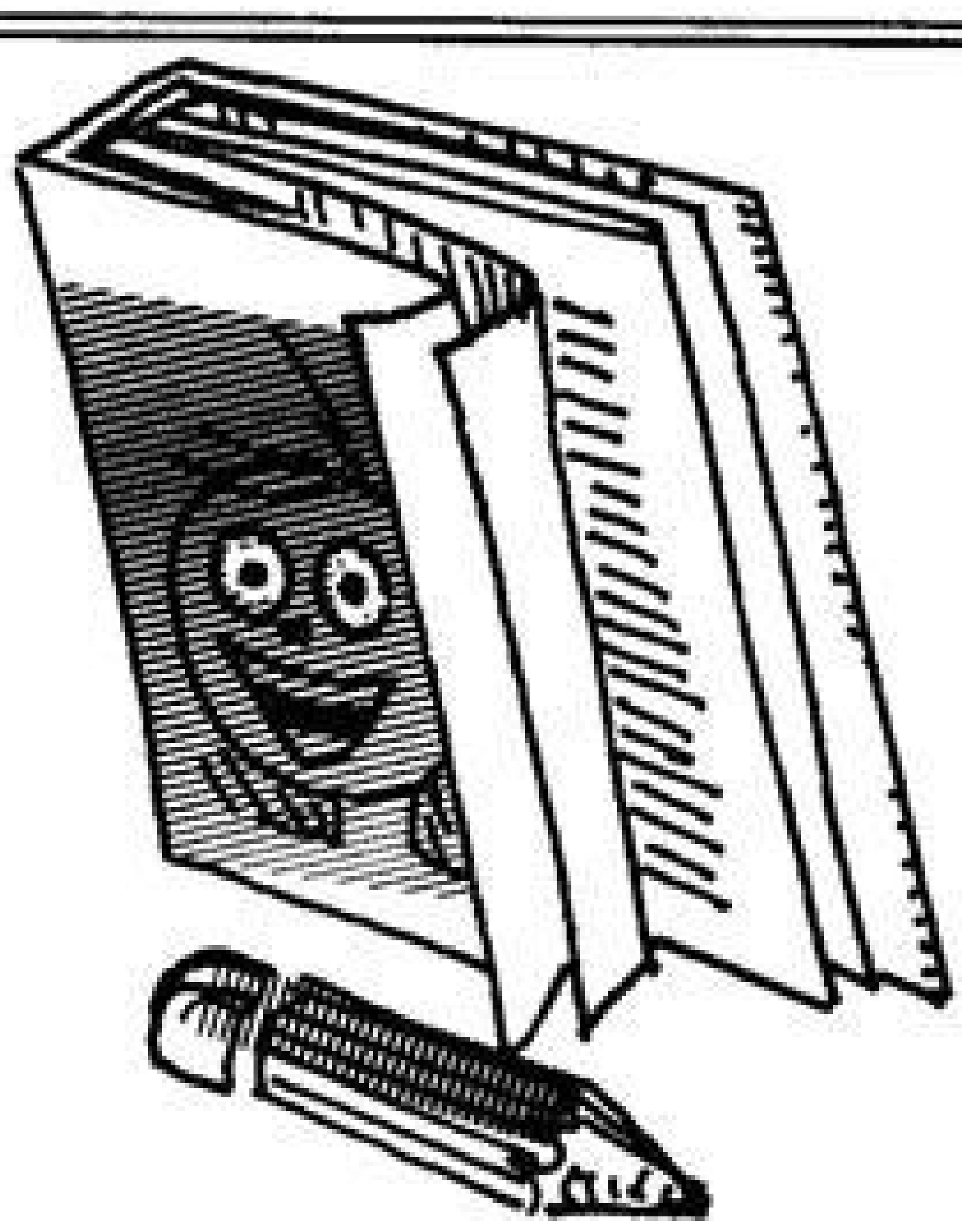

حافظ محفوظ

حتّى لا تضيع في حمّى الأسئلة العديدة التي نبتت كالأعشاب الوحشية حولي. فقلت إنّ الأمر لا يتعدّى صياغة مداخلة حول «أدب الطفل والناشئة في تونس» وما عليّ سوى كتابة بعض الخواطر وتزيينها ببعض الأمور النظرية المعقّدة التي تخصّ نموّ الطفل النّفسي وضرورة مواكبة الأدب لتطوّر هذا النموّ ثمّ أختم مداخلتي باقتراح بعض الحلول التي أنقلها من الكتب والمجلاّت أو ممّا تناهى إلى سمعي من الأسئلة التي تظلّ معلّقة هكذا دون إجابة... وسأجد التبريرات اللازمة لذلك وما أكثر التبريرات في هذا المجال.

وفعلا بدأت الكتابة وكان الأمر سهلا وتتالت الصّفحات لكنّي عندما أعدت قراءة ما كتبت وجدت أنّي أدور في حلقة مفرغة مررت عليها مرور الكرام وأنّي أخادع نفسي فتخدعني وتسهّل عليّ الأمر تسهيلاً والحال أنّ المسألة المعروضة في هذه الندوة في غاية الخطورة والدقّة وأنّ كلّ نظر إليها بعين الاستخفاف والتبسيط نظر قاصر لن يبلغ منها إلاّ الظّاهر وأمّا الباطن فيبقى بعيد المنال.

ـ إذن كيف السّبيل إلى إنجاز مداخلة في هذا الموضوع ؟

ـ ماذا نعني بـ «أدب الطّفل» ؟

1/ ـ هل ثمّة فعلا أدبٌ يخصّ الطّفل وحده ولا يخصّ الكهول وغيرهم؟

ـ هل نعني بكلمة «الأدب» «الأدب المسموع» و«المشاهَد» عبر الأجهزة الحديثة كالتلفزة والفيديو وأجهزة الإعلامية والأنترنات وغيرها ؟

2/ ـ أيّ طفل نقصد ؟ والحال أن كلمة طفل تعني أكثر من شخص، وهي تعني كلّ إنسان يتراوح عمره بين (0 و 18 سنة)

ـ هل ما يكتبُ في بلادنا من أدب موجّه للطّفل

(قصّة، شعر، سيناريو لسلاسل مصوّرة BD ، مسرحيات، سيناريو صور متحركة...).

ينتمي فعلا إلى ما يسمّى بأدب الطّفل وإن كان كذلك هل يمكن القول إنّه يناسب الطّفل في هذه المرحلة الرّاهنة التي تشهد تحوّلات كبرى في ميادين التربية والاتّصال، هذه المرحلة التي يطلق عليها بعضهم تسمية «مرحلة الحداثة أو ما بعدها» ؟.

ـ ما الذي يدعو إلى طرح هذه المسألة ومراجعة الإشكاليات الحافة بها ؟

ـ هل ما يكتب للأطفال في تونس اليوم في شتّى المجالات قادرٌ على خدمة الطّفل التّونسي وجعله قادرا على مواجهة النّمط المجتمعي المعقّد والوافد عليه من الغرب ؟

ـ من المسؤول عن أدب الطفل ؟ هل هو الكاتب وحده أم أنّ المسؤولية تشمل كذلك الكهول بشكل عام من مربّين معلّمين وأساتذة والمنشطين في رياض الأطفال والحضانة والنّاشرين والرّسامين وأصحاب القرار بدءًا بمسيّري الفضاءات الثقافية وصولا إلى واضعي البرامج الرّسمية وغيرهم ؟

يمكن أن تتواصل الأسئلة إلى نهاية هذه المداخلة لنصل / في النّهاية / إلى متاهة حقيقية، لكنّي أطرح هذه الأسئلة لنتبيّن مدى تعقّد المسألة المطروحة وتشعّبها ولأخلص إلى موضوع مداخلتي :

«البحث عن روح الطّفل الضائعة» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نسأل في بداية هذه الورقة * هل وقع سبر آراء علمي ودقيق في وسط الأطفال حول آرائهم فيما يُقدّم إليهم من أدب ؟

* إنّ كلّ ما نطلبه من الطفل هو «لخّص القصّة» «أجب عن الأسئلة» «ما هي المواضيع التي تطرحها القصّة ؟» وما شاكل هذه الأسئلة.

- تشجّع اتفاقية الأمم المتّحدة لحقوق الطفل لسنة 1989 على إنتاج كتب الأطفال ونشرها. (أنظر النقطة ج من المادّة 17) .

لكنّ من حقنا أن نسأل أيّة كتب تلك ؟

- هل هي الكتب التي لا هدف من وراء نشرها إلاّ الرّبح المادّي ؟

- كم كاتب أو ناشر عرض منتوجه على مختصّين في اللغة والتربية وعلم النّفس ثمّ على الأطفال قبل نشره ؟

- كيف يكون بإمكان الوليّ أن يقتني كتابًا لابنه وهو مطمئنّ كلّ الاطمئنان على سلامة هذا الكتاب وجدواه ؟

I ـ الأدب المكتوب للطّفل في تونس :

1 ـ في وصف المشهد العام :

إنّ الشّكل الطّاغي في أدب الطفل في تونس هي «القصّة» وبالاعتماد على إحدى الاحصائيات العلمية نلاحظ أنّ عدد القصص المنشورة في كتب مستقلّة ومن إنتاج كتاب تونسيين يبلغ 1500 ق في الفترة ما بعد الاستقلال .

في حين أنّ عدد المجموعات الشعرية لا يتجاوز 50 مجموعة شعرية (أنظر مثلا دراسة الأستاذ محمد البدوي، أزمة الشعر التونسي المكتوب للأطفال).

ومنه هذا الشاهد : «والشعراء المعروفون على السّاحة لم يكتبوا للأطفال بآستثناء عدد قليل جدًا، أما القصائد المنشورة فلا تكاد تتجاوز أربعة أغراض شعرية هي : المدرسة والعائلة والوطن والطبيعة... وتتشابه أغلب القصائد وتتكرّر معانيها أحيانًا عند نفس الشّاعر وقد تحمل في طيّاتها

هموم الشعراء الفكرية والسياسية أكثر ممّا تعبّر عن رؤية الأطفال للأشياء.

وقد نفسّر حالة الكتابة الشعرية للأطفال بسبب غياب النّقد ولأنّ الشّعراء ربطوا بين ما كتبوه ومحتوى البرامج الرّسمية في مختلف المستويات وقد صرّح العديد منهم بأنّهم كتبوا القصائد لتساعد رجال التعليم في عملهم التربوي...»

* * *

أمّا المسرحيات المنشورة في كتب فإنّها لا تكاد تذكر لندرتها.

* * *

حتى إذا اعتبرنا الوسائل الأخرى في نشر الأدب المكتوب للطفل كالمجلاّت المختصّة مثلا فإنّ ملاحظاتنا اللاّحقة سوف تظلّ ذاتها بأعتبار أنّ ما يمكن قوله في المادة الأدبية المنشورة في كتب هو ذاته الذي يمكن قوله في المادة المنشورة طيّ هذه المجلات (عرفان - الرّياض - قوس قزح - علاء الدّين - ياسمين - فراشة...). ونخصّ بهذه الملاحظات المكوّنات السّردية أوّلاً ثمّ طرائق عرضها وتقديمها.

* * *

من أجل أستجلاء هذين العنصرين انتخبنا مجموعة من القصص المنشورة في تونس على فترات تاريخية ولكتّاب مختلفين ولدور نشر تونسية :

1) المفاجأة : تأليف محمد سلاّم، رسوم حمدة ومنصف نشر دار بوسلامة سنة 1982.

2) الضحية : تأليف عبد الجبار الشريف، رسوم المنجي معتوق، دار التقدم.

3) النّجار الحاذق، تأليف الهاشمي بن صوف، الدار التونسية للنشر.

4) من القاتل ؟ : تأليف علي اللطيف، رسوم عبد الرحمان الباجي،

مطبعة الخليج ـ الحمامات.

5) أحمد المدفعي ولطيفة سالم عزّوز : "Chahzad" La femme du bucheron

6) - La petite fille aux allumettes (d'après le conte d'Anderson).

7) عنز قيسون تأليف محمد العروسي المطوي، الدار التونسية للنشر/ 1988 ط 11/ 15300

8) نافع : تأليف محمد سلام، رسوم حسين بن عمّو، منشورات عرفان د. ت.

9) القبّرة مسعودة والفيل همهوم : تأليف بشير السعيدي، رسوم محمد المزّي ـ الرياض 1998/ 10

10) القبّرة والفيل لرؤوف بن ناجي ورسومه ـ قوس قزح ـ 1998.

أهمّ ما يمكن أن نلاحظه في خصوص هذه الكتب :

1 ـ هي كتب موجّهة لأطفال يحسنون القراءة والتأويل.

2 ـ اثنان منها ذات موضوع بوليسي.

3 ـ واحدة منها مقتبسة / ثلاثة من كليلة ودمنة.

4 ـ اثنان منها ذات شكل مسرحي.

5 ـ لا وجود لأي شيء يشير إلى صنف الأطفال الموجّهة إليهم.

6 ـ الأماكن المذكورة في القصص لا علاقة لها بتونس الآن وهنا ما عدا واحدة.

7 ـ واحدة من هذه القصص أبطالها حيوانات.

8 ـ الصّور المصاحبة للنّصوص خالية من أية جماليات بل يمكن القول إنّها تسيء للذائقة والموضوع وغير مدروسة.

9 ـ قصّة شاه زاد ـ موضوعة أساسا لهدف مدرسي فكأنّها دراسة نصّ في شكل كتاب ـ (كاتبها مدير مدرسة).

10 ـ قصّة من القاتل قصتها عجيبة وغريبة فإلى جانب ضحالة

مستواها اللّغوي والأسلوبي وشكل رسومها التّافهة. فإنّها تحتوي على أسئلة يجيب عنها الطفل القارىء. (قراءة هذه الأسئلة والتعليق عليها).

استنتاجات

ما هي الفائدة الحاصلة للطّفل بعد مطالعة هذه الكتب؟ لا شيء بل العكس هو ما سيقع له فهي قصص بعيدة عن حياته وعن واقعه وعن خياله الجديد ولا تخاطب فيه أيّة ملكة إبداعية وتعود به إلى الوراء (عصور الخرافة والتلخف والسّذاجة في حين أنّه يطمح كلّ الطّموح إلى فهم ما يجري حوله من تقدّم علمي وتكنولوجي ومن مظاهر اجتماعية يراها يوميًا.

زيادة على أنّ هذه القصص (فيما عدا واحدة) لا تحترم هشاشة نفسية الطّفل وسرعة تأثّرها بما يواجهها. ولا تقدّم له لغة جميلة تحبّبه في لغته وتقرّبها إليه فهي لغة جافة خالية من الشاعريّة بعيدة كلّ البعد عن بلاغة اللغة العربيّة وبيانها وسماحتها.

* وهي بالتّالي خطرٌ يهدّد هذا الطّفل علينا أن نتصدّى له.

* أقترح في هذا الشأن أن تكون لجان مختصّة تضمّ مربّين وكتّاب ومختصّين في عالم نفس الطّفل ورسامين يكون من صلوحياتها تقويم الأعمال الموجّهة للطّفل وإرشاد أصحابها إلي ما من شأنه أن يفيد ويضيف.

2 ـ جناية كليلة ودمنة على أدب الطفل

كلّنا يعلم ما لمؤلف «كليلة ودمنة» من مكانة في التّراث الإنساني بشكل عام فهو كتاب جليل المقام عظيم الفائدة ولا فائدة من تعداد شمائله وعلاقة العرب به، غير أنّ اللاّفت للانتباه والمثير للسؤال هو مدى تشبّث عدد كبير من كتّاب الأطفال بصياغة قصص على نحو قصصه تنتهي عادة بعبرة أو حكمة أو درس أو ما شابهَ .

الأبطال حيوانات تتكلّم وتفكّر وتحسُّ وتتعلّم الحياة كما الإنسان تماما. (كان ذلك شكلا مستحدثا مستطرفًا فيما مضى) وقد أشبعه الكتّاب تقليدًا

ومسخًا واقتباسًا...

وأنقصوا منه أو زادوا عليه وأنتجوا لنا ما لبّدَ الملكات التخييليةَ للطّفل وأشاعوا فيه ما يمكن أن نسمّيه (المثال الطّاغي) الذي شلّ تفكيرنا لأحقابٍ طويلة.

* يكفي من الحيوانات نملأ بها أرواح أطفالنا وعقولهم.

- يكفيهم من العبر والنّصائح البائدة التي أضرّت بنا قبلهم فلاقصّةَ خالصةً فسيفساء من الجماليات ومفاتيح لأبواب الحريّة والخيال والذّات وليست درسًا في التّربية الإسلامية وأخلاق السّلف الصّالح.

لقد تجاوز كتاب قصص الأطفال في العالم هذا (المثال الطّاغي) واكتسحوا مناطق أخرى من الأدب ما تزال عذراء وخصبة.

وليس من العسير على كتّابنا أن يبدعوا لنا ما أبدع الآخرون لكن على شرط أن يتعلّموا الانتباه والانتباه جيّدًا إلى الأطفال. ثمّ يستمعون إليهم في وضعيات الطّلاقة البعيدة عن عالم المدرسة والقسم والبيت وقوانينه.

سيلاحظون أمورًا جديدة ومدهشة.

فعلاقة الطّفل بعالمه الذي يعيش فيه ليست على ما يُرام. وعلاقته بجسده كذلك وعلاقته بعائلته ومن يحيط به وعلاقته بضروب من المنشآت العلمية والتربوية ليست كما نتصوّر.

* فلنستمع للطّفل ولنفهم عالمه قبل أن نفكّر في الكتابة له.

إنّ كلمة «طفل» الجميلة الوديعة المطمئنّة كلمة مخيفة أيضًا لأنّها تعني «المستقبل» وكيفما قلّبت هذه الكلمة وجدت بها ضروبًا من الإشكالات ووجوها من التحدّي عديدة. أوّلها تحدٍّ لذواتنا وذلك من خلال تدريبها على التعاطي مع الطّفل باعتبار أنّه ذكيٌّ وجديرٌ بأن نأخذ رأيه ونشركه في شتّى مجالات تفكيرنا وعالمنا حتّى يقترب منه أكثر وينسجم معه وحتّى يتجاوز العقد التي قد يتسبّب فيها جهلُنا به وحتّى نؤهله ليعيش عصره وتحدّياته.

3 ـ هوامش وملاحظات :

أ ـ قبل أن نقدم الكتاب للطّفل ليقرأه علينا أن نقدّمه إليه كجسم أليف (هذا يبدأ قبل أن يتعلّم القراءة) . أنظر بحوث الأستاذ غازي شقرون مثال (الكتاب المجلّد)

ب ـ ثمة تجارب رائدة في مجال الكتابة للطّفل أثبتت جدواها والمتمثّلة أساسا في «الورشات» وفيها يكون الكتاب نتيجة أشغال عديدة متنوّعة، للكتّاب والرّسامين والأطفال.

"Raconte moi la rue"

* neuf contes pour lutter contre le sida

Par : tahar Ben Jelloun, Jeanne Bourin, Bernard clavel, Regine de Forges, Alexandre Jardin, J.M.G. Le clezio, Patrick mondiano, Erik orseenna, Claude Roy.

160 p. disney / HACHETTE. Edition

• La Rue du Soleil •

أمّا في خصوص تقديم الكتاب إلى الطّفل فإنّه لا يقع إلاّ في مرحلة متأخرّة من الطفولة (عند الدّخول إلى المدرسة) في حين أنّ علينا أن نهيأ أطفالنا عبر تعويدهم على التعامل مع الكتاب منذ الأشهر الأولى من ولادتهم (8 ـ 10) ليكم أنّ الطفل سيضع هذا الكتاب في فمه (المرحلة الشفوية).

ينصح علم النفس بصناعة كتب من القماش أو من المقوّى البلاستيكي - carton plastifié - ولا بدّ من اختيار مواد لا تضرّ بصحّة الطفل. ثمّ في (المرحلة الحركية) يمكن إضافة تجسيمات لبعض الأجسام الأليفة ليتمكّن الطفل من لمسها ومقارنتها بالواقع ثمّ تدريجيًا يمكن إضافة أشكال عناصر طبيعية كالشمس والقمر والنجوم مع إضافة عناصر إحيائية عليها كأن تصبح الشمس وجها بشريا وهذه العمليات تؤهّل لدخول مرحلة ثالثة لتعامل الطفل مع الكتاب وخاصّة إن تواجد في مؤسسة تربوية

مختصّة وذلك إلى حدود ستّ سنوات.

إذن إن مراعاة مستويات ـ الطفل العرفانية ـ عبر مختلف أشكالها الحسية والحركية واللغوية منذ مرحلة ما قبل الدراسة يحقّق إقبالهم فيما بعد على الكتاب في أشكاله الخطية والرّمزية. ـ اعتمدنا في هذا العنصر على بحوث الأستاذ غازي شقرون ـ ويؤهلهم لدخول مرحلة القراءة حيث يدخل القّص المقروء .

ب ـ القص المقروء :

تدخل في هذا النّوع أشياء جديدة هي (النّص المكتوب) أساسا وهو الّذي يعوّض الرّاوي (المرئى) [الجدّة، الجدّ...] فيأخذ مكانه راوٍ لا يُرَى لكنّه يسرد (يحكي حكاية ويرسمها برموز نسمّيها الحروف والكلمات والجمل والتي تتطلّب معرفة مسبّقة من قبل الطّفل لفك رموزها).

وهنا على خلاف النّوع الأوّل من القصّ يتدخّل (النّص) ويظهر كوسيط بين الرّاوي والطفل بجميع ملكاته القديمة والجديدة. نقول ملكات قديمة ونقصد بها الخيال واللاّوعي والجديدة ونقصد بذلك ملكة القراءة والفهم الظّاهر للغة القصّة ومكلة التأويل وهي التي تعوّض ملكة المحاكاة.

إذن فبالقدر الذي كان فيه النّوع الأوّل لا يحتاج إلى امتلاك مهارات لتقبّل القصّة يحتاج النّوع الثاني إلى هذه المهارات ويمكن تلخيصها فيما يلي :

ـ القدرة على قراءة النّص . (تحتاج إلى تعلّم مسبق) دور العائلة والمعلّم والأستاذ.

ـ القدرة على فهم لغة النّص (تحتاج إلى تعلّم أسلوب ربط الكلمات بمعانيها داخل نسيج النّص على آعتبار أنّه وحدة مفككّة إلى أجزاء متفرّقة).

ـ القدرة على التأويل . (تحتاج إلى امتلاك قدر معيّن من الخيال الموازي للقراءة والخيال المولّد للخلق والابتكار والإبداع).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلي جانب مـا يحتاجه الطفل من مـهارات للتعـاطي مع المكتوب (النّص) فـإنّ هذا الأخيـر يحتـاج إلى عناصر تـعاضـده على بلوغ أهدافه نذكـر من بينهـــا :

1 ـ سهـولة القراءة البصـرية (وضوح الخطّ، لغة سليـمة من الأخطاء، الجماليات التعبيرية)

2 ـ انفتاح النّص على مساحات تخييليّة

(ملاءمته لمناهج التشويق والترغيب في القراءة)

(تخيّر الحكاية من حيث استرسالها في المكان والزمان)

(أسطرة الأحـداث وجعلها تـمتح puiser من اللاّوعي الجـمـاعي ومن رغبات الأطفال في التعبير عن رغباتهم).

3 ـ جماليات تقديم النّص : (الشّكل الخارجي للكتاب)

(نوع الورق المستعمل)

(الاستعانة بالصّورة والرّسم لتدعيم العنصر السّابق)

(التوزيع البصري للنّص والصّورة على مساحات الكتاب)

* طبعا كلّ هذه العناصر لا تشفع للنّص ضعفـه أو ضحالة محتواه ففي كلّ ما ذكرنا نقـصد النّص المتكامل الذي يوفّر الجانب الجـمالي والإيحائي واللّغوي اللاّزم.

* نشـير إلى أن تـسعـة كـتب من عشـرة من التي تنشـر اليـوم للطفل التونسي لا تسـتجيب لمـا ذكرنا من العناصـر الأسـاسية لـمكوّنات الكتاب الصالح.

* نلاحظ كـذلك أن أغلب مـواضـيع القـصص المنشـورة في تونس لا تساير تطوّر المـجتمع التـونسي ولا تساند مناهج التربيـة فلا بدّ أن يكون الأدب مواكبا لتطوّر المجتمع الذي ينشأ فيه ولتطوّر العلوم وهي المسؤولية الكبرى التي يواجهها أدب الطفل بآعتبـاره عنصرا من عناصر التربية وعليه أن يتوفّق في الاضطلاع بها من أجل صالح الطّفل والمجتمع.

خاتمة :

وخلاصة القول هو أنّ ميدان (أدب الطفل) يحتاج إلى مزيد من العناية به طبعا دون أن نغفل فضل بعض التجارب في تونس تلك التي يسعى أصحابها إلى الأفضل والأصلح للطفل لكنّنا لا نجد مهربا من التحذير من الخطر الذي ينجم عن التّساهل الموجود في الكتابة للأطفال وهي لعمري من أعسر الأمور.

والله وليّ التوفيق.

المراجع

* التربية في مجتمع يتطوّر ـ الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ (نصّ محاضرة ألقيت في دار الثقافة ابن رشيق يوم 9 مارس 1973. نشر بمجلة الفكر ـ أكتوبر/نوفمبر 1973.

1 ـ إشكالية مفهوم الطفولة في التراث العربي الاسلامي : أحمد شبشوب (الحياة الثقافية عدد 67/ 68) ماي 1994 . صفحة 119.

2 ـ الهوّامات والأساطير والحكايات الغرائبية ومسرح الطّفل ـ زهير هاشمي ترجمة عبد العزيز بن عرفة ـ الحياة الثقافية ماي1994.

2 نفس المصدر.

4 ـ نفس المصدر.

5 ـ أحصى النّاقد محمد البدوي عدد القصص والمجموعات الشعرية فكانت 1500 قصّة و50 مجموعة شعرية تتلخّص أغراض قصائد هذه المجموعات في أربعة (المدرسة ـ العائلة ـ الوطن ـ الطبيعة) (فصول ـ حيوانات ـ طيور ـ أشجار ـ زهور) وتتشابه أغلب القصائد وتتكرّر معانيها عند نفس الشاعر وقد تحمل في طيّاتها هموم الشعراء الفكرية والسياسية أكثر ممّا تعبّر عن رؤية الأطفال للأشياء وقد نفسّر حالة الكتابة الشعرية للأطفال بغياب النقد ولأنّ الشعراء ربطوا بين ما كتبوه ومحتوى البرامج الرسميّة في مختلف المستويات وقد صرّح العديد منهم بأنّهم كتبوا القصائد لتساعد رجال التعليم في عملهم التربويّ وقد يفسّر الأمر بسبب غياب تقاليد قديمة في كتابة للأطفال فالشعر العربي رغم حجمه الكبير وقيمته لا تجد فيه قصائد مكتوبة للأطفال وتذكر الأخبار أن «المفضّل الضّبي» جمع مختاراته «المفضليّات» لتأديب بعض أولاد الخلفاء. فالكتابة الشعرية للأطفال حديثة النّشأة (وينبغي أن يميل إليها الشّعراء دون النّظر إلى توظيفها تربويّا فحسب بل لخلق جماليات جديدة في النّصوص المكتوبة للأطفال.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لعب

عبد الستار العبروقي

لعب سفري ؟
أم ترى حلم بعثرته المرايا
صدى جذوة،
يتدحرج ثلجًا
بجوف الأرق ؟
***

ربّما أفق
يتأرجح بين الحروف
ثنايا وأسئلةْ
لم تجد بعد أروقة،
لعبور النفقْ
***

قد يكون شجا وتر غاضب ؟
كرهته الرسوم
يحاول طرد الفراغ
ونبش الورق
***

ليس لي أن أجيبَ
أقول فقط
ربّما سفري نتف وخلايا ؟
على راحة الاحتمال تمور
خيولا وأجنحة لا تروم الحصار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نضت صمتها

رغبة في الشغب

***

هل أواصل هذا اللعبْ ؟

أتراكم حينا

جحافل أبخرة ورموز

وحينا أحلّق لونا غريبا

بجفن الأفق

***

أم ترى أكتفي

بارتشاف النّعاس دخانا؟

وجمع الثواني كؤوسا

لأنثى العنب

***

لست أدري لماذا أكررتني ؟

لست أدري لماذا يراودني الاغتراب

ودغدغة الانكفاء

بظلّ العُقدْ ؟

***

هل أكون انتهيت

ولم يبق لي بالجراب

سوى شذرات من الموج

تحترف الانشطار ، ورسم القلق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مــــن أوراق رحـــلــــة

وشائج ثقافية

لا يمكن لنا أن ننكر اليوم جدوى التواصل والتفـاعل بين الثقافات فالأمر أصبح ضرورة حتميّة وإنسانية تفرضهـا طبيعة العصر، والعلاقات القائمة بين البلدان، فما بالك بين أبناء الأمّة الواحدة التي لهـا أكثرمن قاسم مشترك انطلاقـا مـن وحـدة الأرض والتـاريخ، واللغــة والدين، والآمـال، والآلام المشتركة، وصولا إلى وحدة المصير، ووحدة الهدف تجاه ما يتهدّدهم من مخـاطر وأزمات لذا أصبحـت اللقاءات الثقافـية والتحـاور الفكري ضرورة لتعزيز القدرات للمواجهة.

وفي نطاق زيارتنا إلـى الشعب السـوري الشـقـيق، واتصـالنا المكثّف باتحـاد الكتاب العرب أتـوجّه بالشكر الجـزيل للدكتـور علي عقلة عـرسان رئيس اتحاد الكتاب العـرب والمؤلف المسرحي والمـفكّر والصحفي الذي أعانني برحابة صدره وبتوفير الفرصة للالتـقاء بمجموعة من أعضاء اتحاد الكتاب العـرب أذكر عل سبيل المـثال لا الحصر الدكـتور «حسين حـموي» عضو المكتب التنفيذي ورئيس إدارة الجمعـيات الأدبية والدكتور «ميخائيل عيد» الشـاعر والمترجم لأكثـر من كتاب من لغـــات متــعـددة، والدكتور «عبـد الرحمان عمـار» الشاعر ومـدير الإذاعة والناقد «عـبد الله أبو هيف»، والروائية «ناديا خوست»، والدكتور «أسامة أغى» الكاتب القصصي...

بين تونس ودمشق

فوزية الصفار الزاوق

كما تمّ التعرّف على بعض الأساتذة الجامعيين والنقاد إثر أمسية أدبية التقينا فيها بالدكتور «عادل عطا الله فريجات»، والدكتور «نزار بريك هنيدي» والدكتور «غسان غنيم» مدرّس الأدب العربي الحديث والشاعر «عبد القادر الحصني» والدكتور والناقد «يوسف سامي اليوسف». ودار محور هذه الجلسة الأدبية حول التعريف بالأدب التونسي في مراحله المختلفة بإيجاز مبيّنة ما قامت به الصحافة الأدبية والمجلات الثقافية مثل «المباحث» التي ترأس تحريرها محمود المسعدي، والعالم الأدبي «لزين العابدين السنوسي» معرجة على مجلة «أبولو» التي ساعدت على التعريف بالشابي في الشرق ملحّة على أن نبوغ الشابي جعله يغطي فترة هامة من تاريخ الشعر العربي ولا بد من تجاوز الشابي المبدع الخلاّق «بشابي جديد» يعبّر هو الآخر عن روح العصر، ويستجيب لمقاييس القرن القادم، ويلبّي طموحات جيل جديد، كما أشرت إلى الحضور البارز في هذا العصر للمرأة المبدعة، وهو وجه من أوجه الحداثة، ومزية من مزايا عصر التغيير.

ولمّحت في إيجاز للتعريف بالأدب التونسي الحديث قصة ورواية وشعرا، ومسرحا، ونقدا ولكنهم كانوا شغوفين بمعرفة الأكثر عن الأدب التونسي، ورأوا أن التعريف بأدب كل قطر ضرورة وطنية وقومية تحتمها

منظومة القيم الواحدة التي تشكل في مجموعها السمات المميّزة، والمقوّمات الثقافية المتقاربة للشخصية الثقافية الواحدة الدّالة على هذه الهويّة القومية.

(توصيات)

وإثر نقاش ثري دار بين أعضاء المنتدى وصلنا إلى نتائج حرصنا على تبليغها حتى يكون اتحاد الكتاب العرب بدمشق واتحاد الكتاب التونسيين على بيّنة مما جاء فيها من توصيات تتمثل في :

- مزيد التنسيق والتواصل بين اتحاد الكتاب العرب بدمشق واتحاد الكتاب التونسيين.

- الحرص على تكثيف الحوارات الثقافية والندوات الفكرية التي توفّر أرضية خصبة للخلق والإبداع بين شعوب أمة واحدة قصد التحدي والمواجهة.

- تيسير وصول المجلاّت والجرائد والكتب النقدية بين شعوب الأمّة الواحدة حتى تتقلّص الهوّة الفاصلة بين الشعوب العربية، ويحتدّ الوعي أكثر لنواجه مصيرنا الموحّد، ونتحدّى العراقيل التي لا يفتأ الغرب يضعها بالمرصاد في مسالكنا لنبقى نتعثّر، ونعاني التشتّت، ولا نستطيع مواجهة الغزو الحضاري والتكنولوجي والعلمي والسياسي والاجتماعي والفكري...

- تدعيم هذه الزيارات الثقافية لتعزيز تراثنا وتنويع إبداعنا لندرك مصاف الإبداعات العالمية.

وكل تلك الجهود التي يبذلها اتحاد الكتاب التونسيين واتحاد الكتاب العرب في تقليص الهوة الفاصلة بين الأمّة الواحدة، تزيدنا تألّقا وتقدّما في مسيرة الإبداع الإنساني، فالهمّ العربي هو همّ مشترك لا يمكن تجاوزه إلا بمجهود مشترك أيضا ومثابرة ومواصلة سعي للتحدي لا تعرف الخفوت،

ولا يتسرّب إليها الوهن عندها فقط نستطيع أن نواجه الغرب بكلمة موّحدة وفنّ مشترك، وأدب يحمل في طيّاته العمق الإنساني ويعتبر إلى حدّ بعيد عن الجرح العربي الذي لا بدّ أن تتقلّص مساحته مع الأيّام القادمة بنموّ الوعي القومي وحدّة الإيمان بالذّات وعمق الصمود أمام الرّجات والهزّات وتتالي الأزمات...

(فنون تشكيلية)

وأبى الفنّ التشكيلي إلاّ أن يحضر بصفة مكثّفة في دمشق الشام ، حيث كان لنا لقاء مع الفنان التشكيلي «يعقوب داوود» هذا الفنان التشكيلي المبدع الذي شارك الكتّاب بريشته، في محنة التعبير عن أزمة العصر وتناقضاته، وله أكثر من لوحة تتناول بالدرس والنقد في إطار إبداع تشكيلي «المرأة الشرقية» وهي تبحث عن الحرية والانعتاق لتحتلّ مكانتها التي تطمح لتحقيقها في القرن القادم، فهي إنسانة قبل أن تكون بضاعة أو متاعا، أو جسدا يتلهّى به الرجال، فهي إنسانة بما في هذه الكلمة من عمق وشموخ وأنوثة...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يخفى أن الفنّان التشكيلي «يعقوب داوود» قد شارك في أكثر من معرض قومي ودولي :

ـ معرض فردي في المركز الثقافي بدمشق عام 1990ـ 1996 ـ 1997

ـ معرض فردي بالمركز الثقافي بالمزّة عام 1955.

ـ معرض فردي في معهد غوته الألماني بدمشق عام 1994 وفي جمعية السريانية بدمشق عام 1995.

ـ يشارك في كافة المعارض التي تقيمها وزارة الثقافة.

ـ له أعمال مقتناة من قبل الوزارة.

كما له أعمال في كل من سويسرا ، لندن ، بلجيكا ، فرنسا ، المانيا ،

هولندا ، ايطاليا ، النمسا ، يوغوسلافيا ، كندا ، الدانمارك ، الولايات المتحدة الأمريكية واليابان...

وفي الأخير أجدد الشكر للأستاذ الميداني بن صالح رئيس اتحاد الكتاب التونسيين الذي شجعني على هذه الزيارة لقطر شقيق هو سوريا، تجولت عبر متاحفه، فكانت هذه الجولة صدى لحضور شخصية ثقافية لهذا القطر الشقيق عبر العصور، وقرأت بعض الأشعار فكانت متعة الروح، واطلعت على بعض الكتابات الصحفية، فكانت متعة الفكر، وتمتّعت واستمتعت بقراءة بعض اللوحات الزيتيّة، فكانت متعة النّفس والرّوح معا...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

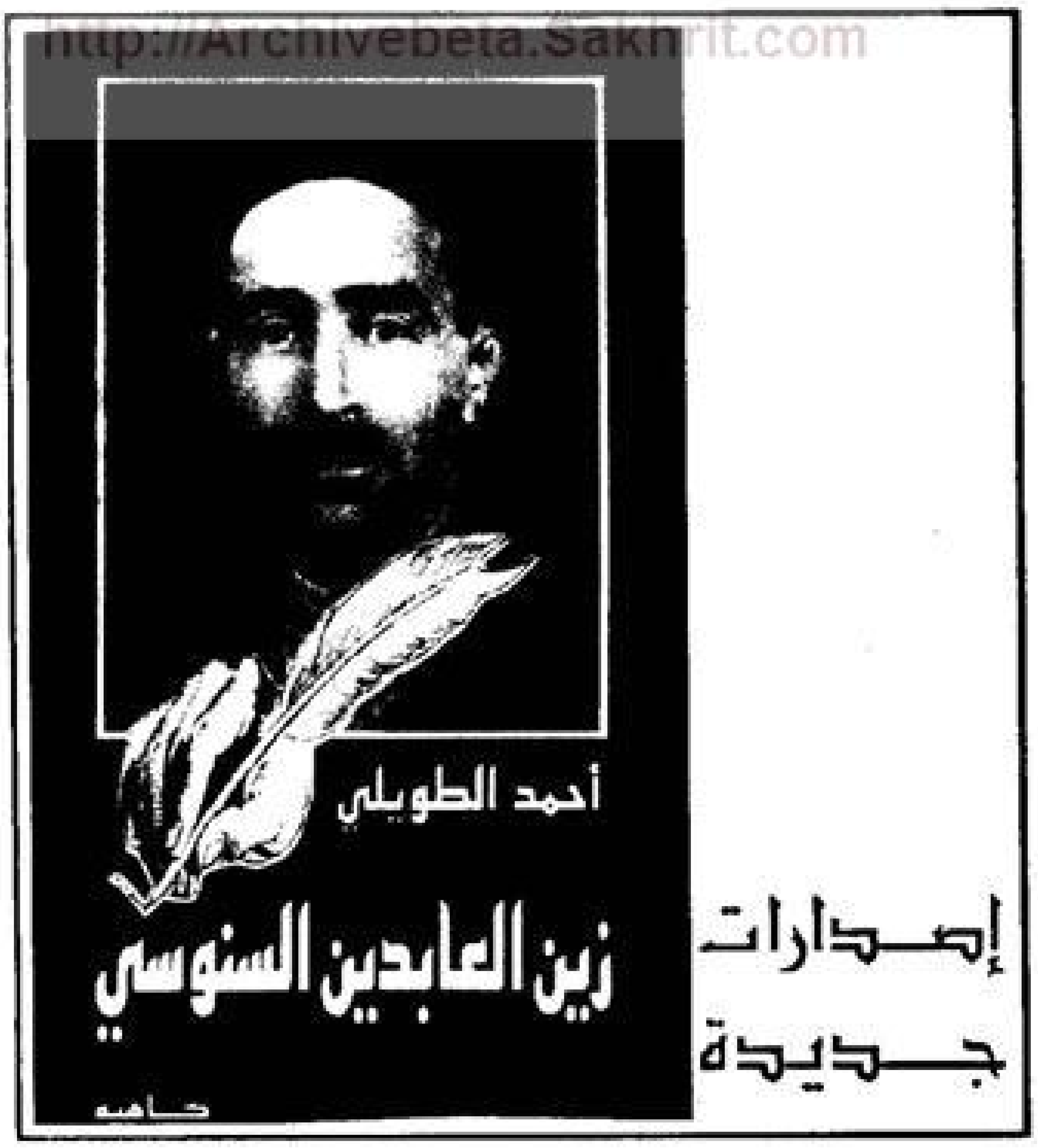

إصدارات جديدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سرّ النّار

أو سحر اللّيل ترتيلك ؟
أم هذا الطلّ النّاهد في كفّيك !
... أسرار الكون المتسلّل بين القبسين !
... دجلة أكفان الحبر في بغداد ...
لغة الضّاد
أعرجون نجوم يهمي في قدّاستي ! ؟
* * *
أحتفل باللّيل المعلن في التّاريخ
بصهيل الخيل يدكّ الأسوار
بالطّاعون
يوغل في جيش الرّوم ...
* * *
سجّلت بالجرح النّازف أغنيتي
وترجّلت عن آهاتي
وتعلّمت كيف أفكّ الطّلسم عنّي.
* * *
سبّوح ليل الفتنة يعبق بالصّندل
يزحف مملوء الخطو
يحبو حثيثا بين حاملة أسراري
ينبثق الطّيب المثقل باللّذات
يعبر بين الخصر وبين الجيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

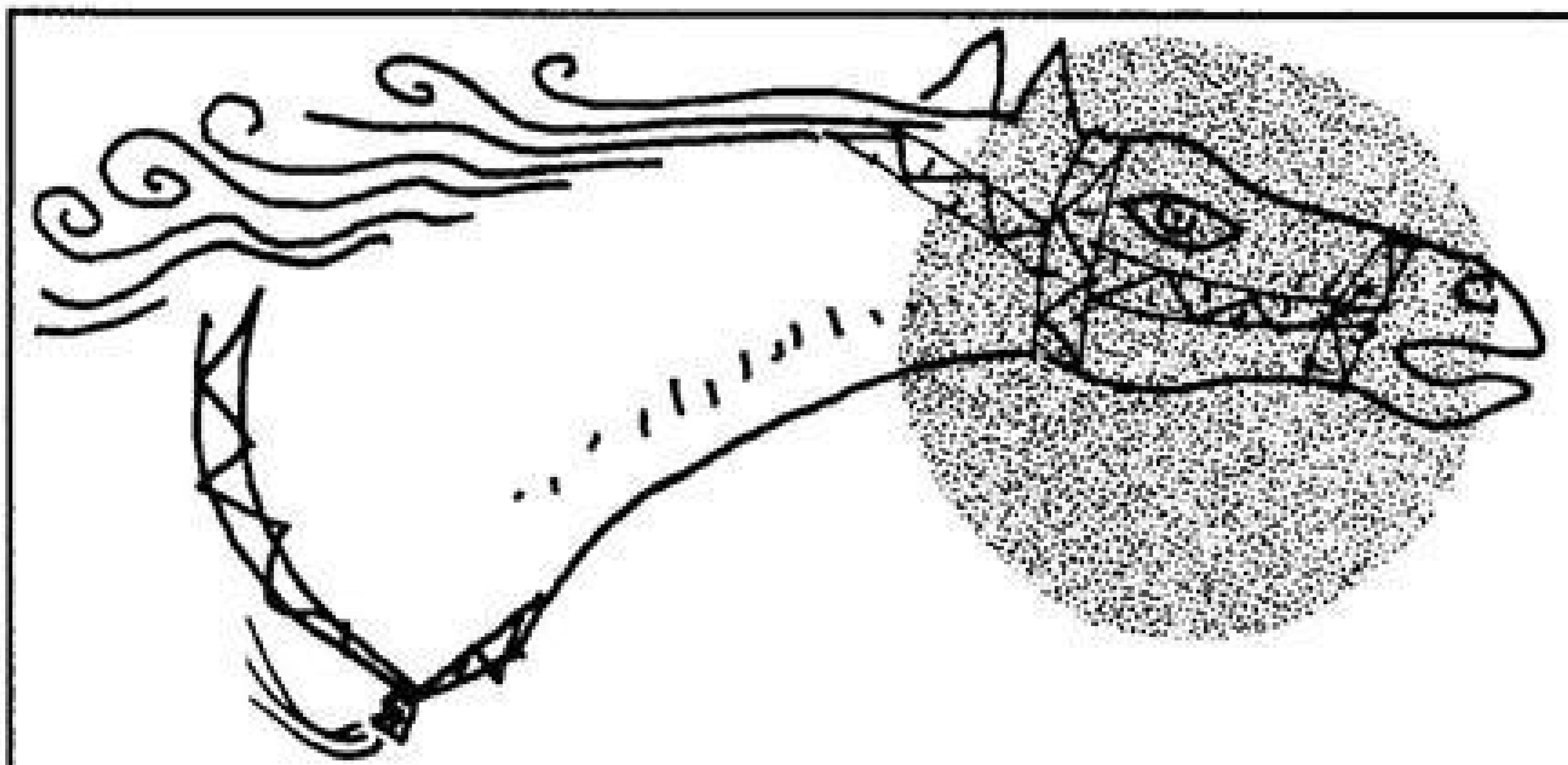

عادل بوعقة

بين الجيد و بين البيد ...
يعبث بالشَعر المنسكب أنهارا من فتنتها
يتلمَس دربه بين نتوءات غجريَة...
يعلن أنَ الوحي حباه ...

* * *

قدَوس يحمي الأسماء
قرطبة مأواه الأوَل
قرطبة أنثاه الأولى
حمَالة ألوان جنونه بين الحرف
قبس من جنَات قيل أنَها فوق «أُلَمْبِ»
واحات «زِيُوس» أو مسكنه
قيل أحلامَ الفقراء ...

....

قرطبة دالية يسكرَها التَاريخ
تتلذَذ بالحرف العربَي
ذاك شذاها
تلك مرأة فتنتها
لذَات بقاياها

* * *

أعرف أنَ اللَغة قنديل سحريَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعرف أنّ الرّوح تمعن في أروقة
تشتمّ رحيق الورد فيه
وطيب الشيح ،
والإكليل .....
أزهار العشّاق الشتويّة.
تتلو الآيات الأولى
عن سرّ الألواح الأولى
عن لهب يعرف ناياتي
يـــا أهـــاتـــــي !!!
* * *
للملكين هاروت وماروت
للسّحر تعلّمه الكهنوت
لكنّ سحر الأحلام
أعمق من علم الملكوت
أغمض من لوح الأقدار
أفصح من خمر العشّاق.
* * *
تأتيني الأحلام غروبا
تأنس فيّ سرّ النّار
إنّي حلم يأنس سرّه في الأسفار.

تونس ـ 97 ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إصدارات جديدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هاجس الشّعر في القصّة التونسية*

من بوّابة الشّعر يدخل جلّ الأدباء عالم الكتابة ثمّ منهم الذي يعمّق تجربته فيه فيصبح شاعرًا، ومنهم الذي يدلف إلى ضروب أخرى من فنّ القول كالقصّة والرّواية والمسرح والنّقد ولكنّ الشعريّة تظلّ طافحةً في بعض نصوصه من حين إلى آخر، هذا بالإضافة إلى أنّ مسألة الأجناس الأدبية في الكتابات الحديثة غدت الحدود فيها غير واضحة المعالم، بل منذ القديم تداخلت الأسطورة بالقصيدة حتّى لكأن السّرد هو الشّعر ولكأنّ الشّعر هو السّرد ذلك أن الفرق بين النّثر والشّعر ليس إلاّ من باب الغرض والمناسبة، فالقرآن عندما أنزل قالت العرب إنّه شعر في بادىء الأمر ثمّ شيئا فشيئا استقرّت النظريّة الشعريّة العربيّة ولم تجعل القرآن من جملة النّصوص الشعريّة.

وإذا كانت القصّة تعتبر شكلا أدبيًا جديدا في الأدب العربي الذي تضمّن جذورا قديمة منها فإنّ الشّعر ظلّ كذلك واضحا في الكثير من نصوص القصّة التونسية ضمن مستويات عديدة فيها.

الإضمار الشّعري

في تقديم تجربة محمّد العروسي المطوي القصصية يبرز رضوان الكوني بحث المطوي عن أسلوب يمتاز باللغة الشفّافة حيناً وحينا آخر يختلط فيه السّرد بالحُلم والمونولوق، فالمطوي حسب رضوان الكوني يجنح إلى ترقية اللغة وإلى التعامل معها تعاملا آخر فكأنّي به يقول من حيث يدري أو لا يدري إنّ المطوي شاعرٌ في بعض قصصه(1). ولعلّ النصوص

* مداخلة قدمت في الأيام الشعرية التي نظمها اتحاد الكتاب (10 ـ 13 ديسمبر 1998).

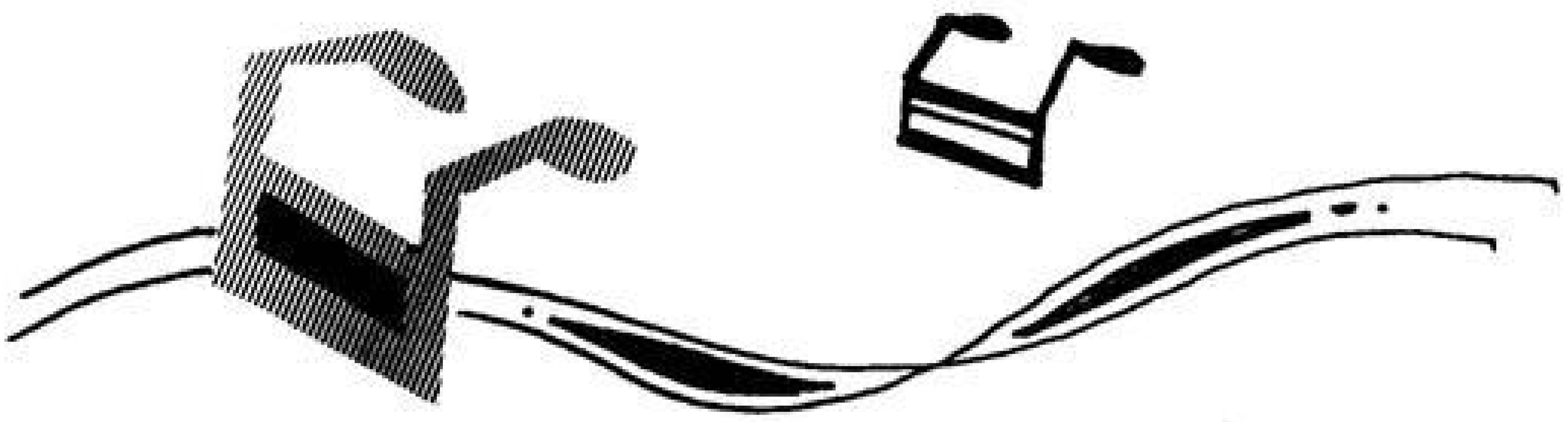

سوف عبيد

التي أوردها تؤكد إلى حدّ بعيد اقتـراب أقاصيص المطوي ـ أحيانا ـ من النصّ الشعري.، فقصّة طريق المعصرة مُقامة على حوار ثنائيّ بين «هي» و «هو» على هذا المنوال :

هي : لا أحبّ هذا الطريق
هو : إنّه يعجبني... إنّه طريق المعصرة
هي : معصرة قلبي
هو : لا يا فلانة (2)

إنّ هذا الحوار الثنائي بما فيه من تقابل ومـخاتلة وتغنّج يذكّرنا بقصيدة قديمة لوضّاح اليمن يقول منها :

قالت : فإنّ القصر من دُوننا
قُلتُ : فإنّي فوقـه ظاهر
قالت : فإنّ البحـر من دُوننا
قُلتُ : فإنّي سابح ماهر
قالت : فحَوْلي إخـوة سبعةٌ
قُلتُ : فإنّي غالبٌ قاهرُ (3)

وفي سياق آخـر يبدو التّصريح بالشّـعر واضحا لدى محـمد العروسي المطوي عند بعض شخصياته القصصيّة كمثل هذا الحوار أيضا :

ـ لم أكن أحسب أنّ للمرمر إحساسا.. معذرة يا فينوس
ـ أتخلُق الشّعر وأنت تمشي ؟
ـ عفوك يا سادنة
ـ أنا مسدونة إذا شئت... كم اشتقت إلى قسوة الحامي (4).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي تعليق على هذه الفقرة يصرّح رضوان الكوني أنّه نظمٌ جيّد(5)، والنّظم من مجال الشّعر فالهاجس الشعريّ واضح في كتابات محمد العروسي المطوي تلميحا وتصريحا وكذلك هو واضح لدى ناقده رضوان الكوني الذي يقدّم الكاتب حسن نصر كما يلي :

كاتبٌ موهوب، ذو أسلوب واقعيّ جديد، جُمَلُهُ قصيرة تعبّر بعمق وتختزل كلاما كثيرًا في صورٍ دقيقة شفّافة، كثيرًا ما يختلط لديه الشّعر بالنّثر، وهو ما يجعل قصصه متميّزة(6).

فللشّعر حضورٌ جليّ في القصّة التونسية وقد سجّلت بعض القراءات النقدية ذلك كما رأينا.

على قافية الشّعر

في القصّة الأخيرة من المجموعة القصصية لإبراهيم الدرغوثي «كأسُكَ يا مطر» قصّة امرىء القيس يرحل إلى اسطنبول راكبًا سيّارة أجرة ونازلاً ببعض الفنادقَ الحديثة الفاخرة. وقد عمد الدرغوثي إلى قصّة وفاء السّموأل فزاد فيها أن جعل زوجة السموأل تفاوض على ذبح العبد عوض الإبن فيخدع التّاريخ ويحتفظ السموأل بمروءته(7).

ويقدّم إبراهيم الدرغوثي هذه المجموعة القصصية بمقطع بديع من قصيدة «أنشودة المطر» لبدر شاكر السيّاب :

أتعلمين أيَّ حزن يبعث المطر

وكيف تنشج المزاريب إذا انهمر

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع

بلا انتهاء ـ كالدّم المُراق، كالجياع

كالحبّ، كالأطفال، كالموتى، هو المطر ! (8)

وهو يعمد إلى التقديم بالشعر الشّعبي أيضا في القصّة الأولى قائلا :

يا لنْدَرا يا غيمْ تتجَلاَّشي

وَلاَ اَنموت وَعلّتي في جاشي(9)

وهو كذلك في القصصَ الأخرى يُراوح بين الأغاني الشعبية مرّة، ومرّة أخرى يتجلّى أسلوبُ القصّة لديه حتّى يتمحّض إلى مقاطع شعريّة من ذلك :

تلمسوا هنا

تلمَسوا هناك

دخل الماءُ والتّرابُ إلى عيونهم

داروا هنا

داروا هناك

ملأ الطِّينُ آذانهم

خبطوا ذات اليمين

خبطوا ذات الشّمال

فما وجدوا أثرًا للرّجال(10)

إنّ الميل إلى الشّعر واضح في هذه المجموعة القصصية سواءٌ على مستوى الشخصيات أو على مستوى السّرد أو من خلال تضمين الأغاني والأبيات الشعريّة ممّا حدا بالمُقدم لهذه القصص الأستاذ عمر حفيّظ أن ينساق هو أيضا مع السّيل الشّعري العارم فيبدأ مقدّمته بالشّعر فاتحة :

أنا ريحٌ

للأغصان أن تتعانقَ

أو .....

تتشابكَ

فـــيَّ

أنا لا أمَّ لي

كنتُ سؤالاً

قبل الفطام... وبعد الكلام...(11)

وقد عمد كذلك الأديب محمّد يحي في قصّته الشيخ مسعود(12) إلى مراوحة الشّعر بالنّثر وذلك عندما تتجوّل في خاطر الشخصيّة كلمات أغنية شعبية منها :

رُمّانك يا عيشة مُــرْ

طَعْمَهْ في فمّي ما لذّه

محروم قلبي تقهر

يا ليت نكسره ونعضه !

وهو كذلك يترنّم ببعض المقاطع عند تناوله قهوة الصّباح قائلا :

قهوة الصّباح، سُودة زنزيّــة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلوه بنينة، ومن صُنع العلجية

فالقصّة إذن تكاد تكون نسيجًا أدبيًا خاصًا لُحمتُه نثرٌ وسَدَاه شعْرٌ بل إنّها قائمةٌ من حيث الأساس على القول الشّعري والقَصْد الغنائيّ أكثر منها مصاغةٌ على الشكل القصصي والغرض السّردي ويظَهر هذا النُّزوعُ إلى الشّعر حتّى في الحوار على هذا المنوال :

- ما أحلى الكبدة المشوية يا حاج

فردَ صاحب المحلّ وهو يضحك :

- أمّا قلبك يا شيخ أحلى منها

وزاد في الضّحك فانفلت الشيخ يُداعب الحرفاء العديدين :

- الكبدة المشوية ما لذّها كي تكون طريّة(13).

ملامح الشّاعر

إنّ شخصية الشّاعر تظهر من حين لآخر في القصّة التونسيّة، ففي قصّة «خاتمةُ قصيد» لجلول عزونة(14) تتحدّث بكاملها عن شاعر يحاول إتمام قصيده فهي تصف المخاض الذي يكابده الشّاعر وهو في آخر لحظات ولادة نصّه حيث تتوافق التجربة وتنسجم مع القصيد فهو القائل :

القصيد الذي ابتدأتُه أوشك أن ينتهي... ولكنّي عزمت أن لا أُنْهيَهُ وأنا صاح... أُريدُه صادرًا عن أعماقي، أريدهُ صادقا، متحرّرًا من قيود المجتمع وأخلاَقه.

فجَلول عزونه بهذه القصة يطرح قضيّة حدود التجربة الشعريةوتفاعلاتها الدّاخلية وهو كذلك يُضمّن مقطعًا من القصيدة :

الأفق مضطربٌ غامض

والسّماء وحيدة، تُشْعرُ بمرارة

والثّلج... انقلب لَبَنًا

وفي قصّةَ لعلياء رحيم بعنوان القناديل المنطفئة(15) كانت الشّخصيّة الأساسية فيها تمثّل هي أيضا شاعرًا لم يتمكّن من بلوغ طموحه الشعري الذي ظلّ سرًا بداخله لكنّ صديقته تعرفُ نبوغه فهي القائلة :

كنت معَجبةً بتفوّقه في مادة الإنشاء على وجه الخصوص ولطالما امتلأتُ نخوةً لأجله كلّما أطنب أستاذ العربيّة في ابراز فصاحته وبلاغته في

التعبـير، وكنتُ مزهوَةً بصحبتـه أكثر لعلمي أنّني الوحـيدة التي تجرأ على الإطلاع على كتـاباته السريّة فلقد كـان بداخله شاعر رقيق يصـوغ كلامًـا ناعما(16).

وقد صدّرت علياء رحيم قصّة «مساء رمادي» بهذا المقطع الشعريّ كأنّه استهلال للقصّة :

تتسلّل من وحدتها
شجرةٌ نبذتها المواسم
تقف على حافة التمنّـي
كلّما توهجتْ هزيمتها
تنكسر شطرين
نصفًا تهبه للمواجع
وَنصفها غُصة للنّوازع(17).

أما قصة الزيتونة ليوسف عبـد العاطي(18) فهي تبدأ هي أيضا بالشّعر كأنّه مدخل أو افتتاحية :

لستُ إلاّ الذي يشقى بالحبّ كي يبقى
وهل في الحبّ شقاء ؟

وهو يعمد إلى فقـرات القصّة فيفصلُ بينهـا بالخطّ البارز بجمل هي إلى الشـعريّة أقـرب أو أنّه قـد عـمد إلى نصّ شـعـريّ وفصل بينـه بالفقـرات القصصية ؟

وهذه المقاطع الشعريّة هي :

- جسدي كبرياء وروحي شقاء
- من فحيح الرّيح أصنع صمتي
  ومن الصّمت ما سحر
- قلبي واحةٌ وحُبّي هو السّنبلة
- كهدير الموج حُبّي
  وقلبي هو الشّراع
- اللّسان وما ذكر
  والقلب بما عَـمَّـرَ

فالمـزاوجة بين الـنّثري والشّـعري واضح في هذه القـصّة وهو قـصدٌ

أسلوبي من شأنه أن يعدّد درجات الخطاب بالإضافة أنّه يعطي نفسًا جديدا في كلّ مرّة يعود فيها الكاتب إلى سرد قصّته ولا عجب في ذلك فيوسف عبد العاطي هو أيضا بدأ شاعرًا ولعلّه ما يزال يكتب بعض القصائد من حين إلى آخر.

وفي قصّة «حينما يجمعنا النّقيض» للأديبة عروسية النالوتي(19) فإنّ المقطع الشعريّ يأتي مولوجا في المتن السّردي الذي يفضي إليه مباشرة على هذا النّحو :

ألم تفهم أنّه هناك أشياء لا تجوز لمن يعيش لمطمح يحمله ؟ فقد يجوز أن تزرع في مسلكي الأشواك

يجوز أن تقبض على أيدٍ من قصدير
يجوز أن يلوّث الغدير
يجوز أن تجرحني الأسلاك
يجوز أن يُقتل في حلقي الكلام
أن تُقْبَرَ المطامحُ الخضراء
في الظّلام
يجوز
لمُدّة وضعيّة شرعها القانون\ يجوز أن تقهرني
يجوز أن تقهَرَني
مدافع السّجون
مجامرُ الكانون
ففي شرعنا
قد تضعف الأكتاف
قد تكسرُ الأطراف
لكنّ حامل القضيّةِ العذراء
في الجفون
رغم الأصابع المقطوعة
والألم الململم المكنون
معدنه الدُرّيُّ لا يخون !

فهذا المقطع بالنّسق الإيقاعي وبالمعاني الغنائية الواردة فيه وببنائه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسلوبيّ عامّة يمثّل قصيدة يمكن أن تُقرأ في ديوان الشّعر الملتزم ضمن مدوّنة الشعر العربي الحديث .

تسرّب الأشكال

وثمّة قصصٌ ذاتُ أسلوب في الكتابة يعتمد على سرد ذي إيقاع في الجملة يقترب من حدود الشعر مثلَ قصص (كذلك يقتلون الأمل) لصاحبها سمير العيّادي(20) ففي القصّة الأولى منها نقرأ :

أمّي تعرف أنّ أخي يحبّ البحر
وأخي يعرف أنّ البحر رفيق لهوه
ومُغدقُ متعته وزهوه
وكذلك :
رؤوس الأمواج تلتفتُ يمينًا وشمالاً
تزمجر رؤوس الأمواج، تنادي
أخي لا يجيب
يسحب البحر رؤوسه إلى وراء... إلى وراء
إلى وراء
لا أثر لأخي بين الحشائش والأسماك
والصّدف
دوّى في حشا البحر هدير الفاجعة
وبكى البحرُ، بكى البحر
ولا يزال يبكي كلّما يتذكّر أخي
البحرُ لا يتذكّر إلاّ عندما يتذكّر أخي(21)

والمقصودُ بالإيقاع في هذا السّياق ما في النّص من ترديد وتكرار ودوران حول المعنى المركزي بما يحيل على التفصيل ولتجميع معنى ومبنى مرّة، ومرّة أخرى بما يتضمنّه من حركات متوازية ،متقابلة ومتقاربة ومتسارعة ومتباعدة ومفاجئة كما يظهر ذلك في هذا النّص للكاتب محمد الهادي بن صالح من «وعد الأخرس والعلاقات المتوتّرة».

كانت له دُريهمات
وكانت له قطعة أرض

وكانت له بقرة

وكانت له عنز

وكانت له دجاجة

وكانت له قربةٌ

وكانت له قُـلـّـة

وكانت له أوان

وكان له حمارٌ.

عاد إلى القرية الهادئة(22)

ثمّة إذن تراشح وإفضـاء بين القصّة والشّعر ولعلّ مـرجع ذلك هشاشة الفوارق بين أجناس الخطاب الإبداعي في بعض الأحيان بالإضافة أنّ الكاتب القصصيّ نراه يستعمل كلّ مجالات الإبلاغ في اللغة ليُنزّل نصّه كأحسن ما يكون، وإذا لاحظنا في السّنوات الأخيرة انتشار ظاهرة القـصيدة القصيرة فإنّنا بدأنا كـذلك نقرأ في القصّـة التونسية الـقصص الوجيزة فـهذا الأديب مصطفى الكيلاني ينشـر سبع قصص قصيرة جـدًا لا تتجاوز إحداها وهي «ليل الأقـاصي» الجملتـين أو الثّلاث(23)، وهذا الكاتب سـاسي حمـام هو أيضا يقـرأ في ملتقى محمـد البشروش بمـدينة دار شعبان خـمس قصص وجيزة يحسب المستمع إلى بعضها أنها قصيدة وهي تحت عنوان «وداد» :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هبّت نسائم الصباح

فماست أغصان الأشجار

وتطايرت العصافير

هنا... وهناك

بين الأوراق الخضراء اليانعة

فخلتها هي

عصفت الرّياح فكسّرت الأغصان

وتلاعبت بالأوراق

وأثارت غبار الطرقات

وعصفت بالأبواب والنوافذ

فخلتها هي

لمّا هطلت الأمطار غزيرةً

عرفت أنّها

لن تأتي !

فهذه القصص الوجيزة التي نقرأها لمصطفى الكيلاني وساسي حمام وغيرهما إنّما تعتمد على الاقتصاد في المبنى وعلى اللّمح في المعنى وعلى الخاتمة المباغتة تمامًا مثل بعض القصائد القصيرة من حيث الكثافة والومض.

هل نحن أمام هذه الظاهرة التي تداخلَ السّرديُّ بالشّعري فيها مُقبلون على مقولة جديدة في الكتابة تعتمد على إلغاء الحدود الفاصلة بين الأنواع والأشكال في الأدب ؟ غير أنّ التداخل بين الأجناس الأدبية قديمٌ في الأدب العربي وما نصوص بعض المتصوّفة مثل أبي حيّان التوحيدي والنّفري إلاّ مجالٌ واضح لامتزاج النّثر بالشّعر عندهما.

ونحن إذا قرأنا بعض النّصوص الشعريّة الحديثة من الشعر التونسي يتجلّى لنا واضحا النّسيج السّرديّ فيها مثل قصيدة «حفريات في جسد عربيّ» التي يعتمد مختار اللغماني فيها على التضمين الشعريّ والتاريخي ليحيل علي الحاضر كقوله :

عربيٍّ وأبو نواس الملعونُ المغبونُ نديمي في أيّام الغربة ندخل كل مساء بارًا شعبيًا نشرب، نشرب، نشرب، حتّى يصبح رأس الديك حمارًا وحشيًا

نتسكّع في ماخور مدينتنا و «تزقّ» علينا الأطيار بباب البحر(24).

وعندما يصف الشاعر محمد البقلوطي الطّيف لبعض الشخصيات فإنّه يبني عناصر المشهد تماما كرسم ملامح الشخصية في القصّة ضمن الإطار :

مرَّ بي

مُورقا عند باب المساء

عاجلته النّهاياتُ

عانقني... ومشى

كان طيفُهُ حقلَ عنب

كان قلبه عنقود خمر

وتُفّاحةُ من لَهَبْ

كان كفُّه مدفأةً للفراش
ومروحة للتّعب ! (25)

إنَّ النّص البديع يستعمل تقنيات مجالات عديدة للكتابة فتتداخل الأجناس الأدبية فيه بل تتداخل فيه حتّى أصداءُ الفنون الأخرى وخاصّة الرّسم والنّحت والمسرح والسّينما، لكنَّ القصد من صاحبه يظلّ محدّدا مهمّا في تصنيفه عند متقبّله لإبرام اتفاق ضمنيّ على قراءته ضمن جنس من أشكال الإبداع.

لكنّنا نحتار عندما نقرأ مثل تلك المقاطع هل هي من السّرد القصصي ؟ أم هي من الإيحاء الشعريّ، ذلك أنّه ثمّة - رغم كل القواعد والأشكال خيطٌ دقيق بين كلّ ضروب أنواع الكتابة أو توجد بوّابة سريّة بين مختلف الأجناس فلا استقرار نهائيّ وثابتٌ لأشكال الأدب... نعم إنّها خاضعة لقوانين : الأجملُ ما فيها أنّ المبدعَ الفحلَ يمكن له أن يخترقها !

سوف عبيد
رادس 22/ 5/ 1997

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامش :

(1) الكتابة القصصية في تونس - رضوان الكوني - منشورات قصص 1994 - ص 231 و233

(2) نفس المصدر ص 231

(3) الغزل - محمد سامي الدهان - دار المعارف 1981 - ص 64

(4 و5) الكتابة القصصية في تونس - رضوان الكوني منشورات قصص 1994 ص 234

(6) نفس المصدر ص 191

(7) كأسك يا مطر - إبراهيم الدرغوثي - دار سحر للنشر 1997 - ص 96

(8) نفس المصدر - ص 7

(9) نفس المصدر - ص 13

(10) نفس المصدر - ص 40

(11) نفس المصدر ـ ص 9

(12) مجلة قصص عدد 7 ـ 1968 ـ ص 126

(13) نفس المصدر ـ ص 134

(14) مجلة قصص عدد 7 ـ 1968 ـ ص 119

(15) الخيبة تسبق الموت ـ علياء رحيم ـ 1997 ص 105

(16) نفس المصدر ـ ص 132

(17) نفس المصدر ـ ص 53

(18) وبعد ـ يوسف عبد العاطي ـ منشورات قصص 1991 ص 65

(19) البُعد الخامس ـ عروسية النالوتي ـ الدار العربية للكتاب 1975 ص 132

(20) كذلك يقتلون الأمل ـ سمير العيادي ـ الدار التونسية للنشر 1882

(21) نفس المصدر ـ ص 8

(22) وعد الأخرس والعلاقات المتوتّرة ـ محمد الهادي بن صالح ـ الدار العربية للكتاب 1988 ـ ص 42

(23) مجلة الحياة الثقافيج عدد 79 ـ 1996 ـ ص 68

(24) أقسمت على انتصار الشمس ـ مختار اللغماني ـ الدار التونسية للنشر 1981 ـ ص 103

(25) آخر زهرة ثلج ـ محمد البقلوطي ـ منشورات تونس قرطاج ـ 1987 ـ ص 3.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

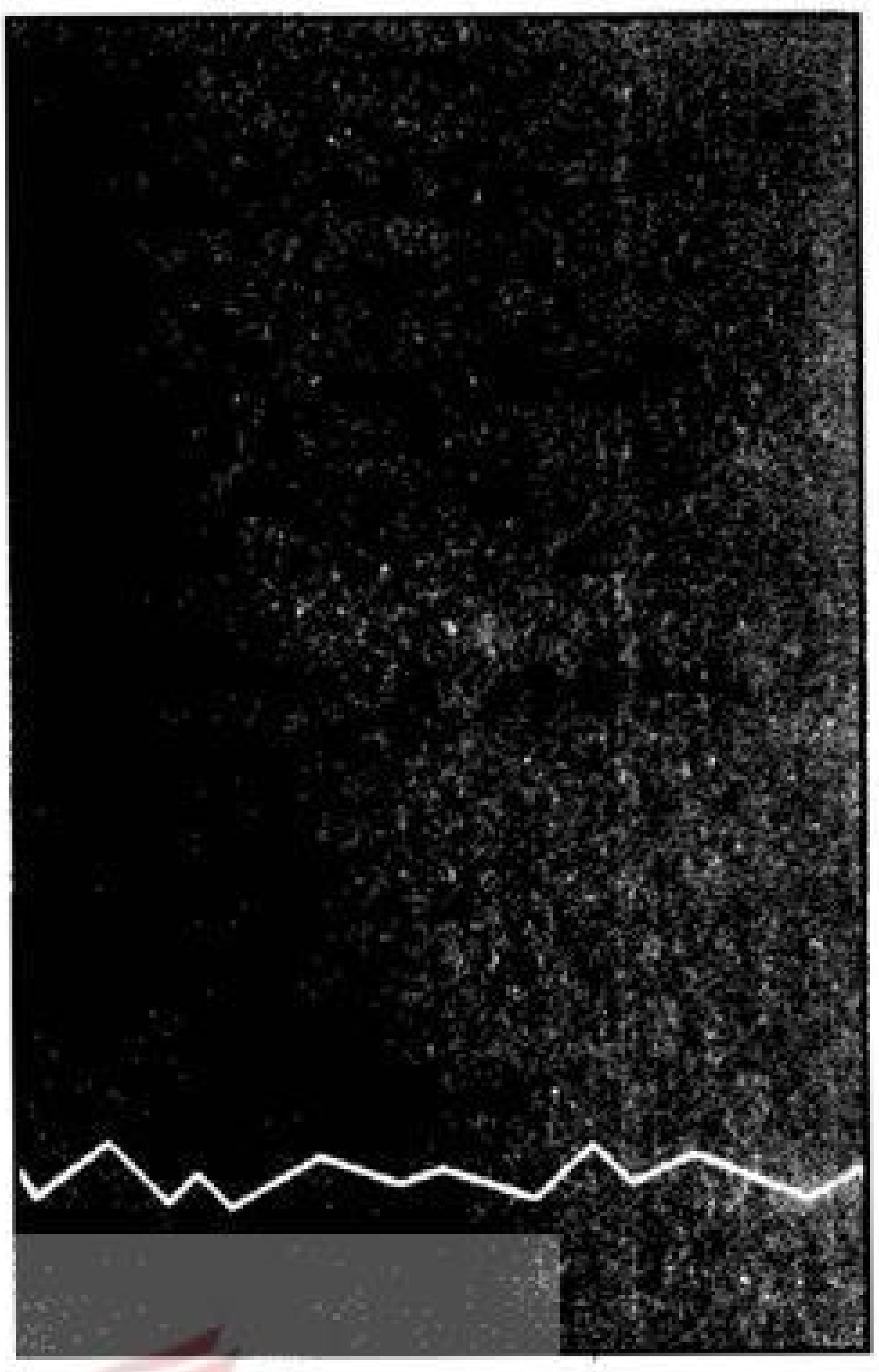

إصدارات جديدة

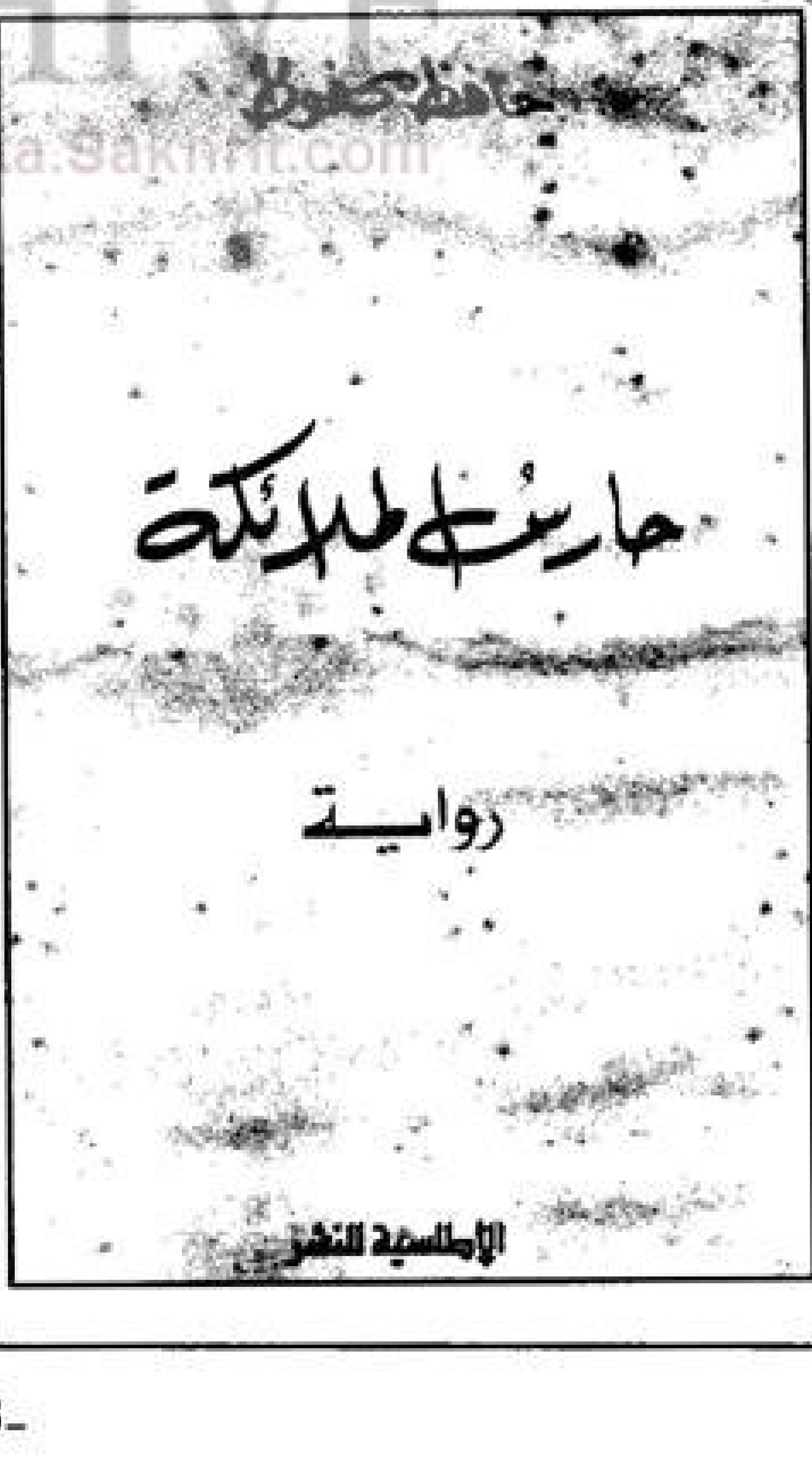

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسافر

حاتم القاطي

1 ـ الأذن :

كان عرشه على الماء
والماء أحياك..
أنت الذي غيّرت الصّوت وأطفأت الضّوء
وتوحّدت بالصّمت والعمى
تزوّق الأوراق وتفتح الشبّابيك
لتسمع تغاريدها وخرير المياه
وأشرعة السّفن تصارع الرّيح
قبل معانقة الميناء..
أنت الذي خيّرت السّمع على الرؤى
انتظر.. آخر النّهار مرور الفراغ
وبلّغ له عطر السّلام.

2 ـ المحطة :

ها أنت.. لا شيء أنت
آخر المحطّات توقّفت قاطراتها
ولم ينزل أحد
ها أنت.. يحيّيك شخير العسس
وأضواء باهتة تلوح في آخر الممرّ
وفراش بارد ينتظر

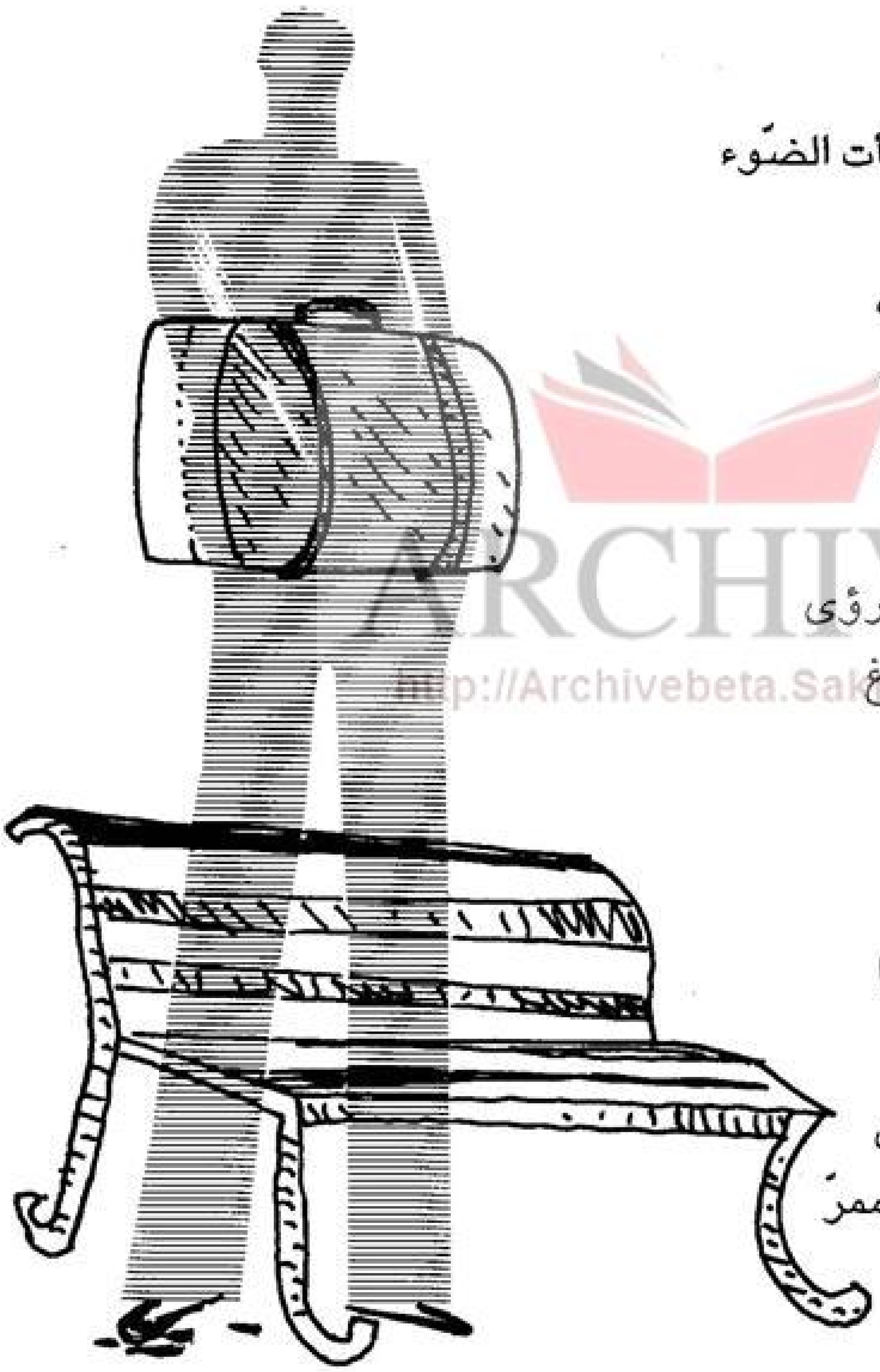

المنستير في 30 جويلية 1998

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصـــة

انتظــــــار

محمد خليل (الاردن)

تفحص اليافطة الزرقاء المثبتة وسط الجدار، لم تكن المرة الأولى التي يتفحصها، فمنذ وصل الى هذا المكان، ألقى عليها نظرة ووقف إلى جوارها، وكلما أحسَّ بنمنمة في قدميه يمشـي بضع خطوات ثم يعود ويتفحّصها من جديد.

منذ أن هاتفهـا هذا الصباح وهو يُعـدّ العدة لهذا اللقـاء، فقد مرت فـترة ليست بالقصيرة على آخر لقاء بينهما... ربما ثلاثة أشهر أو يزيد... قال لها: نلتقي في نفس المكان الذي إلتقينا فيه أول مرة... أحس عبر الهاتف بإيماءة رأسها... وعندمـا تذكر أنه قد نسي تحديد الزمن هاتفهـا مرة أخرى وجاءه صوتها.. السـادسة مساءً.. وكـالمرة الأولى أحس بأنفاسهـا هادئه تدغدغ روحه فأقفل السماعة فرحا.

وساعة وصل إلى هذا المكان، تدثر جيدا بمـلابسه الثقيلة... رفع بصره إلى السمـاء الملبدة بالغـيوم وتمنى ألاّ يعاجله المـطر قبل وصولهـا، أخفى يديه في جيب سترته ووقف إلى جوار اليافطة.

المدينة نائمـة وأضواء العمارات وأعمـدة الضوء المتراصـة على جانبي الشارع مطفـأة... جلس فوق حجـر يفصل الشارع عن الرصـيف... تسرب الماء إلى مؤخرته.. نهض.. نظر الى اليافطة الزرقـاء المثبته الى الجدار الذي يقف عنده وهز رأسه.

رياح تعبـر كل الأماكن الضيـقة تلملم ما آستطاعت حمله من مـخلفات المتـسوقين وتدحرجـها في آتجاهات مخـتلفة.. رذاذ خفيف بدأ يتـساقط.. سرت في جـسده قشعـريرة خفيفـة وهو يحس بحبات المطر تتـسرب الى مسامات جلده مخترقة ما يلبس من ثقيل الثياب... رفع يده إلى رأسه فابتلت وشعر بالمـاء ينحدر إلى أذنيه.. دخل الى منزل غير مكـتمل البناء وعيناه لا تفـارقان أول الشارع... «سـتأتي» وأصـر على ذلك.. صوت شـخيـر يفلق

صمت المكان.. يتتبع بحواسه مصدر الصوت.. في زاوية من زوايا المبنى تململ ما يشبه الجسد.. سرت القشعريرة ثانية في جسده وأحس بأن الوقت يعصره.

ـ تأخرت كثيرا .

ثمة خدر في ساقه اليمنى بدأ يحس به.. رفع الساق كما تفعل الحمامة.. تعب من وقفة الحمامة هذه.. قرفص وعيناه على أول الشارع.. ثمة سيارة تعبر.. وقف متيقظا وراقب الضوء المنبعث من مقدمتها، «ربما تكون في هذه السيارة» لكن السيارة رشقته بالماء ولم تتوقف.

«عندما هاتفها هذا الصباح.. أكدت لي بإيماءة من رأسها أنها ستأتي.. نعم.. رأيت إيماءة رأسها ورأيت يدها تحتضن السماعة.. ورأيت دمعا يترقرق في عينيها.. صوتها عبر الهاتف أزاح الجليد المتكوم على صدري وأشعرني بالدفء.. ولما خابرتها ثانية ازددت يقينا بأنها ستأتي.. وأنها ستفعل المستحيل حتى تراني».

نظر إلى ساعته.. عقارب الساعة تزحف صوب الحادية عشرة.. أحس وخزا في ركبتيه، فركهما بباطن يده وراقب أول الشارع.

«ستأتي.. ستكون في أول سيارة تعبر الشارع.. ستأتي، وتعتذر عن التأخير كعادتها، وستخلع شالها الصوفي وتمسح شعري المبتل وتضمني إلى صدرها.. ستأتي أنفاسها الهادئة المنسابة عبر الهاتف، قالت أكثر من ذلك.. ستأتي» .

مطر غزير يتساقط الآن.. كانت الرياح تحمل حبات المطر وتلطم بها وجه الشارع فيترامى إلى مسامعه صوت يشبه الى حد ما صوت تهشم الزجاج.. برق ورعد.. فكر «ربما منعها المطر.. لا أظن فقد سبق وأن تواعدنا ذات مرة ورغم المطر، جاءت.. يومها أبدت فرحها الغامر وهي تتأبط ذراعي والمطر يبللنا.. قالت :

ـ أنا أحب المشي تحت المطر.. وأنت ؟

لم أجب يومها لأني ببساطة أكره المشي تحت المطر ...

كل المحلات مغلقة.. سأنتظر نصف ساعة أخرى.. ارتفع شخير الجسد القادم من المبنى.. نظر الى حيث ينطلق الصوت «... ربمَا تكون هي.. جاءت مبكرة.. انتظرتني.. ولما طال انتظارها.. آوت إلى هذا المكان، فأخذها النعاس» خطا خطوات معدودة جهة الصوت، لكنه وقف متهما نفسه

بالجنون... أحس بارتخاء في مفاصله.. لم يكترث للأمر... أدار وجهه صوب أول الشارع وراقب بانتباه.

«ستأتي، وسأنتظر ساعة أخرى»، وتذكر.. «لو حادثتها بالهاتف مذ وصلت لعرفت السبب.. يا الله كيف لم تخطر هذه الفكرة على بالي.. الآن فات الأوان... كل الأماكن مغلقة».

أحس بنمنمة في ساقه حك الساق.. ازدادت النمنمة.. ضغط على ساقه باطراف أصابعه.. أحس بوهن في جسده وارتفاع في درجة حرارته.. أغمض عينيه فشعر بدوار جعله يتكيء بكتفه الى الجدار الإسمنتي. «ستأتي.. سأنتظرها وإن استدعى الأمر حتى الصباح».

انتشرت النمنمة في أنحاء جسده.. حك ما استطاع.. أحس أنسلاخا في الجلد.. ارتعب وراقب أول الشارع.. درجة حرارته في ارتفاع مطرد.. حاول الخروج من المبنى.. خطا خطوات معدودة.. ارتجف وهو يحس بانسلاخ اللحم عن العظم.. برقت السماء فبانت للحظات تفاصيل الشارع واليافطة الزرقاء .. صمت شخير الجسد في زاوية المبنى.. وبعد لحظات سمع صوتا محشرجا ـ من ؟ ثم، ودون أن يلتفت جهة الصوت ركض في الشارع بضعة أمتار ثم أبطأ الخطو.. مشى بضع خطوات ثم أحس بأنه ما عاد يستطيع حمل رأسه.

«أمشي إلى أول الشارع علّني أجد سيارة تقلني إلى البيت» هجس.. وعند أول الشارع لحظ ضوء سيارة.. قال في نفسه :

ـ هي

وانتظر

ابتلت ملابسه بالماء تماما يسمع صوت لهاثه.. مرقت السيارة مسرعة.. أحس أن الزمن يطبق عليه.. مشى باتجاه أول الشارع.. لاحظ ضوء سيارة.. وقف،، توقفت السيارة إلى جواره.. لا أحد فيها سوى السائق.. صعد.. جلس إلى جوار السائق وهو يرتجف..

قال السائق :

ـ هذه المدينة في الشتاء تشبه المقبرة !!

ـ منذ أكثر من ساعتين وأنا واقف أنتظر سيارة تقلني.

ـ قبل أكثر من ساعتين وجدت جثة امرأة هنا عند أول الشارع.

فتح عينيه على وسعهما.. حدق في وجه السائق وشهق.

قصـــــائد

عبد العزيز الحاجي

«... وإذا بصوت طفل يلعلع
وسط الجمــيع : الملك عَار!!!
الملك عَارٍ !!!».
(عن أسطورة قديمة)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1) صورتان

..... عاليا
في البرواز الرّابض فوق جهاز التلفزيون...
الصّورة صورة طفلي
يضحك لي
ويغامزني...
بيننا ... في الشّاشة كان الصّنم المخلد
يلحن حينا

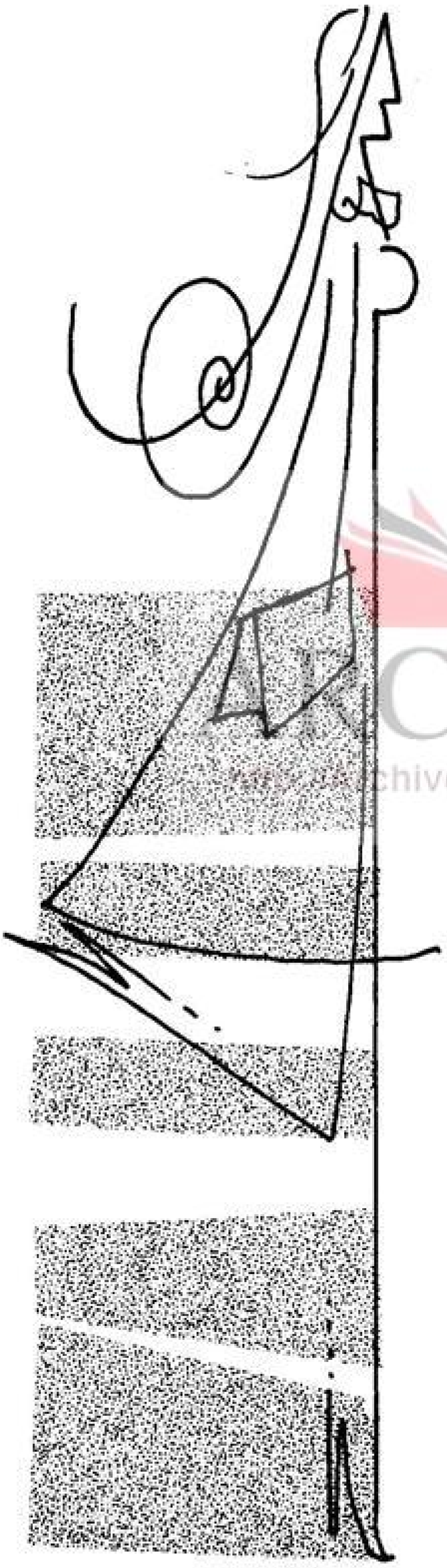

ويغمغم أحيانا
ـ طبق العادة ـ
في خطبته...
والمشبوهون...
بآسمه... يلهبون الحناجر
لا شيء غير سفاهاتهم
وأباطيله... ينشدون !!.

2) حواسّ مبتورة

... عينان وعشر أصابع ...
شبح... يغري كلَّ صباح
أمعاء المزابل !!!.

3) كابوس

بتّ وبات خاتمي
منعّم الأنامل...
فكيف ـ إذ أفقت ـ قد ألفيته
مفلّغ الأظافر...
ينزفني دمًا... وكهرمانا دامعا
بين يدي جنّيّة مسعورة
وساحـــــــــــر ؟ ؟ ! .

4) غلمة

... يا لها أنثى
تتلوّى... مثل أفعى

في فراشي !!!
كلّما فاتيتها الفيتني ـ كفنا ـ
أفَاتي عشرات من صبايا
قعرات... يتحدّين روائي
وعُطاشَي !!!.
وهي ـ إذ تقرد ـ يخبو جمرها
رَهوًا
فرَهوًا
وكما الفينيق تبلو محنة النّار
ولا ترضى بأقدار الفراش .

إصدارات جديدة

الطفل
وثقافة الصورة (*)

صاحت البنت وقد رأت في بيتها فأرا :

ـ عجيب، أشاهد للمرّة الأولى فأرا لا يشبه «ميكي ماوس».

هذه الطرفة التي قرأتها في مجلّة للأطفال عربيّة تختزل على نحو عميق العلائق التي تصل الطفل الحديث بثقافة الصورة.

فهي تشير إلى أنّ الصّورة باتت الأصل الذي إليه يفزع الطّفل، وبه يستدلّ، وعليه يعوّل كلّما تأمّل العالم أو تأوّله. والعالم ليس مرجع الصّورة، وإنّما الصّورة أضحت مرجع العالم، وعلى هذا فليست الحياة هي التي تخلع على الصّورة معنى، وإنّما الصّورة هي التي صارت تضخّ الحياة بماء المعنى.

يلاحظ «كاسيرر» أنّ الإنسان حين خرج من عالم الطبيعة إلى مملكة الثقافة بات يحيا في عالم رمزيّ، فالثقافة بمختلف تعبيراتها حاكت شبكة من الرّموز غطّت العالم وورات خلفها الأشياء. وبذلك لم يعد الانسان قادرا على محاورة الواقع وجها لوجه، أو التملّي في ملامحه دون وسائط وإنّما أصبح ينظر إليه من خلال تلك الشبكة... هكذا تلفّع العالم بالأشكال الرمزيّة حتى أصبح الانسان لا يرى شيئا إلاّ بوساطة منها.

فالثقافة ليست كما يقول بعضهم «الذاكرة الطويلة الأمد للجماعة»، وإنّما

(*) قدمت هذه المداخلة في ندوة «حول أدب الطفولة والناشئة في تونس» التي نظمها اتحاد الكتاب (10 و 11 اكتوبر 1998).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

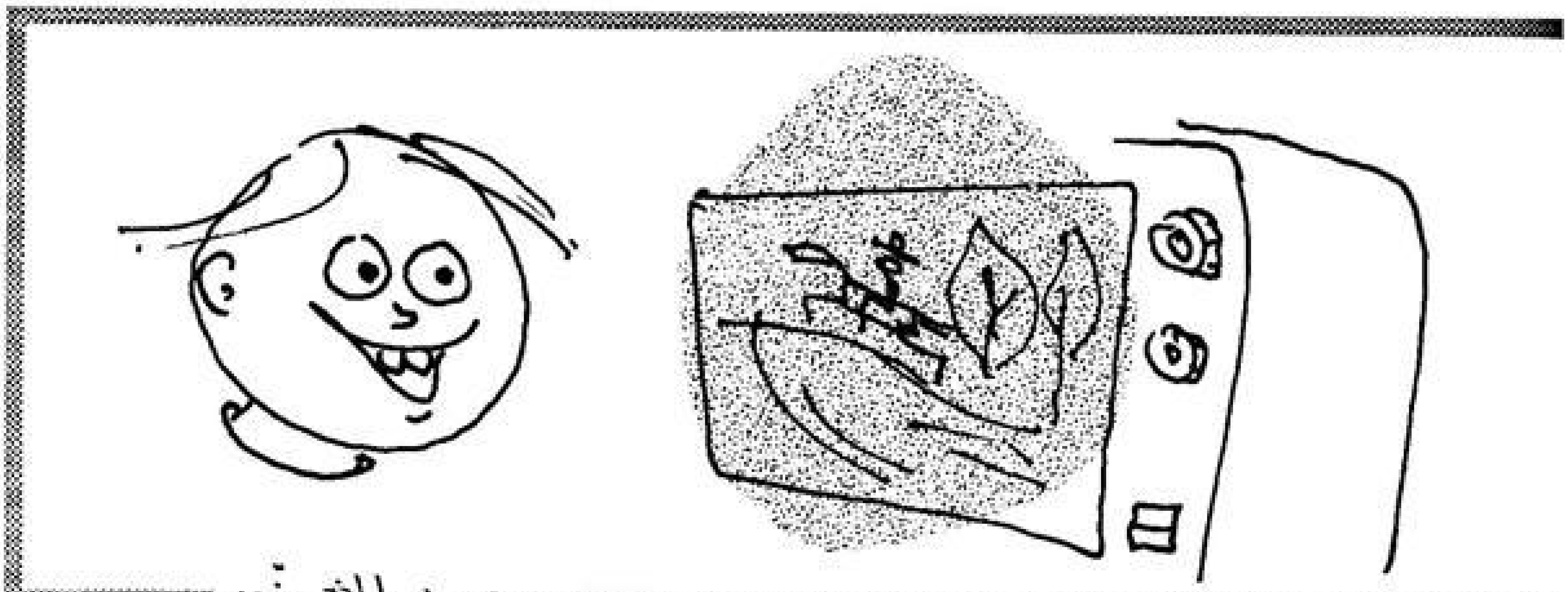

محمد الغزّي

هي في المقام الأوّل طريقة وعينا بالأشياء، وأسلوب تمثّلنا للعالم، فنحن لا ننظر إلى الواقع من خلال ذاكرة عمياء أو بيضاء، وإنّما من خلال ذاكرة موشومة بنار الثقافة التي تحمل. فالواقع الذي نبصر ليس واقعا غفلا وإنّما هو واقع تصوغه ثقافتنا، وتعيد بناءه على نحو جديد. وإذا ارتددنا إلى الطّرفة التي ذكرنا نلحظ أن العلامات نابت مناب الأشياء. فالصّورة التي هي علامة شيء آخر خارج عنها باتت هي الشيء ذاته فيما تحوّل الشيء إلى مجرّد قناع باهت اللّون والمعنى.

وإنّه لأمر ذو دلالة أن تستمدّ الطرفة عناصرها من السينما لا من الكتاب، ومن الصّورة لا من فن القول.

ولا شك أن ثقافة الصّورة بدأت تغنم مساحات كبيرة في ثقافة الطفولة، وقد جنح إليها الطفل لما تنطوى عليه هذه الثقافة من سحر وفتنة قد لا يلفيهما في ثقافة القول، فالسينما وعدٌ دائمٌ بالتطابق مع العالم، فهي تنطوى على قدرة فائقة على الإيهام.. فهي إذ تستخدم الصّورة لا تجزّىء الواقع إلى أصوات ومفاهيم كما هو الحال بالنسبة إلى اللّغة وإنّما تعمد من خلال خدعها الكثيرة إلى اقناعنا بأنها استنساخٌ للعالم، بل نقلٌ له بحيث تتطابق الصّورة في ذهن المتقبّل مع الأصل تطابقا لا يمكن فصم عراه.

إن الكلمة في أصل عنصرها حمّالة أوجه تقول الشيء ونقيضه لكنّ الصورة تغرينا دائما بصدقها ومطابقتها للواقع، ومنذ القديم أعتبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفلاسفة، والعلماء جارحة النظر سيّدة الجوارح بها نستدلّ على الحقيقة... على مطلق الحقيقة والمشاهدة خير دليل وانفتاح الطّفل التونسيّ على هذه الثقافة (أي ثقافة الصّورة) أفضى بالضرورة إلى الانفتاح على ثقافة الآخر يمتصّها ويستوعبها والطّفل، كل طفل يتفاعل ولا يتساءل، يتقبّل ولا يتأمّل، إنّه، بعبارة أخرى، يتلقّف هذه الثقافة ويستغرفها لتنتهي في آخر الأمر عنصرا من عناصر وجدانه الثقافي.

وثقافة الصورة هي ثقافة التقنية في أرقى تجليّاتها، اي ثقافة الآخر المتقدّم الذي ما فتىء يحوّل العالم إلى أشكال رمزية تخاطب جارحة النّظر لا جارحة السّمع.

هذه الثقافة ألغت الحدود بين الحضارات والأجناس واللّغات واستغرقت كلّ البلاد والقارات بحيث بات الطّفل، في كل بلاد العالم، يشاهد نمطا واحدا من الأشرطة، بل ربّما صار يشاهد الأشرطة ذاتها...

هذه الثقافة لها مركز واحد ينتجها فيما ظلّت بقيّة البلاد مجرّد هوامش وتخوم، تستهلك ما ينتج المركز، وفي أحسن الأحوال، تكتفي باستنساخه وإعادة إنتاجه.

والمتأمّل في أشرطة الأطفال التي تبثها التلفزيونات العربية يلحظ أنها جميعا قادمة علينا من العدوة الأخرى، توظّف جملة من الحكايات والخرافات والقصص هي بالتراث الغربي أمسّ رحما.

إنني لا أسعى بالطبع إلى التهوين من شأن هذه الأشرطة أو الإزراء بقيمتها الجمالية، فبعضها يمثّل إنجازا فنيّا باهرا، لكنّني اريد أن أقول إنّ هذه الأشرطة تحمل مثل كلّ خطاب فنّي رسالة، وهذه الرّسالة لم تكتبها ثقافتنا ولم تصغ أسئلتها حضارتنا. والرّسالة التي تحملها الأشرطة الطفليّة هي برسالة الشّعر أوثق صلّة أي أنّها رسالة تتوارى خلف ضروب من الزّخرف والزّينة عديدة فلا تكاد تظهر أو تبين.

لكن خفاءها لا يعني غيابها.

فالقـراءة المتـأنيّة لتلك الأشرطة تـؤكّد أنّ منابتهـا لا توجد، كـما يزعم البـعض من مخـرجيهـا في الوجدان الجـمعي للأطـفال، وإنّما فـي وجدان الحضارة التي أنتجتها.

والطّفل، على حداثة سنّه، ليس كائنا طبيعيا وإنّما هو كائن ثقافيّ وشمته حضارته بنار رموزها الاجـتماعية والثقافـية والفكرية، وحال أطفالنا وهم يمتحـون ثقافتهم من هذا المصدر الواحـد (المصدر الغربي) شبيـهة بحال رجل يمتح كل ثقافته من كتب مترجمة.

نحن ندرك أن صناعـة أشـرطة عـربيّـة للأطفال تـحفّ بها مـلابسـات اقتصاديّة وفنيّة شتّى. لكن الأمـر بات ملحًا بحيث لا نستطيع التغاضي عنه أو التهوين من شأنه.

لقد استـعرض الباحث «رضا الطيّـار» في كتابه «السينمـا والصّغار»، مـحاولات بعض البـلاد العـربيّة في إنتـاج أشرطـة للأطفال، ونوّه بعـديد الأشرطة الجادّة لبعض الفنّانين العرب، لكنّه سرعان ما استدرك قائلا : «إنّ ظروف الصّناعة لم تسمح للفنّانين العرب بتـوظيف كل امكاناتهم، فتعثّرت بذلك جهودهم وربّما آلت إلى الضّياع».

وقد برهنت التجربة ـ كما يوضح الكاتب، أن الاسـتعانة بخبرات أجنبيّة في إنجاز أشرطة طفليّـة عربيّة تجربةٌ خائـبةٌ، لأنّ تلك الأشرطة تظلّ، رغم التمـويل العربي إنجازا أجنبيًـا، وأشار، على وجه الخصـوص، إلى شريط «الأميـرة والنّهر» الذي كتب حـواره «فيصل اليـاسري» وأخرجه المـخرج العالمي «باول مكادم» وأنجـــز موسيقـاه «ريتشارد بودوين» وتمّ تنفيذه في استيوديوهات استرالية راقيـة للرّسوم المتحرّكة لكنّ هذا الشريط جاء غيـر معبّـر عن الملامح الشّرقـيّةً، فقـد رسم النّخيل في شكل شجـر جوز الهند، شبـيه بتلك الأشكال المـتداولـــة في أشرطة الرّسـوم المتحـرّكة الامريكية، وجـــاءت الموسيقى غربـيـة النّغمات تعزف بآلات غريبة عـــن الشرق... بسـبـب من هـــذا كـلّــه وجب التعويل على الخبرة العربيّة،

وهذه الخبرة، على ما يشير الباحث رضا الطيّار، متوافرة، لكن تعوزها الإمكانات الماديّة التي تسندها.

طرحت الخطّة الشاملة للثقافة العربية التي وافق عليها المؤتمر الخامس للوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي المنعقد بتونس بتاريخ 26/ 27/ 28 ـ 11 ـ 1985 وأقرّها أيضا المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنعقد بتونس بتاريخ 21/ 24 ـ 12ـ 1985 قلنا طرحت هذه الخطة تصوّرها لثقافة الطفل العربي فقالت بالخصوص ليس ثمّة مناص من تخطيط ثقافي خاص بالطفل العربي يستهدف إنقاذ الجانب الثقافي من شخصيته ويستكمل فيه التكوين القومي.

هل المسألة منوطة إذن بقرار سياسي يذلل الصعاب على تعددها ويمهّد الطريق للخبرة العربية تنجز مشروعها، إنّ نظام الثقافة الجديد نظام سياسيّ يتخفّى وراء قناع فنّي، لذا وجب أن تصاغ إجابة من أصل عنصره أعني إجابة سياسيّة تستغرق كلّ مجالات الحياة، ومن عناصر هذه الإجابة «ثقافة الطفل» من حيث هي أداة من أدوات الحماية: حماية الرّوح والوجدان.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في هذا السيّاق يمكن أن نعتبر «الكتاب» شكلا من أشكال الحماية، على قصور هذه الأداة الثقافية وتراجع سلطانها الأدبي..

وللكتاب في حضارتنا منزلة وحضور، وفيها قد ارتبط بمعان قدسيّة شتّى.

ولقد كانت تجربة كلّ واحد منّا مع «كتاب الطفل» من أرسخ التجارب في الذاكرة والوجدان، وما زلت إلى اليوم أذكر القصص الأولى التي قرأت في حداثتي، وما زلت أذكر صورها وألوان حروفها وروائح أوراقها... في ذلك العهد كانت القراءة نظرا ولمسا وشمّاً، أي كانت التهاما، للعالم عن طريق الكلمات... كانت الدوّال موصولة بالمدلولات وصل تآلف وانسجام. فالعلائق لم تنفصم بعد بين الرّمز والمرموز إليه، وشواجر الأرحام لم تنقطع بين الجسد والكلمة... لم أكن أقرأ القصّة فحسب بل كنت أدنو من

الشخوص فأبصرها، وأمدّ يدي إلى الأشياء فألمسها... لقد كانت القراءة استنفارًا لكلّ الجوارح، وإذكاءً لجميع الحواس، أي كانت بعبارة أخرى عيدا من أعياد الجسد والخيال والرّوح.

لا أريد أن أسحب تجربتي المخصوصة على تجارب الأطفال لكني أستطيع القول إنّ تجربة القراءة تظلّ في الظروف الراهنة إجابة ثانية ممكنة على أسئلة «الثقافة الجديدة» مع الإقرار بأنّ ثقافة الصّورة لا يمكن أن نواجهها إلاّ بثقافة مماثلة...

إنّ «المدوّن» قد يسدّ في ظرفنا الحالي نقصا ويرتق فتقا ويسهم في مناعة الطّفل وجدانيًا وثقافيًا...

لكن ينبغي الاعتراف بأن ثقافتنا العربية المعاصرة لم تول هذا الأدب الطّفلي العناية التي يستحق وحسبنا أن نشير إلى نقادنا ودارسينا الذين لم يقرؤوا نصوصه ترفّعا أو تعفّفا أو بحثا عن سلامة موهومة وظلّ بسبب من هذا مجهولا يشقّ على الدّارس تقويمه، لكأنّ أدب الأطفال يمثّل الدرجة الدّنيا من الكتابة، لهذا أشاح النقاد عنه فلم ينعطفوا عليه بالدّراسة والتحليل فليس غريبا، أن يظلّ خارج الأدب على اندراجه فيه، قابعا في حوافه يصبو إلى شرعيّة نقديّة تسوّغ حضوره.

إنّ التهوين من شأن هذا الأدب تنهض له أسباب عديدة لعلّ أقربها تمحّل كتّاب بلا موهبة تأليف قصص للأطفال متهافتة، ولعلّ أعمقها تنكّب مبدعيها الكبّار عن مباشرته والخوض فيه...

هذه المرحلة تستوجب كتابة نمط من الأدب الطّفلي الذي لا يكتفي باستعادة حكاياتنا التراثيّة وخرافاتنا الشعبيّة وإنّما يبدع تراثا خياليًا جديدا يقول لحظتنا بطرائق رمزيّة جديدة.

إنّ منطق الإبداع واحدٌ وإنّ تعدّدت الأجناس واختلفت طرق الأداء والصّياغة وقصص الأطفال مثلها مثل أيّ نوع أدبي آخر تحتاج إلى «لوثة» الإبداع لتأتي على غير مثال سابق أو لاحق.

الأمطار هي في مكان آخر

فتحي قمري

[إلى ميلان كونديرا... الأمطار
مثل الحياة هي في مكان آخر..]

في صباح بارد وحزين يجذب النّهر أطراف ثوبه .
تنام مياهه المذعورة في جوف الأرض بلا معنى .
تستيقظ الكائنات ملأى بدوار وذعـــــر عميقين .
تنتشر في الغاب رائحة موت فجئي .
في صباح غاضب ومضجر تهرّب الأشجار عصافيرها.
تبحث في الأرض عن مكان لأيديها كي لا تسقط من هول الرّيح.
وتخبّىء ظلالها الخائفة في عيون العصافير .
في البيت الدّافىء الصّغير،
أحلم بأمطار تدقّ على نافذتي مثل أغنية ذابحة في العراء.
مثل طرقات أعشاب ليّنة على الرّمل.
مثل ضجّة أصابع تتكسّر في الرّيح .

أفكّر في صواعق تقود إلى الهالة،
وبروق مائيّة تدقّ على النّافذة بشغف مثل غريق.
في صباح ممطر وفجيّء تُفْتَحُ في الغاب جروح جمّة..
تندلق الأوراق وتنام على الأرض،
يتيبّس التّراب من فرط البرد ومن أثر أحذية حمقاء،
تهوي طيور ضائعة على الأعتاب بشكل مربك.
وتصعد في الغاب رائحة قديمة !

أمطار ساخنة وشاحبة بشكل ما،
تهبني رقّة ورقة تسبح في النّهر العاتي وقدرتها.
تهبني غبطة أسماك تركض،
تركض في البحر ولا تتعب،
الأمطار أجساد أثيريّة صغيرة وشفّافة.
الأمطار كائنات هشّة مثل أحلام الماء
الأمطار ...... الخطوط المتساقطة والغائمة مثل سماء تماما،
من أين تأتي؟ ولماذا أثارت في قلبي كلّ هذا المجد ؟
في صباح مليىء بالدّمار والحركات العاتية،
تتسابق كائنات الغاب نحو الموت.
يضجّ الغاب بدموع حيّة مثل أمطار تسحق على الرّصيف.
ثمّ يجنّ الغاب من فرط الفوضى
في صباح غير عاديّ، ينهار الغاب.
تمّحي آثار الغناء القديمة.
فيما تدقّ الأمطار على الجثث بقسوة صباح غير عاديّ.
من أيّ ثقب تدخل الأمطار وتصيب حذائي بلعابها السّاخن ؟
من أيّ مكان تأتي الأمطار وتداهم البيت الدافىء الصّغير ؟
الأمطار لم تعد كائنات هشّة مثل أحلام الماء !
الأمطار صارت أصواتا تهرول في الغرفة.
تنهمك في الأشياء وفي جسدي
الأمطار ... آه
أشعر بدوار وذعر عميقين !
أشعر بثقل كثيف !!
لكن من أيّ مكان تأتي الأمطار ! ؟ .

ـ صيف 97 ـ

قصة

المستثنى (*)

علياء التابعي

أزحت أغطيتي وخرجت إلى غرفة الاستحمام عاري القدمين يلذعني البرد فأستلذّه ورأسي تدور من الخمر وكره الناس والدّنيا فكرت تحت الماء الحارق، يغمرني بالدفء والبخار، أنها لحظات النهار الوحيدة الأقرب إليّ، فيها أستطيع البكاء والغناء والصراخ حرًا. بعدها ألبس بشريّتي وأخرج الى الغاب والمقت.

حلقت ذقني وعثرت على جورب نظيف في قاع خزانتي. علا صفير القهوة فتركت فردة الحذاء التي كنت ألمَعها جانبا وجلست في الصالون أدخن وأشرب قهوتي على مهل، منصتا إلى الهادي الجويني. فكرت أنه يغنّي بلغة اندثرت وفرّت من أكثر الخلق معانيها. فكرت في الدوعاجي ثم في محمد العريبي وعبد العزيز العروي والكونغو برازافيل وفي موتى فلسطين 48 من التونسين المتطوعين. قلت مقهقها ومريضا «فكّر في أعمدة الرخام الوردي وفي الزجاج المدخن وفي المرايا الصقيلة وحدّد موعدا مع البانكاجي لعله يعفو عن انحدار رصيدك الى ما تحت الصفر بمائتي دينار هذا الشهر... قالّو كونغو برازافيل...»

أغرقت في الضحك من جديد حتى دمعت عيناي وقلت قاطعا إنني لو كنت في أمريكا لصنفوني عدوًا للمجتمع وللجنس البشري وإنني نشاز في معزوفة السلوك الإيجابي وقوانين الاجتماع والعدد ولزجّوا بي في مركز تأهيل يقوّم ما اعوجّ مني وما انحرف.

أخذت سترتي وألقيت نظرة على محتوى حقيبتي من أوراق وملفات ثم

* فصل من رواية

خرجت كُـرْهًـا إلى العمل وإلى لقيا الشمس وزملاء المكتب.

لم ألمس نورة لأنها غسلتني من الدمع ورمـاد السجائر وإذا نمت وقفت حارسا يمنع عني كيد حكاياتي القديمة.

أراها في نومـي تنظر إلى وترى الدابة داخـلي تركن إلى الصـمـت علّني أدّعي نصرا عليهـا فتقهقه. وحـدها نورة تعلم أن الدابة خرجت لي من عمق المحيط وأرتني وجهـها، وأنني رأيتها ولقيتهـا فتركت الناس وخرجت إلى الخلاء، انتظر كتاب الضحك والنسيان.

لم ألمسـها كي لا أشرب دمـها وروحها وأهلكهـا بيدي حين سـترى من نفسهـا ما سترى فيـتهشم قنديلها وتشـتعل الحجب من حولهـا ويميط لها الأذى اللثام عن وجهه فتساق إلى الكبر صاغرة، إذ لا شيء غير الكبر يحمي المكشوفة أرواحهم ودوابهم من قبورهم المفـتوحة كل ساعة عند أقدامهم، تنتظر العثرة.

أخذت غرفتي في برشلونة. فـككت أحزمة حقيبتي وأخـذت منها منشفة ولوازم الحلاقة ثم خلعت ثيابي ودخلت تحت الماء.

لم تكن تونس قد نأت بعد عنّـي. ثلاث ساعـات لا غيـر تفصلني عنهـا وروائحها ما زالت فيّ وشوارعها وناسها وخراباتها وغضبها مني وعزوفي عن لحمها.

كانت رغـوة الصابون حنـونة أليفـة فوق جلدي ،مزاجـي رائق. صوت التلفاز يلغط بالإسـبانية ورأسي تركض فيهـا صور عن برشلونة وقراءات وشعر نزار قباني الرث عن رأس السنة في مدريد.

خرجت من الحمام تاركا الماء يرشح مني وطرحت المنشفة على الفراش ثم تمددت ودخنت. أحـسستني في نقطة من الأرض مـمغنطة مؤنثة وغـير محـايدة، كمـا في بعض أحياء تونس. هنا فكرت، أستطيع المـشي طويلا والحديث بأي لغة تعترض لساني والنزول إلى الليل بلا وجل.

كانت قد جلست حذوي في الطائرة سيدة هولاندية قدمت إلى تونس في عـمل مع ديوان السـيـاحـة ثم أخذت الـطائرة إلى برشلونة لزيارة ابنتـهـا

المتزوجة والمستقرة هناك منذ سنين. قالت إنها تسكن أمستردام فدارت رأسي بلا خمر.

أشعلت سيجارتها حالما رنّ جرس الأمان بينما انتظرتُ أنا قليلا ريثما تهدأ أنفاسي بعد ضغط الإقلاع.

- يبدو أنك تخاف ركوب الطائرة، قالت بالفرنسية وبصوت فيه بحّة لذيذة.

ابتسمت مجيبا :

- تزعجني حركات المضيفة وتعليمات السلامة الآتية من البوق، تبدو لي زائدة لأنني لو حصلت الكارثة لما تحركت ولَمَا وجدت عقلا يدلني إلى قناع الأوكسجين.. في كل الحالات، أفضل الهروب إلى بعض الشعر أستذكره ريثما ترتفع الطائرة...

ضحكت لنفسي لأني في الحقيقة لا أستذكر شعرا بل أقرأ الفاتحة وأطلق الشهادتين بهما أستعد للطوارىء.

قالت إن اسمها ايزابيل وإنها فرنسية المولد، بولونية الأصل... لم تكن جميلة، غريبة مغرية. ولكن كانت في عينيها قدحة من يأس أو من جنون. تحدثنا في السياسة وفي الإعلامية وفي الاقتصاد وعرفت أنني ذاهب إلى باريس لحضور معرض وحكينا عن براغ وفارصوفيا وفيينا وفهمت أنها يهودية وعفوت عن وخزة الألم التي شكّت جنبي بغير إرادة مني والتي داريتها بمزيد من التركيز والجدية وبكثير من التهذيب واللطف، عرفت أنها ذكية ومطلعة، أفكارها واضحة وحركاتها قليلة هادئة. مججت دما ومسحته بمنديلي ولم تر هي على المنديل حمرة ولا ما يريب. بدأت كهارب مبهمة تتحرك بيني وبينها، فيها شبق فادح واستفهام عميق. لم تخف طلبها ولن تعلن عنه وبهرني ضحكها الذي كانت ترسله بعفوية ناضجة كلما شعرت أنني فهمت وأغضيت.

قالت ايزابيل كأنّها تحدث نفسها أن الناس كالأمكنة، بعضهم ناطق وبعضهم ساكت هامد، فلم أعلّق. فكرت أنه رأي مثل آخر وأن مقطوعي

الرؤوس والأسلاك هم ملح الأرض يطرحون للناس الضحكة واللمحة والرغبة الطازجة وثمار اليأس والحكمة.

ـ ماذا ستفعل في برشلونة عدا الإنصات للأدمغة النيِّرة الذكية ؟

ـ سآخذ عدّتي من الموسيقى وربطات العَنق.

ـ هل تتعشى معي هذه الليلة ؟

لم يكن من هذه بد.

ـ أخشى أن يخيب ظنك فيَّ...

ـ هذا جواب عن سؤال لم أطرحه.

ـ ولكنه بيننا بشكل ما...

دخنت ايزابيل ونظرت طويلا إلى النافذة. أردت التوضح والاستدراك ولكن الكلمات لم تطعني ولم تعد هي إلى الحديث إلا بعد أن مررنا من حاجز الشرطة والقمارق. وقفنا في بهو المطار، كل حقيبته في يده ومعطفه.

ـ ايزابيل... يسعدني فعلا أن نقضي السهرة معا... لست أدري كيف ستتصرفين مع ابنتك...

ـ قلت لها إنني سأهتف لها يوم وصولي. في أي فندق نزلت ؟

أخرجت من جيبي عنوان النزل وهاتفه وكتبته على طرف تذكرتها

ـ سأخاطبك حوالي العاشرة. برشلونة تحب الليل والسهر... سأمر عليك بالتاكسي لأنني سأكون على بعد شارعين منك...

خرجت إلى الشمس والنخيل وصعدت قبلي الى التاكسي، وقبل أن تغلق بابها قالت :

ـ لن أغويك، اطمئن.

تراجعت خطوتين ثم ضربت صدري مرتين وقلت هازلا ومسرحيا :

ـ غوايتي هنا ...

وأنا ممدّد فوق الفراش بعد الحمام، كنت أردد :

ـ ماذا ستفعل وأنت عاشق ؟

قبل العاشرة بقليل، ارتديت ثيابي وجلست على حافة الفراش أنتظر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رنين الهاتف ومجيئها.

خلف زجاج النافذة، والتاكسي منحدرة إلى الرامبلا، رأيت الزّحام ومقاعد الشارع العامرة بالعشاق والشيوخ وباعة القسطل والأضواء والألوان وأهل الليل المباركين، في آذانهم أقراط وشعورهم منتصبة كالحراشف على ظهور الديناصورات. أحسستني غريبا وسعيدا وفي قلب الدوار ومنفصلا ووحيدا وفرحا بالحياة وراغبا في شق جلدي.

في المطعم، شربنا النبيذ، ولم آكل سوى القليل مما وضع أمامي كالعادة وأنصتُّ إلى ايزابيل.

حدثتني عن رمبرانت ودورار وفان غوغ وكان كل اسم ينادي لوحة داخل رأسي باسمها فتنبري على رسلها وتنطلق الخطوط والتفاصيل من حبسها وتصعد الألوان الى حنجرتي فأغصّ بها، عاجزا، مقطوع اليدين، وافر البحر. كانت تعلم أنني أسمعها من وسط الأسماء لا خارجها، لا أضيف شيئا الى ما قيل قبلي وبلغة أحسن مني.

ثم قالت إنها ستجري عملية بعد أسبوعين على صدرها وقد يقطع الجّراح كلا الثديين.

نظرت إلى الجالسين من حولنا وأمامنا ثم إلى قاع صحني.

ـ في حياتي أسئلة مؤلمة، قلت في الأخير. بعضها زائف ولا محل له وبعضها حقيقي صادق. نحن نتحدث منذ ساعات...

ثم صمت، خجلا. وضعت يدها على يدي فقلت :

ـ أنتِ لا تعرفينني...

رأيتُ دمها تحت تنورتها على غير علم منها وردة كالدهان فأضفت :

ـ هذا رقم هاتفي في تونس فاطلبيني في أي وقت شئت وفي الثالثة صباحا إذا أردت... تمنيت لكنني لا أستطيع... هناك امرأة في حياتي، أحبها ولكنها لا تعلم...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنْ جُثِّتِ الحركاتُ

أحمد ضيف الله العواضي
(صنعاء)

ـ 1 ـ

إن جـثَّت الحركـات لا مسـتفـعلن يجدي، ولا بلد يحـبك يا فـتى. هذا رخام الشـعر أوله معلقـة وآخره أقل من الهباء. خسـرت سيفك مرتين. إلى الأمام ترى الفواكـه والنساء دمى من المطاط. هل تمـضي القصـيدة كلمـا اكتملت الى أقصـى من امرأة الخيال. وهل سنمضي بعد تاريخ من الإسراء والمـعراج والفـتح المـبين إلى مـدى أقصى من الـشرطي في أفق القـبيله. جثّت الحركات. لا بلد يحبك يا فتى إلا الصحارى القـاحلات ومطعم الغرباء. لا بلد يحـبك يا فتى إلا رخـام الشعـر أوله معلقة وآخره فـضـاء. أنت حرّ خذ من الحـزن المـفـاجىء ريش أجنحـة الغناء. وطر، وغنِّ أيمـا جهة سـتألف وحشـة الأسفار. لا بلد يحـبك يا فتى الاّ المهرج، والنساء، وآهة المطاط. لا شيء يدل على طريقك غير ظل للمعلقة العجـوز وما تبقى في المـضارب من تجاعيد البكاء.

ـ 2 ـ

مـتفـاعلن مـتفـاعلن. في غـيمـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأسفار خمس فـوائد. لا حلم الاّ مـا يخطّ على زجاج الرّوح معنى للتــأمّل في مـرايا الـكائنات. ولا زمـان سـوى المكـان. فكفّ عن دورانك العـبثي كي يتـرتب الحلم البطيء موشحا. لا الروح ملّ، ولا الخـفيّ من العـوالم دلّ أسفـاري عـلى بـلـد أحبّ، يـدور فـي فلـك القـصيـدة خطوتين إلى الأمـام. فـوائد الأسـفار خـمس في مـرايا الكـائنات : دبـيب نمـل فـاعـلن مـتـفـاعلن، وجناح نـحـل فـاعل متفاعلن، وشذى الأزهار، وسنبلة تجود، وغيمـة الأحلام تهطل كلما فتشت في الأشـواق عن بلد يحبك يا فـتى... مـتفاعلن مـتـفـاعلن.. سترى المدى قفرا وفوضى الوقت أيتها القبائل والدخان.

ـ 3 ـ

وقف الفـتى في أول الأسـفـار مندهشـا يتمتم : مـا أظن أديم هذا الأفق إلاّ من رفات قبائل غابت لكي تتمسـرح الطرقـات ثم تعود. مـا جـدوى الشجـون. ومـا أظن أديم هذي الأرض الاّ من حطام قـبـائل النخل العـجوز. إلى الأمـام لنودع الفوضى لـجيل بعدنا. ونـقول من أسـمـائنا الفـوضى. ونبكي كلمـا طارت إلى مـا بعد أسوار الطـفولة كلّ أسراب الحمام.

ـ 4 ـ

وقف الفـتى في آخر الأسـفـار مضطربا ينادي : أيها البلد الجميل أنا المـسـافـر كـلمـا (حـجـيت) بالأشـواق زلفى.. لا أراك ! وأنت في روحي شـراع الغـيب. ترتيب المشاعر لا يهم. أنا أحبّك. كلمـا هيأت أغنيتي تفرّ اليك.. كيف تراك في أسفارها وأنا المسافر لا أراك. وليس لي إلاّ سراج الشـعـر ـ حين تغيب في الظلمات ـ فـاتحة التنبؤ. أيهـا البلد الـمـفـصّص بالنجـوم وبالشجون وبالطيور وآية الرّمان. مـا لي لا أراك. وكلمـا حـاولت فاجأني فناء الـوقت. هل سأموت كي تحيا فيـحييني هواك. أنا هوًى مـتـجدد في بعض صـوتك أو صـداك. تعـبت من شـجني عليك.

وكلما وجهت ذاكرتي إلى جهة تعود... كأنما الدّنيا بلاد الله ليس بها سواك.

ـ 5 ـ

علّق هواك على هواك لتشعل الذكرى. وغامر أيّما جهة ستألف وحشة الأسفار لا الفوضى تعين ولا نظام الري يمنحني الطعام. إلى الأمام.. ترى المهرج كلّما اشتد الظلام يغيب بين مواسم التنجيم. هل سنلملم الفوضى إلى الفوضى لجيل بعدنا ؟.. ليرى معلقة من الفوضى على صدر المهرج كالوسام.

ـ 6 ـ

القلب أشعل غابة الذكرى ليعرف ما يريد. وياقة الجندي لا تقوى على حمل النبوءة. لا زمان لكي نقاوم ما استجدّ. ولا مكان لنزرع الاحلام والقمح الفقير الى القبائل. أيها الوقت العجوز أتى المهرج يملأ الدنيا من الفوضى سنابل. لا جديد سوى الكلام

يغيب في الضحك القتيل. أتى المهرج كلما غنى تكاثر. في مدى الفوضى تكاثرت القبائل والجوارح والمهرج. ما استجد يموت كي تتكاثر الفوضى وتتسع القبائل، لا فتى إلاّ المهرج. غاب في الضحك القتيل لكي نمر إلى الأمام.

ـ 7 ـ

خرج الفتى من آخر الأسفار متّشحا خرافته وقال : سيعلم الاعراب أن القلب أصدق من جهات الأرض. لا جغرافيا الدنيا تعين ولا خطوط العرض تمنحني التأمّل والأمان. أنا مزاج الغيم. ترتيب المواسم لا يهمّ سأجمع الفوضى إلى الفوضى وأكتب إن للفوضى (يدا سلفت ودينا لا ينام).

ـ 8 ـ

إن جئت الحركات لا مستفعلن يجدي، ولا متفاعلات. حروف جرّ تربك المعنى وتبدي آهة الشعراء. تلك سيوفنا صدئت من التجويد. لا الإدغام أوصلنا إلى برّ الأمان. ولا الوقوف مبرّر إلاّ لوصل سلالة الاحلام بالاوهام. والصحراء حلم واحد متكرر النظرات. لا التكعيب أوصلنا إلى ما بعد خيمتنا. ولا النثر المشتت تحت أقدام المعلقة العجوز يشدّ أزر القادمين. بأي نصر سوف ندخل دار عبلة بالجواء. وأي وحيٍ يقنع العبسيَّ عنترة الفتى الفضيّ. في آهاتنا تتقاطع الكلمات. لكن القصائد أكثر الطرقات إيلاما إلى أطلالنا. فقفا لنبكي أكبر الأطلال في تاريخ أمتنا.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إصدارات جديدة

الأدب التونسي
في برامج التعليم الأساسي
بين الحضور والغياب (*)

ابـــراهـيـم درغــوثــي
مدير مدرسة إبتدائية (أم العرايس)

سأتناول بالبحث في هذه الورقة الأدب التـونسي في المرحلة الثانية من برامج التـعليم الأسـاسي (أي السنوات : السـابعـة والثـامنة والتـاسعـة) وستقتـصر مداخلتي على تتبّع هذا الأدب في نصوص القـراءة فقط لما في ذلك من أهميّة كبيرة خاصة وإنّ معدي البرامج الرسمية للمرحلة الثانية من التعليم الأسـاسي قد أولوا نصوص القراءة عناية فائقة محـددين لها أهدافا تساعد التلمـيذ على إغناء رصيده المعجمي والتركيبـي والأسلوبي لتجعله قادرا على تذوّق هذه النصوص والوقوف على مواطن الجمال فيها.

وإذ إنّي أثمّن هذا الجهـد الكبير الذي بذله الأساتذة في هذا البـاب فإنّني أعلن أن هدفي مـن هذا البـحث هو فـقط النّظـر في أشكال حـضـور الأدب التونسي في هذه النصـوص المختارة وهل أنّ هذا الحضـور مطابق لحجم هذا الأدب ومـسـتـجيب لتطلّعـات الأدباء التـونسيـين خاصـة وأن الخطاب الرسمـي يدعو إلى تجذيـر التلميذ الـتونسي في تربتـه وإلى أنفتاحـه على محـيطه الوطني (دون انغلاق) لينطلق بعـد ذلك إلى العالم الأرحب مـسلّحا بأصالته الوطنيّة وهويّته العربيّة.

١ ـ قراءة في كتاب النّصوص لتلاميذ السنة السابعة أساسي :

يشتـمل كتـاب النصوص الخـاص بتلامـيذ السنة السـابعة من التـعليم

(*) قدمت هذه المداخلة في ندوة «حول الأدب التونسي في البرامج المـدرسية» التي نظمها اتحاد الكتاب (23 ـ 24 ـ 25 اكتوبر 1998).

الأساسي على سبعة محاور. وتغطي هذه المحاور مجتمعة 72 نصًا تتفاوت عـدديًا من محـور إلى آخـر. فلئن كان عـدد النّصـوص في المحـاور الأوّل والثاني والخامس 12 نصًا فإنّ عدد النّـصوص ينزل إلى عشرة في المحور الثالث وتسعة في المحورين الرّابع والسّابع وثمانية في المحور السادس.

وإذا ألقينا نظرة متفحّصة على عناوين هذه المحاور فإنّنا نجدها تلتصق التصاقا حميميًـا بالطفل وبالعـالم القريب منه والمحبّب إلى نفسه (الأسرة والحيّ) والحكايات الخـاصّة بعالم الحـيوان وقصـص تخصّ شخصـيّات مشهـورة كعلاء الدّين والسّندباد البـحري وأشعب. كمـا أنّ هذه النّصوص تذهب بعـيدا بالطفل لتـحلّق به في عـوالم بعيـدة وغريبـةبعض الشيء عن محـيطه القـريب وذلك بجعله يطّلـع على بعض حكايات الشعـوب البدائـيّة كـالزّويل والغـجـر وغـيرهم. ولـكننا لن ننظر طويلا في مـضـامـين هذه

	الـمـحـور	عدد النصوص	نصوص لكتاب تونسيين	النسبة المائوية للنصوص التونسية من جملة نصوص المحور
1	الأسرة	12	01	% 08
2	الحيّ	12	02	% 16
3	الوطن	10	08	% 80
4	الأطفال في العالم	09	00	% 00
5	عالم الحيوان	12	01	% 08
6	شخصيّات قصصيّة	08	00	% 00
7	حكايات من الشعوب البدائية	90	01	% 11
	العدد الجملي	72	13	% 18

النّصـوص لأنّ غايتنا فـي هذه المداخلة هي قـبل كلّ شيء النّظر في مـدى حضور النصّ الإبداعي التونسي في هذه البرامج.

ونظرة سريعـة على هذه الجداول البيانيّـة التي سأقترحهـا عليكم تبيّن ضـآلة حـضـور هذا الأدب مـقـارنة مع النّصـوص المـصـريّة واللبنانيّـة والمترجمة من الآداب الأخرى :

أي أنّه من جملة 72 نصّا يقترحها مؤلّفو هذا الكتاب لم يقع اختيارهم إلاّ على 13 نصّا لكتّاب تونسيّين أي ما يعادل 18 % من جملة النّصوص.

ولولا تواجد مـحور «الوطن» من بيـن المحاور المـقـترحة على تلامـيذ السنّة السابعـة (وقد ألّف جلّ نصوص هذا المحور كـتّاب من تونس) لكان تواجد النـصّ الأدبي التّونسي في هذه السنّة شـبه معـدوم لأنّنا إذا طرحنا ثمانية نصوص من جملة 13 نصّا لبقي لنا خمسة نصوص فقط أي ما يمثل 6% من العدد الجملي لهذه النّصوص.

وممّا يلفت الانتباه أنّه من جملة 9 نصـوص نثريّة اختار المؤلّفون أربعة منها للأستاذ الطاهر قيقة وإثنين للبشير خريف وثلاثة نصوص لبقيّة كتّاب القصّة والرواية في تونس.

كما أنّ النّصوص الشعريّة الأربعة المقـترحة على تلاميذ السنّة السابعة هيمن عليها ثلاثة شعراء فقط : (نصّان لأحمد اللغماني ونصّ للشابي ونصّ لجعفر ماجد).

وممّا استـغربت له كثيرا عـدم إدراج نصوص قصصيّة للأديب مـحمود بلعيد ضمن النّصوص المقتـرحة في واحد من المحاور التالية : «الوطن» و «الأطفال في الـعالم» و «عالم الحـيوان» والرجل مـعروف باهتـمامـه بهذه الأجواء وجلّ نصوصه تحوم حول هذه المواضيع.

كما استـغربت من عدم إدراج نصّ أو نصوص من الشّعر الـحرّ لشعراء تونسيّـين حتّى يكتـشف الأطفال أنّنا نملك في تونس شـعراء غيـر الشابي واللغماني وماجد نفخر بهم ونعتزّ بإسهامهم الأدبي والفكري.

II ـ نصوص السنّة الثامنة :

وإذا كان حـال النصّ الإبداعي التونسي في كـتاب السنّة السّـابعة كـما

ذكرنا فإنّ الأمر سيختلف بعض الشيء مع كتاب النّصوص المبرمج لتلاميذ السنّة الثّامنة إذ أن نسبة حضور الأدب التونسي ستزداد لتصل إلى حدود الثلاثين بالمائة كما أنّ أسماء جديدة لأدباء شبان ستظهر على الساحة من أمثال محمد رضا الكافي وعروسية النّالوتي وبوراوي عجينة ومحمود طرشونة إلاّ أنّ ما يلفت الانتباه في هذه السنّة أيضا غياب كلّ شعراء تونس وعدم إدراج نصوص لهم إذا استثنينا ثلاثة شعراء (جعفر ماجد - أُدْرِجَ له نصّان - وللشّابي - نصّ واحد - وللغماني - نصّ واحد) ونفس الملاحظة أسوقها للنّصوص النثريّة التي هيمن عليها البشير المجدوب (4 نصوص) والطاهر قيقة (نصّان).

والجدول البياني يغنينا عن كلّ بيان :

III - نصوص السنّة التاسعة :

	المحور	عدد النصوص	نصوص لكتّاب تونسيين	النسبة المائوية للنصوص التونسية من جملة نصوص المحور
1	مسرّات عائلية	12	04	% 33
2	مظاهر الحياة في الريّف والمدينة	17	04	% 23
3	الطّبيعة	12	03	% 25
4	الترفيه والثقافة	11	01	% 9
5	عظماء الإنسانية	07	02	% 28
6	اكتشاف العالم	09	02	% 22
7	مشاعر وأحاسيس	13	06	% 46
	الجملة	81	22	% 27

مرّة أخرى يتجاهل معدّو برنامج السنة التاسعة الأدب التونسي إلى درجة أنّهم لم يبرمجوا لهؤلاء التلاميذ في الشعر سوى قصيدتين للشابي. أما حال النّثر فهو أهون على كل حال (10 نصوص) من جملة 77 نصا حوتها المحاور الستّة المعدة لهذه السنّة تفاوتت فيها نسبة حضور النّص التونسي بين 7 % كحدّ أدنى في محور شواغل الإنسان المعاصر و 20 % كحدّ أقصى في محوري «الإعلام» و «تفاعل الثقافات».

ومن أغرب الملاحظات التي جلبت أنتباهي أنّه وفي مقارنة مع كتاب النّصوص المبرمج لسنة 97/98 (السنة الفارطة) وفي المحور الأول الخاص بالمرأة في المجتمع، وقع الاستغناء عن نصّ مهمّ لرائد من رواد تحرير المرأة في تونس : المصلح «الطاهر الحداد» مع الإبقاء على نصّين لهدى شعراوي وقاسم أمين المصريين.

وإجمالا فإنّ أدباء تونس لم يجدوا لهم مكانا في هذا الكتاب إلاّ في أضيق الحدود :

	المحور	عدد النصوص	نصوص لكتّاب تونسيين	النسبة المائوية للنصوص التونسية من جملة نصوص المحور
1	المرأة في المجتمع	11	01	9 %
2	شواغل الانسان المعاصر	14	01	7 %
3	الإعلام	15	03	20 %
4	تفاعل الثقافات	10	02	20 %
5	الشعوب ومعتقداتها	11	02	18 %
6	الفنون	16	03	18 %
	الجملة	77	12	15

خـــاتمة

تجاوز عدد أعضــاء اتحاد الكتاب التونسيين الذين شــاركوا في المؤتمر الأخيـر الذي أنعقـد في السنة الفـارطة الـ 400 عضــو. وقد صدر لـهؤلاء الأعضاء في مــختلف فنون الفكر والأدب مئات العنــاوين. ومع ذلك فما زال المشرفون على اخـتيار النّصوص المبرمــجة للتلاميذ يتردّدون كـثيرا قبل اختيــار نصّ لأديب تونسي ولا أدلّ على ذلك من ندرة النصوص التونـسيّة المقترحة على تلاميذ المـرحلة الثانية من التعليم الأساسي فمن جملة 230 نصّــا لم يحض الأدب التـونـسي إلاّ بـ 47 نصّــا أي مــا يعــادل 23 % من إجمالي النّصوص.

وهي مقــسمة كــالآتي : 37 نصّا نثريّا نال منهــا الطاهر قيقـة لوحده 7 نصوص والبشير المجدوب 4 نصوص.

و10 نصوص شعريّة : 4 للشــابي و3 لأحمد اللغماني و3 لجعـفر ماجد وهكذا ففي ثلاث سنوات من الدراسة لن يتعرّف التلميذ إلاّ على ثلاثة شعراء تونسيــين. فكأن هذه الأرض التونسيــة أجدبت وكأنّ لا شــعراء في تونس سوى الشابي وجـعفر ماجد وأحـمد اللغماني وأنا أتســاءل بمرارة لماذا لم يدرج في هذه الكتب على سبيل المثال فـقط قصائد لمصطفى خريف ونور الدين صمود والميداني بن صــالح والمنصف الوهايبي ومحمد الغزّي وآدم فتحي ونصوص نثـرية لعبد القادر بالحاج نصر ومحـمد الهادي بن صالح وأبو بكر العيــادي ومحمــو بلعيد وسمــير العيــادي ،محمد يحي (وأعـتذر للبقيّــة) إنّني أدعو بإلحاح معدّي البـرامج المدرسية أن يلتفـتوا إلى الإنتاج التونسي وأن يتخلصوا من النظرة الدّونيــة لكلّ ما هو وطني خاصة بعد أن أثبت التونسي أنّه قــادر على إنتاج إبداع يضاهي مــا هو موجود في مــصر وفي بلاد الشام.

فلنعمل جميعا على أن يكون الأدب التونسي في الصدارة وأن نغرس في قلوب النّاشئة حبّ الأديب التونســي ولن يتحقّق هذا أبدا إلاّ بإيلاء نصوص هذا الأديب المكانة التي تليق بها عند معـدّي برامج التعليم أوّلا وعند التلميذ بعد ذلك.

إصدارات جديدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداعا هزار الشعر

سامية عمار بوعتور

الحـرف يبكي والبـيـان يعــاني | هل مــات حـقًـا شــاعـر الـوجـدان ؟؟
لا ! بل مـجرّد ضجّـة قد أضـرمت | ضــدّ الـغــزال الـعــاشق الولهــان
صوت الضّـميـر الحيّ في أعمـاقنا | والنّـاصــر الملهـــوف لـلعــربان...
والمـوت حـقّ لا مناص لسـهـمـه | من أن يـغـــوص بـهـــامـــة الأبدان
أمّـا الّذي يبـقى.. يؤسّس صـرحـه | فــرســان حــرف ناصـع وبيـــان
ولئن مـضى فـحـيـاته أيقـونة | منقــوشـة بـصـحـائف الأزمـان
فـ «نـزار» حيّ بـيننـا لم تـنطـفيء | اشــعـــاره وتوهّـج الألحـــان
والمـرأة «السّمـرا» تضمّ لصدرها | أشـواقـــه بدفــاتر النّســيـــان
فـتظلّ ترهف حـسّـهـا لحنينه | ونـدائـه المـتــفطّـن اليـقظان
وتظلّ تـذكـر مـا تنفّس كـائن | عــذب النّشــيـد وقـارىء الـفنجـان
وقـصـائد ضـمّـخـتـهـا بذلاقـة | عطـر الزّهـور ومـشــرق الألوان
وأصـالة أودعـتـهـا بـحـداثة | مـا قـد يـجـيش بداخل الإنسـان
من نغـمـة جذلى بعشق حـبـيـبـة | لطـفـولة حـيـرى بكلّ مـكان
لشُـويعـر قـد أطربتـه صـبـابة | فــوضـى الكـلام وشـارد الأوزان

لعـــروبة باتت تـعـيش زمـــانهـــا   مـــصلوبـة في شـــارع الأحــــزان
مـــا كـــان أجـــدر أمّـتـي أن ترتقي   لمــدارج الأعــلام والــعــرفـــان !!!

* * *

أحرقت عـمرك في الكتـابة والرؤى   فــأشــدت صــرحــا راسخ الـبنيـان
ورسـمت بالمعنى خـريطة شاعـر   ابدعــتــهـــا بتـــواصـل وتفـــان
ودخلت بالحـرف الـرّقـيق بيـوتنا   وقلـوبنا بـالصّـــدق والإمــعـــان
وجـعلت شـعرك خـبـزنا ومـلاذنا   في العـــالم المــشــحــون بالطّـغــيان
يا شـاعـرا في الشّـام مـنبتُ أصله   طارت حــمـــائـمـــه إلى البلدان
وغـزا سمـاء الشّـعـر حـبرُ مـداده   بلـبــاقـــة وفــصـــاحـــة وبيـــان
عطر دمـشـقـيّ الرّوائح والشّـذى   باليـاســمـين ونـفـحـة الرّيحـان...
يا شاعـري والنّعيُ يطرق مسمعي   فـيـهـزّ فكري بل عـمـيق كـيـاني
مـا أعـمق الحـزن الّذي ينتـابني   وأنا أذيـب تلوّعـــا أشــجـــاني...
يا دولة الشّـعـر المنمّق قد هوى   نـجـم رعـــاك بـحـنكـة وحـنـان
فـأبكي هزارا من حـرائق دمـعنا   باتت تسـيل بثـورة البــركـــان
فـمن المـحـيط إلى الخليج مـآتم   قـــد شـيّـعــتك لجنّة الرّضـــوان
لا شكّ أنّـك في الجنـائن تلتــقي   بالبـحـتـري وبـ «فـارس» الحـمـداني
مُـتنبيّ يعلـو مـحـيّـاه الرّضـــا   عـــمّـــا رســـمت برقّـــة وبيــان...
صبرا دمشقُ فمن صفاقس قد سرى   لحـن العــــزاء ونغــمـــة السّلوان
وربوع تونس تسـتـدرّ له الرّضـا   يأتيــه عــبــر البـحــر والـخلجـان
فـيروزها وحـشيـشـهـا ومـيـاهـهـا   تقــيــه برد العـــفــو والغـــفــران

مارس/ماي 1998

قصة

بربتوّه
وفرجة الموت (2)

انتصف النهار واستقرّ قرص الشمس الوهّاج بقلب السماء، يلفح اليابَسة بأشعتها، وأحس الأسرى بالجوع والعطش، حتى إذا ما طلبوا بعض الماء سخر منهم العساكر واستهزؤوا بهم، وأخذوا قنانينهم من أحزمتهم وشربوا وسكبوا بعضه على الأرض إمعانا في العذاب.

لاحظت بربتوّه أن ست يمامات ناصعة البياض تحوم في سماء العربة جيئة وذهابا وترفرف وهي تقترب منهم، ملازمة للعربة طول الطريق، ولم تحاول أن تخبر رفاقها بما لاحظت، وعدت الأمر في البداية مجرد طيور عادية، لكن والمسافة تطول والهجيرة تشتد، والطيور لا تغيّر من طيرانها فوق العربة، رأت فيها ما أسرّها وتفتحت أساريرها، ،تنفست الصعداء، وغمرتها سعادة رقصت لها كامل جوارحها، ورأت في إحدى اليمامات ذاتها وفي غيرها فيليسيتاس.

قال ريفوكانوس :

ـ ما عرفت في حياتي السعادة يوما، فالفقر كان نصيبي من يوم ولدت، فالوجهاء والأوصياء امتلكوا كل شيء، والأرض وما عليها، ومكامن الأرزاق، لذلك حيثما ولّيت صدمت بالصدّ والإخفاق، فإما العمل الشاق بمقابل زهيد، وإمّا تسرق ممتلكاتهم وتتعرض إلى المخاطر، أو تموت

(*) نشر الجزء الاول من هذه القصة في المسار (عدد 36 ـ 37) من ص 20 الى ص 29 .

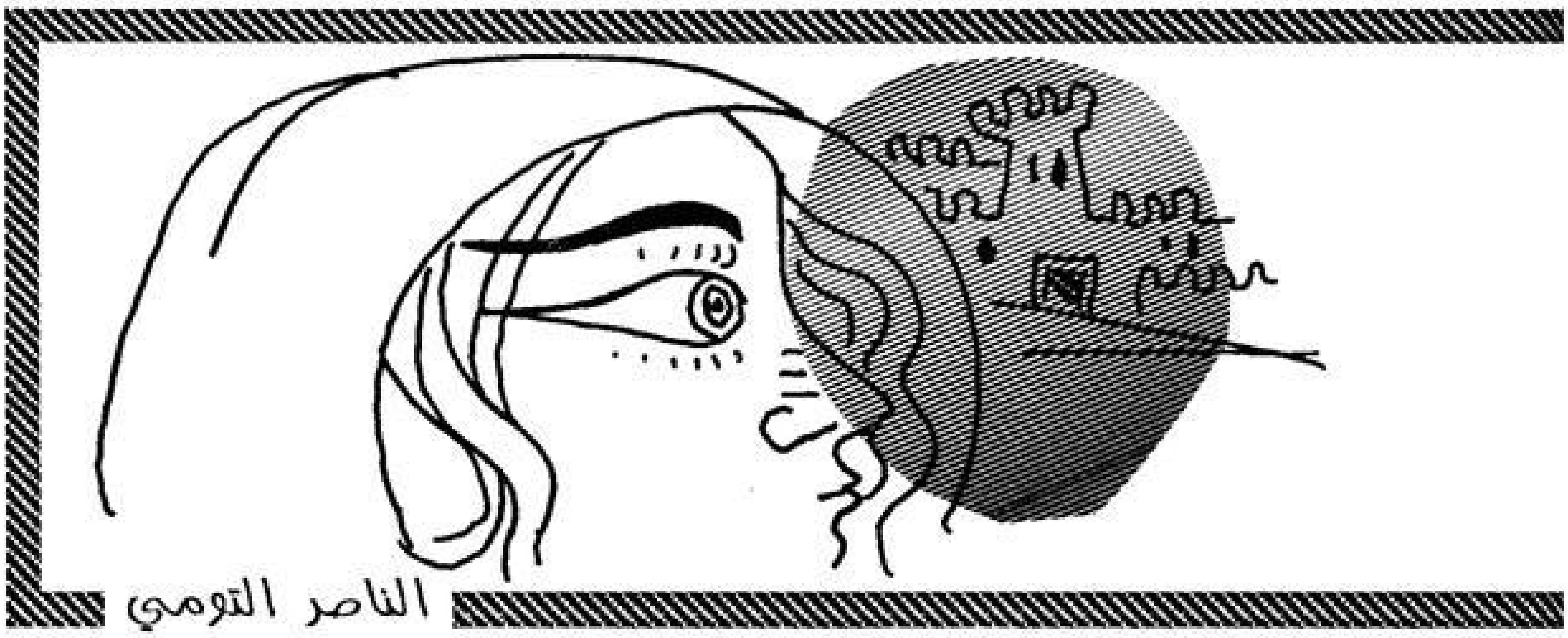

جوعـا. وما إن حدثتني الأخت فـيليسيـتاس عن هذ الدِّين الجـديد حتى وجدت فيه ضالتي، فكفاني مـؤونة البطن وتحررت من قيود الذل والمهانة، فرفعت رأسي وصرخت بـأعلى صوتي دون ارتباك، وأحسست بأني كائن فاعل في هذا الكون، ولم أخلق عبثا، وكل الخارجين عن دائرة النصرانية هم الطغاة الظالمون الذين سينزل بهم عـقاب الرَّب، واقتنعت بأن الجاه والثراء إلى زوال، وحب الله هو الباقي وفيه الفلاح.

لم يركن العـسكريون بالأسـرى إلى الراحة، بـل أصرّوا على مـواصلة السير والوصول بهم إلى مـقرهم الأخير قبل غروب الشمس، وعـبثا همزوا الخيـول للإسراع، فلقد أجـهدت وأصبحت تتـحرك ببطء وخاصـة الجارة للعربة. وظهـرت أسوار قرطاج عن بعد مـهيبة، رغم ما حلّ بـها من خراب، ولم يصلوها إلا بعد الغروب وتفطّن جميع الأسرى لليمامات الست البيضاء التي اتبعتهم من سماء طبربوس، فانتشت أرواحهم وتلاشى خوفهم.

أودعوا سجن قـرطاج الرهيب، يسومهم الحراس العذاب بالسـياط، وقد غلّوا بالقيود الحديدية الثقيلة، فتورمت منهم الأيدي والأرجل، وأبخسوا في الطعام فـلا يقدمون لهم إلا مـا يسدّ الرمق، لكن مـعنوياتهم كانت مرتفـعة ويعلوهم البشـر والاطمئنان، يخـاطبون بعضـهم برفق وابتسام، وكـأنما بُشّروا بالنعيم، بينما كان مصـيرهم لا يخفى على أحد، وبين الحين والآخر

يستـغرقون في تـضرع يقصـر تارة ويطول أخرى، يناجـون ربهم بأعذب وأرق العبارات، تتقدمهم بربتوة قائلة :

ـ يا رب الوجود المتوّج، إن مجدك يتقدم كواكبك وشموسك، يا روح كل شيء، ما أقربـك إلى القلوب المحبة، إننا أمـام عرشك النوراني على الدوام، فلا نريد بريقا من صنعنا.

مرت الأيام ثقـيلة، موحـشة، تنطلق صرخـات بين الحين والآخـر، فلا يعرف مصـدرها، فتبقى فـيهم قشعريرة الرهبـة لبعض الوقت، ويزيد في ارتباكهم زئير الوحوش الضارية، وكـأنما لا يفصلهم عنها شـيء، وما أثلج صدورهم عدم وجود مساجين نصرانيين غيرهم، فقال ساطوروس :

ـ ربما نحن أول المساجين ؟

فأجابه ريفوكاتوس :

ـ البروقنصلية لا تريد الظهور كـمناهضة للمسيحية تجنبـا لانتباه بقية الأهالي اليها، وهي تعمد بعد كل مدة إلى إعدام ثلّة منهم حتى ترهب البقية.

وقالت بربتوة لزيادة التوضيح :

ـ البـروقنصليـة لا تتـصور أن النصـرانيـة خطر عليـهـا، لذلك لم تكن اعتقالاتها متواصلة، والدليل مرور ثلاث وعشرين سنة على قطع رأس اِثني عشر مسيحيا من قرية شلي بأمر البر وقنصل.

وقال ساطوراس متسائلا وقد انغلق عليه الفهم :

ـ إذن هناك لاشك طرف آخر لا يريد انتشار النصرانية.

فأجابت بربتوّة :

ـ نعم إنهم اليهـود، الذين وشوا بيسـوع إلى الحاكم الروماني فـصلبه، وهم الذين يثـيرون الفتن ويعـملون بكل ما أوتوا من وسـائل لحصـار المد النصراني.

وقالت فيليسيتَاس في استغراب :

ـ ولماذا يحاربون النصرانية دون الأديان الأخرى ؟

ـ لا يحـاربون الأديان الأخرى لأنهـا وثنية، وهـم يحسنون العـيش بين شتـات هذه الأديان، بالاستـغلال الفاحش في الصناعـة والتجـارة وكل ما يتصل بالثروات. أمـا المسيحـية فهي الدين السماوي الوحـيد الذي يكشف ألاعيبـهم ويعرّيهم ويسفه أحلامـهم، لأن تعاليمه مسـتمدة من إرادة الرب العـادل، وليست وليـدة أهواء أباطرة طغـاة، وكهنة اسـتـغلاليـين، ولذلك يحاربوننا حتى لا نتكاثر ونصبح خطرا عليهم.

فقال ساتورنيتوس :

ـ ولماذا البر وقنصلية لا تفعل مع اليهود مثلما تفعل مع النصارى.

فأجابت بربتوة بعد تفكير :

ـ ذلك لأنّ اليـهود يظهـرون ما لا يبطنون، وهـم مـخادعـون متمـلقون، يقدمون الرشاوي والهدايا لأصحاب النفوذ ويزينون لهم حالهم، ولا يبدون في السياسـة رأيا، موهمين بأنهم لا يكترثون بها، ولكنهم يبـثون الشحناء بين الطوائف، ويدسّون الإشاعات المغرضة ويظهرون بالمسالمين الذين لا يأبهون إلا بجـمع المال ويهولون من تكاثر النصارى لدى أصـحاب السلطة ويعدونهـم ثوريين، همهم تقـويض الإمبراطوريـة الرومانية. بيـنما هؤلاء النصارى لا يمتلكون الثروات للدفاع عن أنفـسهم، فأغلبهم من المطحونين كما ترون، لذلك يجرّون إلى العذاب والموت.

وخيّم صمت على الـجميع، هو صمت الرهبة عند ذكـر الموت، لكنه لدى هؤلاء كان مفعما بالتضـحية ورضاء الرب. وتمر الأيام والليالي في تشابه، لظلمة سراديب السجن، حيث لا يـظهر نور النهار ألا ظلالا على سواد، فإذا قاموا كانوا أقرب إلى المستـيقظين، وإذا أفاقوا كانوا أقرب إلى النائمين، إلا إذا أنتصبوا واقفين، وغيّروا خطوات قليلة متعبة، ولا يتخلصون من الرهبة إلا عند أداء الصـلاة، أو إلقاء بربتـوّة شحناتهـا الوعظية، وهم بين الـجزع والاطمئنان يتأرجـحـون، وقد يستعجل بعضـهم الموت للخلاص من عذاب الانتظار.

أخرجوا يوما إلى ساحة السجن واصطفوا أمام جمع من قادة عساكر البروقنصلية، وتكفل كبيرهم باستنطاقهم، كان ضخم الجثة منتفخ الأوداج، ممسكا بيمناه سوطا، وبيسراه يداعب رأس كلب ضخم بين رجليه، وبعد أن تفرّس في سحنات المساجين، قام من مجلسه وصار يحوم حولهم يتبعه كلبه، حتى إذا أنهى عدّة دورات قال وهو لا يواجههم بنظراته :

ـ أنتم الخارجون عن عبادة الإمبراطور ؟

ولما لم يجبه أحد التفت إليهم صارخا :

ـ لماذا تنكرتم لعبادة الإمبراطور ؟

كانت نظراته هذه المرّة قد تركزت على بربتوّة لأنّه يعلم موقعها الرفيع منهم، وفهمت بربتوّة أنها المعنية بالسؤال، وهي على يقين أن لا أحد يجرؤ على الإجابة.

وقد كانت تنتظر أن يسمع أحد كبار البروقنصلية كلامها لعلها تقدر على إقناعه بوجهة نظرها، وقالت بعد لأي بلغة لاتينية :

ـ عبادة الأمبراطور كانت وهمًا لم يعشش إلا في رأس الإمبراطور ومريديه، أما بقية الرعية فتبطن عبادة ديانات أجدادها، وتظهر اعتناق عبادة الأمبراطور.

ـ لكن هذا يعد خروجا عن الطاعة

ـ أي طاعة تعني ؟ لا طاعة للإمبراطور إلا كحاكم مطلق على رومة، ومستعمراتها ومنها بروقنصلية إفريقية ولم نخرج عنها حسب علمي.

ـ أنت مجنونة

ـ الجنون أن نعبد مخلوقا يتغوط مثلنا حتى وإن كان يحكم كامل اليابسة والبحر.

ـ أو تجرئين على هذا القول ؟

ـ بل إنما أحاول أن أبسّط إليك الحقيقة التي نعيها والتي لست مسؤولة عن عدم وعيها من طرفكم، إن الديانة النصرانية السمحة تتسامى عن عبادة غير الرب.

ـ أي رب هذا الذي تهذون به ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الرب الذي ليس له نظير لا في السماء ولا في الأرض، الذي له العظمة والجلال، القادر على كل شيء والذي أعطى للأرض رداءها، والقمر والشمس.

ـ ألا تخافون من غضب الإمبراطور ؟

ـ كل الأباطرة والملوك وما على الأرض من جبابرة طغاة زائلون لأنهم عباد الرب.

ـ ألا تخافون الموت، ألم تتعظوا بالذين قطعت رؤوسهم منذ أكثر من عشرين سنة بقرية شلي.

ـ لا نخاف ما دمنا على حق وما دمتم على باطل. وأرجو أن تجيبني عن سؤال واحد .

ـ ما هو هذا السؤال يا ترى ؟

ـ في البرقنصلية عديد الديانات، آلهات فينيقية متعددة ونوميدية ورومانية قديمة ويهودية، فلماذا لم تطاردوا معتنقي هذه الديانات مثلما تفعلون مع الديانة النصرانية ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأطرق المحقق ولم يجب فأردفت بربتوّة من جديد :

ـ إن أردت أجيب أنا عنك

فصرخ فيها المحقق وهو يتّقد من الغيض بعد أن وضعته بربتوّة في موقف محرج أمامها والعساكر :

ـ لا تجيبيني بشيء، ولكن الأوامر التي عندي أن أذكّركم بإمكانية العفو عنكم لو تنكرتم لهذا الدين الجديد.

فأجابت بربتوّة في تحد واضح :

ـ وإن لم نفعل

ـ كنتم فريسة وأكلة شهية لوحوش ضارية تركناها جائعة لهذه المناسبة.

ـ من جانبي يهون عليّ الموت ألف مرة على أن أعود عن عبادة رب يسوع

وصرخ المحقق في بقية المساجين وهو يحدق فيهم بأعين تتقد شررا :

ـ من يعـود إلى عبـادته الأولى مهـما كـانت، يغادر هذا المكان في الـتو واللحظة

فلم يجـبـه أحـد، وهنا تدخـلت بربتـوّة مـن جـديد لزيـادة الرفع من معنوياتهـم :

ـ ارفعوا رؤوسكم إلى أعلى، لا يليق بمسيحي أن ينكس رأسه حتى أمام الإمبراطور ذاته، الـله له الخضوع. أي يسوع، إن دمك وبرك إذا ارتديتـهما أرفع رأسي بفرح، حـتى ولو كنت بين مخالب الوحوش، سـأقف بجرأة في اليوم الموعـود، يلفني الرب برحمته، وتبـثني ابتسامتك البريئـة بالسعادة الأبدية.

وهنا صـرخ المحقق آمـرا بإعادتهم إلى سـجنهم، بينمـا كانت السـياط تهوي على ظهورهم.

ولم يعد للـمساجـين شك في أن مآلهم رمـيهم إلى الوحـوش الضارية، وأيقنت بربتوّة أن لا بد من تقوية عزائم وإيمان رفاقـها بالإكثار من العبادة والتضرّع إلى الرب، لمساعدتهم على مجابهـة الموت بكل شجاعة، فعمدت إلى تقسـيم سـاعـات اليقظة بين الصلاة والدعـاء، وإلقاء مـوعظات تـحاول إطالتهـا قدر الاستطاعـة مع الاستدلال بحيـاة الرّسل والأنبياء والشـهداء، وإبراز جوانب التضحيـات من أجل الإصرار على الوفاء للدين الجديد، رغم التنكيل والعذاب.

أصـبـحوا يومـا على حـركـة غـير عـادية، العـسـاكـر يتـسـارعـون، ويتصارخـون، الأبواب الحديدية تفتح ثم تغلق فتـحدث أزيزا وصليلا، ولم تطل مدة استغراب المساجين، فقد وضعت في أرجلهم السلاسل ودفع بهم إلى الخارج حيث كانت تنتظرهم عربة يجـرها حصانان، نقلتهم إلى مسرح قرطاج، حيث أودعوا إحدى سراديبه.

وتحققت بربتوّة أن ساعة الرحيل قد أزفت فقالت لرفاقها :

ـ لنعبد الله الآن أكثر، نعبـده وحده، هو ربنا ومخلصنا، فالشكر لاسمه إلى الأبد، إن الله ذاته معـنا، الذي تخدمه جـيوش الملائكة في السـماوات، أحسن إلينا يا رب، ولا تعاملنا بما نستحق.

وقالت فيليستاس بانفعال :

ـ لكن إلى متى سنضطهد من طرف عبدة الأوثان والرّب شاهد ؟ !

فاجابت بربتوّة بصوت خافت :

ـ لا تجزعي يا أختاه سيصبح النصـارى كثرة وملوكا، ويبعث بعد زمن ليس بالطويل خاتم الأنبياء أحمد بشر به اليسوع ليكون رحمة لكل الناس.

وكانت لا تفتأ تردد على مسامـعهم دعاءها في نغم شجيٍّ يأخذ بألبابهم وترتفع أصواتهم به، وقـد شدوا اليه، إلى حين أخذوهم إلى السـاحة حيث دفعوهم إليها وأغلقت الأبواب وراءهم.

الحشود على المدارج تنتظر بفارغ الصـبر المشهد الدامي، وبإشارة من البـروقنصل رفعت أبواب حـديدية وأطلت منهـا نمور أربعـة، بينما كـانت بربتوة مشدودة إلى حيث زرقة السماء.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقالت لرفاقها :

ابشروا فإن الفردوس غايتنا، وها هي اليمامات تنتظر أرواحنا الطاهرة، فقط أثبتوا أنكم لا تخافون الموت، وتفتخرون بنصرانيتكم.

وانقـضّت النمور على المـساجين، ومـا هي إلا دقائق حـتى انتشـرت أشلاؤهم على ساحة المسرح لتصبغ الأرضية باللون الأحمر القاني وتغادر اليمامات البيضاء سماء قرطاج .

غبطة الوردة (*)

عبد الفتاح بن حمودة

تمجيد اليد البيضاء التي تهجم آخرة الليل

* شمس الغبطة المورقة مادّة أغصانها بشكل آخر. أمتعتها المشعلة بريح المعارك. يدها التي شردت في المهبّ. شهوتها المعطاء جارحة ومجروحة، صوت وصدى. تنبت صباحات وزهرا وأجراسا تحت الأمطار. بداياتها صخر يهب الماء وفجر ينأى ويقترب.

* الشجرة الخضراء روحها الممزّقة صباحا في الأواني والمرايا أصل المغفرة والكلمات، حيث البرق والقرون السّاخنة والإحساسات المفتوحة على الهشاشة والرّعب والذّئاب الفضيّة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* أغصانها التي لا تطاق سلطة لا تقدر على حملها الجبال المليئة بذئاب الغابة. أسماؤها وحروفها وأفعالها و خياناتها النّهريّة.

* صحراؤهاوعشقها لبن الأرض. خيمتها البحر وأمعاؤها التّمر الأسمر. جسدها وروحها وأقمارها أصابع الشاعر. فتوّتها مشي ونبضها إشراق الطّائر يقرأ صدف الرؤى والمياه. عيونها رحلة وفلاتها نهار نزق.

* يدها الماء ودم الكلمات الضّاحك مادًا ساقيه على الأعشاب. آكلة، أكولة وصوت بعيد بسبعة أبواب. هي فتنة أسمائها وأشيائها. وقودها زيت الخنازير ومعدن الفجر. هي ذات نورها وإمكاناتها أبدا. جهنّم بفصولها. زبانية بلا أيد أو رؤوس، تلك العاهرة بآمتياز.

* فصولها مراكب الشاعر التي سمعت ريحه. حرائق البحر التي رأت مراكبه. أعمال البحر الأولى ببساطتها وسذاجتها.

* فجرها روائح غريبة في انتظار النّجمة العالية. في انتظار طفولة بجدائلها. في انتظار مطر يمشي على ألف ساق.

* لونها الماء وفتنتها الشّمس التي تسمّته كأنّ ريحها لم تكن ملحا من قبل.

* ريحها الشّمس التي مزّقت غيماتها القديمة، الحيّة الرّقطاء التي تقاتل من أجل البحر. الإشراقات، اليد البيضاء الممجّدة، كثافتها وضجّتها الخالقة كسرا وتلاعبا.

* المجد أعوامها التي سقتها من ماء النّار، واخضرّت في العين التي كشفتها ونبّهت إليها. أمطرت دما أزرق وأضاءت ثعابين برونزيّة ورقصت معها في شعريّات مفتوحة لم تدركها الأموات في الزّبد السّكران، في حمّى الثّلج الضّاحك في الأعوام.

* * *

* [تبدأ الوردة من غابة محروقة.

* تمنح الشّاعر مجد حرق الغابة وجبالها.

* تمنح شجرة الحياة منقارا كبيرا محدّبا ويدا بيضاء تأكل الزّواحف الهاربة من النّيران !]

تمجيد اليد البيضاء التي قادت حرب الغابة

* عاشت حربها كاملة في الجبال، تكبّدت غبطتها ونامت في شجرتها الحيّة، في طرائق حضورها الممتلىء. رأت فيها مجرّة اغرورقت بها آلاف الأعوام.

* الموجة المعاصرة الفتّاكة بقلب واحد وعار. المجد واللّعنة معا.

* الشاعرة، البرق الواضح، الغامضة، لم تخجل من جلجلة الفضّة، التي أعطتها للّهيب. النّور البحريّ الذي أضاء وأنبت جبالا أخرى للإيقاع الصّامت الفاخر في جسد آخر.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* الشّاعـرة الشّجـرة التي أيقظت سبات الـغابة العتـيق وأعطتهـا نسرا وعينين وأوتارا بصريّة حادّة.

* الشاعرة، البذرة النّزقة لشجرة الحياة. البذرة الحارقة التي زرعت في جبل من النّور والكلمات.

[* ثمّة أشـجار كريـهة، تقود الشـاعرة بأياديهـا الدّوديّة، إلى غرف لا تبصر رائحة الوردة.

* في الجهـة الأخرى، المليئة بـالأحزان والدّموع. تلجم الشّاعـرة أفواه الأشجار العطنة بالذّهب والمناجل والأسلحة البيضاء.]

* الشاعرة، قوّة ضاربة في الأرض، غبطـة الأنسجة والألياف. الشّاعرة التي لم ينجـزها الحـالمـون بـ «عـدْن» منذ أن غـادروا حلواهم الأولى فلم يعرفوا غابة أو بحرا. إقامة أو طريقا.

* «كـنْ» آلة روحها.

* احـملي «كن» أيّتهـا المـثاقـيل المـثقلة بـوردة تخدش وتلطم خـدود الأرض، تمزّق أشـياءها وأسـماءها وجـبالهـا العاليـة. شجـرتها القـديمة وشاعرها ويدها البيضاء .

* لتمض كلّ شمس إلى بحرها ولتملأه بالإشعاعات .

* «كنْ» آلة البحر الـتي رأت المساء عصافـير كثيرة تتـجمّع في أشكال مختلفة وتدلج صوتها في الأرض.

* «كنْ»، البـحر الذي دفن ألواحـه القـديمة وزبده فـي شجـرة الحيـاة المتقدّمة الأطوار والعصور. المليـئة بالسّماوي الهشّ وبالأرضيّ المتوحّش المرميّ في الظّلال تحت أشجار الغابة.

تمجيد آلة الصّباحات التي تكنس الأشجار والظّلال

* دموع الصباحات حرائقها الأولى. خطوات بحرها الشّمس التي عضّت شفاه النهار. سكرتها، موتها، جحيمها الذي قيل في البحر. بروقها، اشتعال

ضحكتها الحزينة ونجوم رغبتها المغسولة بالدّم.

* ريحها الأولى التي ذاقها الشّاعر بلسانه الأحمر الممدود بقسوة. دموعها التي حوّلها الشاعر ذهبا وأطلق في دمها ذئب كلماته. أخذ غيمة دموعها، وبيّض بهمستها اللّيل الكبير. ريحها الشاعر الذي رتّب رؤيا الشّمس الزرقاء وأنار بصوتها الأرض الهشّة. أزاح من عينيها عتمة الأغاني القديمة. وأزهر في يدها ضفافا ولوزا.

* أزهرت شمس الوردة في سديم الشاعر وخرجت مركبا سكرانا من عيونه. وردتها ذهاب فريد ومتنوّع. كلّ ما قيل في البحر من لوعة مسبوكة بعناية.

* أيقظت في الشّاعر كائنات الصّباح، شرايين جماله المتثائبة، الأعوام القديمة التي كانت تلهو غافلة ساذجة ومزّق شفاهها الرّماديّة.

* بداياتها حالات مختلفة من الرّيح والدّم. شمس بحرها كانت بلا أيد تغسل رمل الجحيم الوردة. افتتحتها بالضّوء وماء العصور ونثرتها في الجبال لغسل الغابة كما ينبغي. تركت أشجار الشّمس عمياء في طفولتها. أسالت عتمتها كلمات وأسماء وأفعالا وحروفا وإيقاعا. أشعلت ثلجها بصوت الوردة وصداها. قرأت بدمائها أصدافا وأشرقت عليها بأجنحة خاطفة.

* قامتها، وهم تطاولها تلك الشمس القديمة. يدها غيمة جارحة حيث أوجد لها وردة طائرة تكفي لإراقة جداول الشمس على الأرض، تكفي لإشعال رغبتها في القموح. حمل أثقال الصّباحات وأنهك الدّجى بالوردة العالية وبوفرة مياهها، ثمّ قاتل بالامكانات الأخرى أتربة الأمواج وأشواك الأحراش وزؤان حبوب القمح.

* أمسك الأطياف والأشباح الميّتة في الأصل، الأشياء و «الأفكار الفضيّة» وعرّفها بمرجان البحر (العمل المفتوح) هناك، في القيعان، حيث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هامة الأطياف ـ كثبان ـ دجى الأشجـار، والعاصفة الخضراء ذئاب الكلمات العاوية والظّلال الهاربة.

* بغصن الرّيح كتب الشاعر ماء الشّمس ولوعة الوردة.

تمجيد اليد البيضاء التي تنقذ من اللّعنة

* قرات شاعرها ولعنته أوّل الصّباحـات. ملأته بحبّها والقت على شفاه شمسه ملحا كثيرا. الوردة حال ومـقال، فتحت للشمس الأولى ذراعيها ولم تحزن. فتحت لها يدها البيضاء الصّلبة كي لا تلعنها فيما بعد. فتحت ذراعيها للأمطار.

* فكّرت دومـا أنّ شاعرها لا بـدّ له من حفظ أشـيائه الثّـمينة وسـماته المبثوثة في التّلافيف، لا بدّ له من حفظها لدى شمس لا تحبّ «المتنبّي». هذا ما فعلته منذ الفجر، الوردة التي تبكي أبدا كي تصـير الظّلال حزينة بما فيه الكفاية. غنيّة بما يجب أن يحدث.

* أحبّت الوردة الشمس الحالمة باللّوز، وأعطتها منه ما يكفي، كي يكون الشيخ «ماركيز» صادقا على الأقلّ فـيما رآه، «فالأماكن لا تتقدّم في النّور ـ الشعـريّات المفتوحـة ـ إذا لم يكن لها ربّة متـوّجة !». الشمس يا أرجـوحة البحر الكبير !.

* الشّمس ـ دقّت بكعب حذائها الصّغير على شفـاه الشاعر فيما افتقدت يديها في الوردة وحيدتين في الرّيح ! أمّا ظلال الشجر المـحروق ـ فهي لم تتوقّف عن المشافهة والمكاتبة والتدوين.

* «صعـدت إلى العيد وانتـصرت على الضّـيق». كذا كان كـتاب الوردة مقروءا ومسيحا دون حدود».

[ثمة فواصل وخانات لا بدّ من ملئها في كلّ صباح جديد] .

* شاعـرة كانت، همّ شمـسها صيـد العصافـير الكثيـرة فوق البنايات

العالية. كان عمرها صيد قلب الشاعـر وأصابعه. عمرها تلك اللّعنة المسائيّة الشيّـقة التي تتخـبّط فيهـا عيون الشـاعر. قرأ لهـا الأغاني المليئـة برائحة جوارب الموتى ورأى في عيونها الواسعة الـجميلة ظلال العصافير وترقرق كلمات الشجّر. نعومة أصابع الأرض وهشاشـة السّماء المجروحة بسيقان العصافير ! .

* مليئـة بوجهـها العريض، بشـاعر آخر لا يأتي سـوى في غيـابها. ثمّ حوّلت أحلامها إلى وردة تركت الشاعـر وحيدا تحت سياط الأمطار وعادت إلى الظلماء لتئن في الهجو الأوّل للموت..

* آلامها الصّلبـة كانت تتهيّأ على نحـو ما هائل، في شمس ترتجف في آنيّتهَا كلّ صباح من الظّمإ.

* أشفق عـليها الـشاعر من يـديه وكلماته. كـان يعلم أنّ الحظوة تكون للشعر دوما ولا تكون للشاعر بمثل ذلك ! .

[ما يجب أن يـحدث دوما هو تمـجيـد الوردة وطرد الشّاعـر. صلبه وقـتله وتهـميشـه. لأنّه كان ضامـئا بحقّ، في ضجـيج الأعـالي المنحوسة وفي الأشيـاء البسيطة الـحارقة التي تمرّ خلال أصـابعه. وما دام هو كذلك أبدا، فلن تنصبّ علـيه لعنة «نيكوس». دفع الشّمس إلى أن تحـوّل غرائزها ومـوتاتها الصّـغيـرة إلى رقصة رائـعة وأن تضيء عميقا داخل الكهوف والمقابر وأحجيات الكهنة] .

* الوردة كانت الشـمس في قلب طائر شفّاف، تشـرب الغيوم وتحـتاج شـاعرا يفكّ ضفائرها ويبلّ ريقها بحليب السّماء الهشّة.

* لذلك كلّه، من أجل ذلك الظـمأ، من أجل تلك اللّعنـة اللّطيفـة دخلت مع الشاعر أبوابا لم تعرفها، أمام كلّ باب حطّابون ذوو أياد وأسنان بيضاء.

تمجيد اليد البيضاء التي تُعاش ـ أكثر ممّا تقال ـ

تترك ما للمـاء للماء وما للحجـر للحجر... مليئـة حسّا ورغبة. مـتعذّرة

أيضا. حـزينة وجميلة. مـتخفّـية في أعوام أخـرى، في رعب آخر. في شكل آخـر. وليس ضـروريًا أن تكون بـهذا الـشكل. قـفـزة في المـتـاهة وهواء المجهول. صـعود بلا سلالم. هبوط بلا حبال. ضوء غـريب وبهجة ودمار. جمال موج على الصّخور. مجد ساكن. شمس نائمة في الظلال. عذبة وقاتلة بلا أيد. ذرّات رمل مـتناثرة. قصب مكسـور في أوّله وآخره. مـركب ذهبيّ سكران. حقول اكسير. فضّة آثمة معجونة بصليل الأوهام. مياه مليئة بجثث الموتى. ألفاظ ترقص في نبع مصهود. كثافة موت سحيقة. كواكب تظمأ إلى ذاتها لتكون غنيّة بدورانها، غريزة بمداورتها تلك. كـريمة وبخيلة. شحيحة ويد مطلوقة بلا حساب. سبات ويقظة. سـخريّة الكمال. لذّة النقصان. جبال تتـداعى. غابة تحـترق. أبّهـة تتدلّى. أجنحـة طائر ذائبة. رمـاد يتحـوّل إلى شاعر. شاعر يتحوّل إلى سحر. غريبة لم يفتضّها أحد. لاهبة مدلهمّة بنقرات العصـافير. خفـافيش تتحوّل إلى مـذبحة. فجأة تأخـذ مجراها نحو فـجأة أخرى. شهقـة خطوات في الملوحة. جرم مسعـور يسقط في الأرض. نيزك غواية. حمحمـة بحر مقطوعة بضجيج الأعالي المنحـوسة. ضحكة الشاعر الواسعـة العمياء. عـبرة وتحمـحم حصان في الرّيح. فـلاة ماء متوحّـشة. صهـيل ساخر وعنيد. أكـوام لحم على الرّمال. أشجـار بسيطة. حيـاة هشّة أقوى من الحـياة ذاتها. مرآة مشـروخة بالكذب. نداء عميـق. اخضرار دائم. شقـوق ونمل مزروع في الجدران. نجـمة دافئـة تسبح في بحر الضّـجيج السّفليّ. أرواح ناريّة. أشباح متنغمّة عائدة من أعمال اللّعنة. خمرة مسكوبة. تأويل دمعة حـارقة. سباحة مطلقـة. أرض شاسعة. طرقات ضيّـقة. طيران محض. بركان أو برتقالة رماديّة عائمة. أسلاك شائكة. سجن كبير. تواصل دائم. انقطاع كامل. خانات فـارغة. بريد مجهول. صلوات صـغيرة ضائعة. أصفـاد الحريّة. دقّات عـشوائيّة. أوزان الخـرافة. ذيل الحصـان المقطوع. جنون التسمية والإشارة والدّلالة. نشـيد عفن لا يكترث به أحد. قلق الأرض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وثراها الأسود المغـتبط. غبطة الوردة المزروعة في العتـمة. أسنان الرّجال الطّيبين العائدين من البـحر بأسنانهم البيضاء وشفاههم الرّقيـقة الممزّقة. جلجلة خفيفة وراء جـبال تتصدّع. تحنان كبير ولمسة حـانية. سذاجة مرّة وحفلة بغيضة. لا إجمال أو تحـديد. تعاش أكثر ممّا تقـال. تعـاش فقط ولا تقال.

[* ... تلك، إذن، الوردة التي تحمّلها الشاعر.

تلك التي «لوّح بها وتحمّلها وحيدا ! ».

ذلك «اللأمرئيّ الجوّال».

ذلك الأبد].

تمجيد اليد البيضاء التي لا تُحتمَل خفّتُها

الوردة.

الشاعر.

الجنون .

المطلق الخاصّ .

الحديقة المسيّجة .

الغبطة اللّعينة .

المجد إذن، لليد البيضاء التي لا تحتمل حفّتها ! .

[جزء من كتاب «حركات الوردة» [نصوص ينشر لاحقا].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب الصّمت المشحون بالصّراخ

رحيم جماعي

ليس أسهل على الشاعر الحقيقي من تحقيق المعادلات التي تبدو مستحيلة، والإمساك بذلك الخيط الرّفيع الذي يوصل بين الثنائيات التي تتجلّى في أعماق الإنسان النابض بصوت الحياة الصّارخ فيه، ومن المفارقات العجيبة أن تكمن القدرة الخارقة في السّهولة المفرطة، فصياغة الجملة الشعرية البديعة بلغة بسيطة، ليس في متناول إلاّ الشعراء المجيدين، بهذا المفتاح الخفيّ - أحيانا - يمكننا أن نلج كون الشاعر عادل معيزي و نجول في فضاءاته التي عادة ما تنتشلنا من قذارات الارض و دخانها الخانق ... هكذا ... و بصمت صارخ حدّ الفجيعة ، يأخذنا وطّان القصيدة في جولة عارية نعيش خلالها خمسة فصول تضجّ بالحياة الصّاخبة وتعبق بالموت الذي يهبّ من مناطق كان يمكن أن لا يقترب منها لولا هشاشة القلاع، وخيانة العناصر التي يخيّل للشّاعر أنها لم تأخذ أشكالها على نحو ما لو لم يمنحها دفئه وغناءه وحرارة الحياة فيه.

غرابة الثنائيات (الحياة في الموت)

ما أغرب أن نصطدم بميّت يسعى أمامنا فعلا، وتكون له هواجس في الحياة وأحلام، ورغبات، ،مع ذلك نلمس احتفاءً شديدًا بالموت الذي يأخذ شكل أمل مزمن في بعض أبعاده، ،هذا ما نشمّه بحدّة ووضوح في بيانه الذي يتصدّر هذه المجموعة الشعرية، إذ يقول :

(في مكانٍ ما من الجهة الأخرى أشرفُ على قارّة جديدة فيّ (في

الإنسان !)، قارّة شاسعة تسيّجها الأبديّة ينهمر منها الوقت لججًا ضوئيةً تسبح فيها كائنات نورانيّة متلألئة وأجسام صغيرة لمّاعة... يا للرّوعة لم أشعر بالسّعادة قَطُّ كالّتي.. هل حقًا متُّ ؟...) ليس شعرا، ولكنها تهويمات معبأة بفرحة احتمال الموت، هذا العنصر الذي يشكّل هاجسا إيجابيًا دائما للشاعر، فهو ينشده، ويتغنّى به، ويُقيم له طقوسا احتفاليّة حتّى يخيّل إلينا أحيانا أنّ صوت الشّاعر آت من العالم الآخر فعلا، ولعلّ قصيد « ألم » يدعّم قراءتنا لهذا الجانب، فهو يقول :

(القبر أرحم يا عظامي
والمَعَاصِي، رجفة الأقدار
الموتى سلامي
والجحيم سعادتي وحقيقتي
والأرض حنظلها مقامي)

إنّها دعوة صارخة للموت الّذي يأخذ شكل استراحة دائمة من حياة أشدّ قسوة من الموت، وهو يعتبر عنصر الموت في هذا المقطع البليغ الملاذ الأخير والوحيد من عذابات الأرض، رغم يقينه أنّ الأرض هي البداية والنّهاية في آن واحد، وهي الحضن الدّافىء على مرارة الحياة فيها، وأروع ما في هذا المقطع هو فتحه لبوّابة الأسئلة الحارقة : أيّ أرض يعنيها الشّاعر؟.. أهي الحقيقة أم المجاز؟.. الواقع أم الحلم؟.. إنّ الأرض في نظري هي العناصر كلّها.. وهي أيضا صور أخرى أعمق بكثير من فهمنا، صور نلاحقها ولا ندركها، فالقصيدة الحقيقيّة هي تلك التي تفتح لنا نوافذ على الإيحاءات والدّلالات، ولكنّها تتمنّع كثيرا في تسليمنا مفاتيح المعاني الحقيقيّة، وأحيانا لا تفعل ذلك أبدا... عند هذه النقطة نعترف أنّ مجموعة «وطّان القصيدة» لا تهبنا فرصة الوقوف عند نقطة معيّنة لإضاءتها وتحليلها دون أن تهاجمنا نقاط هائلة تربكنا وتبذر الحيرة فينا... فيا لهذا الميّت المشحون بالحياة حدّ التّخمة.

الحياة في الحياة

أمّا فيما يقابل هذا التصوّر فإنّ الشاعر عادل معيزي يذكّرنا بطائر

الفينيق الأزرق الذي أبتدعته الأساطير القديمة، فهذا الطائر ينهض من رماده بعد احتراقه تماما، ليبدأ حياة جديدة زاخرة بالفعل والتّجديد والحلم فهو يقول في قصيدة «وصية» :

(فلا تجزعي
كلّها ألف عام ،
وأنهض من رقْدتي
كلّها ألف عام
وتصبح كلّ الدّروب ضياءْ)

فيا لها من رؤية مضحكة حدّ البكاء.. ويا له من أمل أبعد من نجمة الأوّلين، ولكنّها الحياة بأسرها، لا يمكننا ـ رغم هزائمنا وانكساراتنا الدّائمة ـ إلاّ أن نحياها، وهنا يكمن سرّها «إبنة الكلب»... فنحن لا نحب إلا المرأة التي تعذّبنا رغم فداحة السرّ، فألف عام من النّوم العميق والانقطاع عن الحياة لم تمنع الشّاعر من إطلاق عصافير الحنين نحو الآتي والأمل البعيد، ووضوح المعنى هنا يكاد يكذّب بلاغة المجاز فنكاد نجزم أن الشاعر بلغ في موته نقطة الوصول وانتهى الحفل الجنائزي العظيم : وأصيب الشاعر بالصّمت إلى أبد الآبدين، لكنّنا نتردّد في إطلاق هذا القول القاتل... فها هويقول في مكان آخر :

(تماما كمن لا يحبّ القبورَ
كمن لا يحبّ الخريف الّذي يعتلي الأغنيهْ
ستبتعد الآن دون نزيفٍ
وتمضي وحيدًا
وحيدًا
إلى الأمنيهْ)

الشاعر حزين بطبعه، وهو عادة ما تروق له الطقوس الرّمادية الموحشة، ومن الفصول الأربعة يأنس للخريف وسمائه الضّبابية، وغيمه العبوس، وطيوره التي تنعق في غنائها... فهذه الطّقوس تتناغم تماما مع ذاك العالم الدّفين الّذي تسيّجه الغربة والعزلة الهائلة، ولكنّ الشّاعر هنا

يقطع نهائيًا مع الخريف الذي يلفّ الأغاني، ثمّ يمضي أماما غير آسف على أيّ شيء، ويمضي وحيدا في لا مبالاة مخيفة إلى الأمنية، والأمنيةُ هنا تعادلها حياة بأسرها» فهل من منازع لعادل معيزي في حبّه للحياة ؟.

الصمت المخادع

الشّاعر متحيّل بارع على اللّغة، وفي هذا السّياق يمكننا أن نضيف بأنّه مخادع كبير، ولكن من غريب المفارقات أنّ أوّل من يقع في أحابيل اللّغة هو الشّاعر نفسه، فعندما نقرأ قصيدة جيّدة، نصيح كمن عثر على مخبإ اللّصّ هنا يكمن شاعر! . وهذه توطئة للمرور إلى كشف إحدى ألاعيب عادل معيزي، ففي مقطع من قصيدة «كأنّي أحنّ» نكتشف محاولة يائسة للإقناع بأنّ الشّاعر يكتفي من الأحداث بالصّمت، وها هو يبوح :

(وودّعتك ...
ولم تسمعي الأغنيهْ
إذن كلّ شيء مضى
وكلّ بكاء سيمضي سُدًى وبلا فائده
لذا لن أردّد هذا القصيد البكائي
ولن أتساقط كالحلم في عاديات الهوى
وصوتي سيبقى كناي على سفح تلك البوادي)

طافحٌ بالحزن هذا الصّوت العميق، وشبيه برجع جرس بعيد، ولكن رغم صدقه العميق نشمّ فيه رائحة خدعة متقنة يتخفّى خلفها ما حاول الشاعر إخفاؤه، والواضح أنّ هذه الخدعة تغلّفها حسن النيّة، فقوله : «كلّ شيء مضى» أراد به إيهامنا بأنّ المضيّ وقع كأي حدث عابر، ولم يترك فيه ولو علامة واحدة، ،لكن الشاعر ينهار فجأة، ويعترف «وصوتي سيبقى كناي على سفح تلك البوادي»، وهذا الإعتراف المليء بالشّجن المرّ يكشف لنا حرقة الشّاعر إثر وداع حبيبته الّذي خلّف لوعة ومرارة في قلبه الرّهيف وذروة هذا المقطع تكمن في صمته الصّارخ، أو ضجيجه الصّامت، مثلما عبّر عن ذلك بقوله : «ولم تسمعي الأغنيهْ»، وهنا يمكن القول أنّ عادل

معـيزي يضجّ بـهمس، ويهـمس بضجـيج، وتكـــاد هذه الرؤية - إنّ صح التعبير - تهيمن على كلّ قصائد المـجموعة، فهل هي طريقة جديدة للتّبليغ؟ أم هو تفرّد في الغناء؟ أم خجل الشّاعر المفرط؟... كلّ شيء يجوز مع شاعر غريب في كلّ شيء صوته، أطواره، شجنه، وكلّ ذرّة فيه.

تطير الخطاطيف بي : قصيدة المجموعة

«وطّان القصيدة» هو عنوان المجموعة الشعريّة، وهو أيضا عنوان إحدى القصائد التي تضمنتّها هذه المجموعة المربكة، والواضح أنّ الشاعر معجب بهذه القصيدة أيّما إعجاب، ويعتبرها قصيدته الكبرى، ولكنّني كقارىء جيّد لهذا الكتاب، أرى أنّ قصيدة «تطير الخطاطيف بي» هي التي تتوّج المجموعة وتكلّلها بالبلاغة والإيحاء، والصّور الشّعريّة، واللّغة المتينة، وهذه العناصر تصعد بالمجمـوعة إلى شعـريّة عالية ومـرهفة، والمـدهش حقّـا في هذه القصيدة هو بناؤها ورؤاها، فهي تتكوّن من سـبعة مقاطع، والمقطع الأوّل يستهلّه الشاعر بهذا السّر الأنيق :

(خطاطيف عمري تحلّق في باحة الدّار)

وبنفس السّطر يبدأ المقطع السّابع والأخير، وما بينهمـا نشاهد شريطا سينمـائيًا مدهشـا، فنرى الشّاعر طائرا، وهو يحـدّق في الكائنات من على، وفي رحلة تشبه السّحر حينا، وتبلغ فيهـا المشاهد الدّراميّة أقصاها أحيانا أخرى، نحيط بكلّ أحلام الشّاعر تقريبا، وهواجسه، وانفعالاته، فتارة يلعب دور المشـاهد السّلبي، وطورا يكون فاعلا، وأخـرى مفعولا به، وتصـفعنا المفاجأة الكبرى في المقطع الأخـير، إذ نكتشف أنّ الشّاعر لم يغادر الأرض لحظة واحدة، فذلك العُلوُّ لم يكن سوى مخـدّر بثّته فينا أجنحة الأخيلة التي طافت بنا في تهويمات مذهلة، وحالما انتهى مـفعول المخدّر، عدنا إلى حيث الحقيـقة التي لم نغادرها.. هي سنةٌ واحـدة نجوب خلالها أقـصى التّخوم، وتلك قدرة الشّـاعر الحـقيقيّ علـى المسك بكلّ أعصـاب القارىء، فـها هي الخطاطيف تطير بالشّاعر فيرى.. ويسجّل ما يلي :

(تطير الخطاطيف بي في السّماء البعيدة

حتّى أرى ألم العالم المستكينْ
أرى الإضطهاد وأختار أغنية الانطلاق
على ظهر تلك الكواكب نحو الأعالي
لينبتَ في الأفق ورد البساتين
أحيا لأجعل برّية للرّعاة يقيمون فيها تعاليمهم
وأصبَّ من الماء فوق الضّحى...
ما يليق بسور الكنائس /

وبالكثير من ضوء اللّغة، وبالكثير من دهشة المجازات، وذهول الإستعارات النّادرة، تتواصل الرّحلة الخرافيّة، حتّى نكاد نفقد الوزن من فعل نعومة المفردات في أعصابنا، وحتّى نكاد نتّحد بالمشاهد التي تأخذ بجميع الحواسّ فينا، إلى أن يعيدنا المقطع الأخير إلى المحطّة:

(خطاطيف عمري تحلّق في باحة الدّار
لا أستطيع الذّهاب إليها
أريد الرّجوع إلى عزلتي في المسير
لأنسى الّذي قد رأيت...
وأمضي وفي معطفي جثّتي القلقهْ
أوزّع في الكلمات دمائي ولا أقتفي أثر الأنبياءْ
وحين تحطّ الخطاطيف عند يديَ
وتبسط لي ريشها، لن أنادي عليها
لتأخذني خلف تلك الغيومْ
فعمّا قليل سيأتي إلى بيتي الأصدقاء)

الشّكل، ومواطن الضّعف

ليس لي في هذا المنحى ما أقول سوى أنّ عادل معيزي في هذه المجموعة البكر لا يشذّ عن القاعدة، فهو يجنح - كمعظم أبناء جيله - للقصيدة الحرّة (التّفعيلة)، والقصيدة النثريّة، غير أنّه في بعض المواطن يجرُّ التّفعيلة من عنقها جرًا ليصبَّ فيها مضامينه، وهذا التّعسّف يطفىء من ضوء المعني، ويقلّمُ أجنحة الأخيلة، ويحدّ من انسياب القصيدة الحرّة، لهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبدو قصيدته النّثريّة أكثر شعريّة - أحيانا - من قصيدة التّفعيلة... ليس هذا موقفا من هذ الشّكل أو ذاك، ولكنّني أعتقد أنّ القصيدة الحقيقيّة أكبر من كلّ الأشكال التي قد تعيقها عن بلوغ أهدافها السّامية.

خـــاتمــة

صديقي عادل... إذا رششنا الرّصاص بالورد، هل يخجل الموت منّا ؟ هل ننجو إذا أحببنا - ونحن دوما نحبّ - ؟... لستُ أدري أيها العزيز، لكنّ الذي نعلمه جيّدا، هو أنّ الحياة قصيرة جدًا، فلنغتنمها بالـ...كتابة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد الخلق ...

قبل النزول !!

مفلح العدوان / الاردن

آدم ...

منكسرا كصغائر الذنوب ...

وضجرا كآخر الخلق أو أوّلهم !!

نظر للسماء، هي أرضه الآن... تساءل بعد أن تعلّم الأسماء والأسئلة، ورأى ما رأى من دهاليز الفضاء :

(ترى، ما العرش ؟

هل كان العرش قبل الماء ؟ أم بعد الماء جاء ؟ ما الماء ؟)

ضرب ساق الشجرة التي يجلس تحتها بيأس ...

تأمّل قامتها : (ما الشجر ؟

ولماذا هذي الشجرة بالذات يجب ألاّ ألمس ؟ وثمرها عليّ ألاّ آكل ؟

العرش أمرني بهذا !!

العرش على الماء باق في جلال وبيان !! والماء يُنبت الشجرة أيضا ... لماذا لا ألمسها إذن ؟ هل فيها من ماء العرش نبضٌ أم فيها من الخلود جذر ؟)

حضن الساق بذراعيه ...

تحسّس نعومة الجلد، وحلّق بنظره حتى قمّة الشجرة، ثم أخذ يتسلّقها دون أن يسقط شيئا من ثمارها !!

(تعربش) على أغصانها، وجلس على أعلى قمة فيها.

تعبا كان...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسعيدا بهذا النصر أيضا !!

مدّ يده عاليا بنشوة طليق، فتحرّك رفّ حمام باتجاهه قادما من الأفق، وحطّ قريبا منه !!

حكّ رأسه مذهولا من رفّ الضيوف القادمين إليه بلا أستئذان... تذكّر : (وعلّمني، الذي أوجدني، مع الأسماء منطق الطير أيضا... لكن ما الحمام ؟ قفاز أبيض يتحرّك وحيدا فارغا في أيّ كف.. تحركه الريح أينما اتجهت... الحمام طير.. والطير لا يمكنه الثبات، جاسوس ينقل جناحيه هنا وهناك).

- يا حمام (قال مخاطبا ضيوفه) :

* لبيك يا أبا...

- أبو !! ماذا ؟ لم أنجب قابيل بعد.. قولوا لي آدم !!

* آدم !! لا.. سيكون ابنك الأكبر هابيل.

- لا.. بل هو قابيل

* قابيل قاتل

- وماذا احتاج غير القتلة حين أبعث إلى الأرض ؟ كيف سأحكمها دون القتلة ؟ الأرض لن يسكنها الأبرياء !!

أحسّ بحركة تحت الشجرة فهشّ على الحمام بيديه، وابتعد رفّ الزائرين باتجاه أسفل الأفق !!

* حواء ...

دارت حول الشجرة بنشوة طفلة تحلم !!

تأملت الثمار الدانية من الغصون إليها، وتحسست صدرها.. كان ممتلئا !

تابعت استقامة الساق قبل تفرّع الغصون والثمار ثم حدّقت في جسدها : الساق، الخصر، الرقبة... والثمار تفاح ممتلىء على جسد الشجرة ...

همست لروحها : (الشجرة أنثى !!

والأنثى ما الذي يبقى منها إن لم تُلمس ؟ ما معنى كل التفاصيل فيها، بساقها وأغصانها وثمارها، إن لم تُكتشف ؟ أم تبقى نهبا للريح بعيدا عن

اليد، والفم، والقلب والروح ؟

مُحرّم علينا أكل الثمار أو لمس الشجرة... لماذا ؟! والشجرة أنثى !!)

مدت يديها لتلمس ساق الشجرة..

أجفلت حين داهمـها رفّ الحمام آتيا مـن أعلى فأعادتهما وأحـاطت بهما صدرها.. وحطّ الضيوف حولها !!

تأمّلت لون الطير فأزهرت على خديها نشوة أنثى تنتظر البياض ...

* جميلة وأنت تحضنين ثمار جسدك (خاطبها الحمام).

ـ السماء كلّها جسدي الذي أحبّ (ردّت بابتسامة عاشقة)

* والأرض أيضا...

ـ ها.. الأرض ؟! ما الأرض ؟!

* مجهولة لك... ومحجوبة عن عينيك !!

ـ أهي أجمل من السماء ؟!

* حياةٌ أخرى هي...

ـ حياة أخرى ؟! إذن فما نحن فيها هي الحياة الأولى ؟

* وحين تنتهين من هنا سترحلين هناك !!

ـ وأترك كلّ الأشياء ؟ الثمر والشجر.. الخمر والنهر.. كلّ الأشياء ؟!

* وستُبعثين هناك حيث المـال والبنون زينة الحياة الأخرى.. والباقيات الرائعات !!

ـ البنون !! ما البنون ؟!

* ثمرة جسدك، ونتاج اتحادك مع آدم !!

ـ مثل الشجرة هذه، وثمارها !!

* وستكونين أم قابيل !!

أجفلت حين سمعت إسم قابيل، واتكأت على ساق الشجرة.

قالت باحتجاج :

ـ قابيل !! هو قاتل.. لا لست أم القاتل.

* بل ستكونين. هكذا أراد آدم.. هو أبو قـابيل وأنت زوجته، إذنْ أنت أم قابيل !!

ـ لا.. هو قاتل.. وأنا أمّ الميّت، هابيل .

* بل أم القاتل قابيل !!

ـ القاتل يزول، والمقتول يبقى.. الأرض سيملكها البريئون.. الأرض للموتى، والسماء لهم أيضا !!

بنزق هشّت بيديها على الحمام فابتعد الرفّ جميعه، وأخذت تدور حول الشجرة.

***

* القرار ...

كان يجلس قريبا من العنق... يعبث به بيديه.. ثم يتحرّك باتجاه الأسفل مكتشفا بواطن الجسد... صدرها كان واسعا كحقل يسرح فيه الخيال، وخصرها أجمل من لوحة بكْر... بقي ينزل شيئا فشيئا، وأصابع يديه لا تتوقف عن الاكتشاف... صلبة كانت ثمارها، وناعمة كل تفاصيلها... يشتهيها، غير أنه لا يستطيع قضمها.. ينزل غائرا باتجاه الأسفل، يمرّ على ظلمة ما، كثيفة هي التفاصيل هناك، تجاوزها فوصل الساق، احتضنه، تشبّث به بقوة عاصرا جسده عليه، ورعشة خلاياه لا تتوقف إلى أن لامست قدماه السطح أسفل الشجرة حيث كانت حواء بانتظاره من رحلته من القمة حتى خوف الأنثى ...

تأمّلها ...

صارت نحلة الشهوة تئزّ داخل جسده.. لكن طنين بقايا الكلمات التي سمع بقي يعبث في رأسه : قابيل قاتل.. هابيل مقتول.. حواء أنثى...الشجرة أنثى.. الأرض !! الأبناء.. الدم !!

* آدم... آ.. دم !!

زادت شهوته مع إيقاع صوت اسمه الخارج من فمها.. ازداد قربا منها، فكانت الدمعة معلّقة في عينيها.. فجأة انقطع حبل العين عن الدمع فسقط على أرجوحة الخدّ دون اكتراث.

ـ حواء.. ما الذي يبكيك ؟! (شعر برعشة حنين وهو يحادثها)

* سيقتلون بعضهم !!

ـ أبناؤنا الذين لم يأتوا بعد !!

ـ الحمام أخبرك إذن ؟ !!

ـ قابيل قاتل.. هابيل مقتول !! القاتل والمقتول أبناؤنا يا آدم !!

دار حولها ...

كانت ترتعش كورقة أمام ريح، حاول تهدئتها فتساقط دمعها أكثر.. حدّق حوله، صارت السماء سجنا يضيق عليه بعيدا عن أبنائه الذين لم يولدوا بعد !!

انفجر دُمَل الأسئلة حين زاد بكاء حواء، وتحرّك نبض جديد في قلبه : (أبنائي ؟ لماذا نحن هنا ؟ كيف لا تكون الجريمة ونحن نحلّق برفاهنا هذا حول العرش مساء وخمرا ونوما وحياة بلا أسئلة ؟ ! من سيحميهم ؟ ! من سينقذ هابيل ويصلح قابيل ؟)

تعلّقت دمعة في عينيه، ثم تأرجحت مثل مشنقة... اقتربت حواء فمسحتها، وهمست في أذنه : (الشجرة أم... الشجرة أنثى !!)

هزّ رأسه موافقا، والتفتا معا باتجاهها فكانت ثمارها دانية نحوهما...

***

الخطيئة ...

http://Archivebeta.Sakhrit.com

صارت السماء رخوة تحت قدميهما كحلزونة.. ولزجة (كبُزَاق) البئر... والفضاء زنزانة تحيط بهما من جميع الجهات، بلا رحمة ولا ألفة...

يمينا... لا بشر من نسل آدم... ولا رجال !!

يسارا... ليس ثمّة أنيس ولا صوت حياة... ولا نساء !!

أماما... أفق رتيب بلا حركة ولا همسة... مثل فراغ !!

أما من الخلف فعالم لا يمكن الغوص فيه... وألف إشارة قف !!

ليس إلاّ الشجرة، مخلّصة الآباء ، ونافذة الزنزانة الوحيدة للخروج إلى الأبناء قبل أن يكون الدم !!

* آدم... الخطيئة في رقبتك إن لم تنقذ الأبناء !! (قالت هذا واتكأت عليه محاولة التماسك وعدم السقوط).

ـ حواء ... الخطيئة قدرك إن لم تشاركيني النزول إليهما !!

(حضنها مداريا ضعفه).

* آدم.. لن أتخلّى عنك.

صار جذع الشـجرة قريبا من التقاء شـفاهمها المشغـولة بقبلة من بقايا رحمة السـماء... كانت أولى القُـبل... ابتسمت حواء حـين لامستهـا الثمرة، وثارت النشوة في داخل آدم...

ـ الشجرة أنثى !!

همس في أذن حواء، ثم قبلا معا الثمرة قبل أن يقضماها...

اختفت السماء... وبدأت الأرض تزرع الأبناء والشجر !!

***

تشرين أول 1995

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرقص مع العاصفة

*

جنات إسماعيل

بيت قديم

كنت صغيرة، وكان قلبي خطافا مغسولا بالمطر في منآى عن غابة الكواسر. وكان للمساء لون واحد وللفصول طعم واحد وكانت أمي ترقد في مخدعها هانئة. وكان أبي يغفل أحيانا عن غلق الباب، لكنّه لا يغفل أبدا عن شدّ الأتان إلى وثاقها بعد أن يتثبت كلّ ليلة من شدّة الوتد ومتانة الحبل.

وكنت أنام مع جدّتي في ذات الغرفة، تغرقني رائحتها كالخدر فأنام مثلها باكرا وأحلم حلمها الذي يروّعني، فأتجمّد في فراشي البارد، لا أستطيع الركض هربا، النداء أو البكاء، خوفا من أن أقطع أحلام جدّتي.وإذا ما صادف ونسجت حلما لي وحدي كانت جدّتي تشتمّ رائحته فترجّني لائمة على الشروع في الخيانة والعصيان، وهذا ما لا يليق ببنت عائلة محترمة مثلي.

كان كل شيء يبدو عاديا وطيّبا. حتى قطتنا شهد لها كلّ الجيران بالأدب ونظافة ذات اليد، وشهد كل الفلاحين لأتاننا بحسن السيرة والسلوك.

... كلّ من يعرفنا ولا يعرفنا يحسد أبي على ما ملكت يمينه.

دهشة

كيف تمّت الجريمة ؟؟

... لا أحد يعرف !

... الكلّ ظلّ مبهوتا، لا يصدّق !!

ذبحتها من الحياة إلى الحياة ورفضت دفنها.

أدمنت ارتياد السوق الأسبوعية، وضاع مجد احترامي في العيون المندسّة وراء الأبواب، وكنت لا أبالي، فقد أصابتني اللّعنة يوم تكسّرت

مرآتي الصغيرة التي عثرت عليها قرب العين ملقاة. مسحت صفحتها ليطالعني وجه طفلة صبوح لأوّل مرّة أراه. ظللت أحتفظ بالمرآة دائما. ألفّها في قطعة قماش وأدسّها في صندوق أدباشي، وكنت كلّما اختليت بنفسي إلاّ وأخرجتها لأراني وأجرّب على وجهها حالات شتى لوجوه أخرى.

... وجه الأب العاقد الحاجبين

... وجه الجدّة الصارم

... وجه الأمّ الهادىء في انكسار

وكثيرا ما كنت أراني في حالة الحزن عسليّة النظرة.. شفافة الملامح. أتصالح معي، وأغفر لكل الأيادي الكبيرة أخطاءهم التي لا يعتذرون عنها أبدا.

ذات خلوة وأنا أمارس مع مرآتي كل لعبي التي أصبحت لغتي في التحاور معي ومعهم، إذ طُرق البابُ طرقا أسقط المرآة من يدي وأفسد طفولتي.

تسكّع

كنت أمرّ بكل السلع... أشتهي كلّ ما حرمت منه... الحلوى... البرتقال.. الحمّص، ولا أتوقف عن بحثي المحموم وسط السلع المعروضة، لكنني كنت أعود خائبة.. أكثر ضياعا وغربة.

حين أوشك عزمي على التكسّر، حطّ بالسوق بائع مرايا. هرعت إليه أحضن جثة دميتي، واجتمعت على سلعته أقلّبها بكل تشنّج، فيحدث ارتطامها ببعضها صوتا كبكاء الأطفال. يخاف الرجل على سلعته من هذه اليد العابثة التي تبعثرها بلا رحمة، يتكسّر صبره، فيطردني.

وأعود إليه.. أجرّب كلّ مراياه، وكلّها تعكس وجها لا أعرفه. وأغادره بعد أن أوصيه بجلب سلعة جديدة في الأسبوع القادم.

... حتما سأعود إليه

... اني لا أعثر على وجهي

... ضاع مني يوم تكسّرت مرآتي الصغيرة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتـــــراف

... لا تسجلوا الجريمة ضدّ مجهول

... أشهد أني قتلت بائع المرايا.

... بكلّ بساطة استفزّني فقتلته.

... إنّه يمنعني من العثور عليّ.

... دفعني أكثـر من مرّة بعيدا عن سلعـه، وهدّدني بقطع يدي إن تجرأت وبعثرت مراياه مرّة أخرى.

... أنا لم أكن أسـرق... فقط كنت أريد أن أبتـاع مرآة تردّ لي وجـها كـان يسكن مرآتي الصغيرة قـبل أن تتكسّر. كنت أريد حياة لطفلتي وهذه نقودي جمعتها مليما... مليما ذات عيد بعيد.

ضاع صوتي في زحام جلبة السوق، فتسلّلت محاولة النفـــاذ بجرمي، إذ بي أرى كلّ من في السوق يلاحقونني. كانت الأقدام ورائي تقرع الأرض وقلبي قرعا. ظللت أجري... ألهث وأهرب من أيديهم المهوسة بالحصاد حتى دخلت زمن الموت وأقفلته عليّ.

تـــوبـــة

قلت أعبد ربي لعلّه يهديني إلـــيّ، وأكثـــرت من الوضـــوء والصلاة

ـ يا ربي دلّني عليّ ـ

تنهمـر دموعي حارّة.. تكسـو وجهي وتنحدر مع رقـبتي تغسل كـبائر ذنوبي وتفشل في محو صغائر التفاصيل من نبضي.

يطول تهجدي وأسمع للنجوم نشيجـا خافتا يتسربل مع الظلام يضخّم من تيهي عني، وأهل الحيّ يحمدون الـله أنّ السخط الذي كان يحجب عنهم غيـث السمـاء قد رفع بعـد أن سرى نبـأ توبتي وورعي في الديار والبطاح والسوق الأسبوعية.

عمّ الخبـر كل القرية وتناقله البـاعة المتـجوّلون والأعـراب الوافدة يوم السوق، فقصدني النّاس للتبرّك والشفاء.

... لا أدري من أوعز لهم هذه الفكرة المجنونة ؟!

جاءتني العـانس والعاقر والعاطلـة وإبنة السبيل، ومرضى الرومـاتيزم

والحساسيّة، وأبرقت لي جمعيات خيريّة تبغي انتمائي إليها، ونصّبتني إحداها رئيسة شرفيّة لها بالغياب.

اكتظت بهم روحي والمكان، فنفذت من بينهم بروحي المترعة ضياعا وتركت لهم كلّ المكان.

ضياع

لا وجهة لخطاي... كلّ المنارات مطفأة والخوف مني عليّ يأكل ضلوعي ينوء بي عني، وأنا ألهج بدعائي بلسان أخرس:

- يا ربي دلّني عليّ

... هذا ليس وجهي

... هذه ليست يدي

... هذا ليس قلبي

... يا ربي دلّني عليّ... وهب لي من فيض خيرك العميم قطعة صغيرة من الشمس الكبيرة تكون لي مرآة.

انشطرت المرآة الكبيرة وسقطت في البحر. امتلأ فمي.. عيناي.. أفقي ملحًا أجاجا أحرق كلّ مسافات الحلم. وأعزق في قلبي المفزوع كلّ مراكب الرّجاء.

كأني توسدت موجة خفضت جناحها لي، وسكنت إلى قدري، وعيني على طائر أبيض يمارس نشوة الحياة ويكرع الضوء من عين الشمس.

بحر

أخذتني سنة من النوم لأستفيق على خطى يد تمتدّ نحوي قد انشقّ عنها الماء.

انشرحت... إني في حاجة إلى سند كي أستعيد تفاصيلي التي امّحت من يومَ أن تكسّرت مرآتي الصغيرة. لكنّ هذه اليد كسّرت سرير الموج بي ودحرجتني إلى عمق اللجّة. بأظافري تشبثت بالوجه الذي اعتزم إغراقي، وطفوت فوق وجه الماء لاهثة.

دهشت من انبعاثه حيًا، وقد كنت قتلته دفاعا عن حلمي ذات سوق

أسبوعية، اقتربت منه... لم أخفه، كان في حالة انطفاء، لا أكثر من خشبة تتسلّى بها الأمواج.

ـ ما الذي جاء بك يا بائع المرايا إلى هنا ؟؟

... أكنت تقتفي أثري منذ ذاك اليوم ؟

... أم جئت تبيع مراياك لحوريات البحر بعد كساد سوق القرية ؟

كنت أنا حريفتك الوحيدة التي لا تتأخر عنك كلّ أسبوع، لكنّك طردتني خوفا على سلعتك مني... فقتلتك... بل أنت من قتل نفسه.

يا بائع المرايا... مراياك خانتك فجئت البحر تصنع لك مرايا من زجاج الماء.

وانتبهت لأوّل مرة منذ زمن التكسّر الذي أراق ماء الطفولة أنّ البحر مرآة كبيرةَ ستردّ لي وجهي ووجوه كلّ الغائبين فيّ.

هممت بنحت مرآتي، إذ الجسد المتخشّب يتحوّل إلى أخطبوط جهنّمي يتشرّب كلّ البحر من حولي ولا يترك لي إلاّ الرمل والملح.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قــلــم

كان الطريق إليّ شائكا ومعقّدا يتطلّب مني عتادا عصيا لأسلكه بأقلّ خسارات ممكنة لأني مسكونة بالطاعة، مشدودة إلى روح بيتنا القديم.

كنت أمشي مغرقة في تصنّت أوجاعي وتتبّع خطوط التكسرات فيّ إذ تناهت إليّ في نقطة قصيّة مني ومن الشارع جلبة أطفال يلجون مبنى بجدران بيضاء وباب أزرق كبير. لحقت بآخر طفل تأخّر عن كوكبة أترابه ورجوته أن يمنحني قلمه.

قلم واحد يكفيني لرسم وجهي.

أشاح عني الطفل بوجهه فسقط فيّ رجائي مسافة من الفقد والتفجّع.

والجرس يقرع انفلتت طفلة من الصف الذي كانت تقف فيه وهرولت صوبي، التفتت جهة الفصول وجهة الحديقة، ثم مدّت لي قلما وعادت جارية إلى صفّها.

بـــدء

خـبـأت القلم فيّ وتسـتـرت حتى مـا عـاد يبـين مني إلاّ جـذوة الروح المتشوّقة إلى الكينونة الجديدة. وجلست أتذكر وجهي الذي كانت تحتفل به مرآتي الصـغيـرة ويحضرني وجـه طفلة غافلت حـارس المدرسـة.. شقّت الصفّ، وجاءت تهبني قلمها.

... كأني أعـرفها هذه الطفلة.. كأنّ الروح تعـود إلى دميتي التي ذبحـتها حين هاجمتني العاصفة وأنا بعدُ ما امتلكت أدوات مراقصتها.

توكأت على قلمي وقمت للقياها متعثرة أكابد حالة من الارتعاش كأنّ بي حمّى، حتى جاءت خربشاتي مرتبكة... فوضويّة كثفت مسافة غربتي عنّي، إذ المرآة تطالعني على غيـر هيأتها الأولى... بها كثيـر من الضباب والصور المكسّرة.

... رأيت العاصفة تهرب بدميتي

والأتان تفكّ وثاقها

والقطّة تعتلي الجدار بحركات انتحاريّة.

وأمي تتقلّب في مضجعها قلقة.. خائفة على شيء ما ربّما يتكسّر فيّ كما تكسّر فيها.

أتشبّث بفتـيل الضوء الـمنبعث من قنديل بـفناء الذاكرة مـا اجتـاحتـه العاصـفة، وأضغط علـى قلمي بكل أعصابي وحـرقة العثـور عليّ، فتـثنيه العـاصـفـة.. تلهـو به. تغـيم كلّ الحكـايا وتتلطّخ فـرحـة البـدء بالخـوف والتوّجسات. وعاصفة المحرّمات كافرة. وأنا إبنة عائلة محترمة.

هـــزيـــمـــة

.. تنحى يا أبي.. ودعني أعثر عليّ. عمر ضـاع في بيتنا القديم وأنا أجتهد في غضّ البحر.. شكم اللسان.. ستـر الجسد والنفس كي ترضى ولم ترض بل كنت توغل في جرحي نكثا، واتداعى لك بالنزيف الصامت.

.. تعاليْ يا أمّ وانسجي معي حكاية نخاتل بها العاصفة.. نهزمها.

.. تعالوْا يا أهلي.. رقصة.. رقصة عند كلّ باب تتجسّسون من ورائه عليّ تدرؤون العاصفة عني وعنكم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. تعالى يا صـديقي.. دع لي يدك قلما، تنقصني كـثير من التفـاصيل لن تتممها إلاّ يدك التي كثيرا ما عاقرت السجائر والشاي والدواء والقصيدة.

وحـدها أمي أتت والريح تعـبث بملاءتهـا وأمي قلبـها رهيف وظهـرها كسرته الأتعـاب والأوزار. خفت عليها من هول العاصـفة فهرولت أحمـيها، فكسرت العاصفة قلمي.

انـتـصـار

من يوم الهزيمة ذاك وأنا مـتربعة في المنسج، أنسج المرقـوم وأشتري أقلاما كـثيرة، والعاصفـة تهتاج.. تفتكّ مني أوراقي وتقلب مـحبرتي، وأنا أنسج لها الحكايات العذبة وأراقصها بكل حذقي الذي اكتسبته، حتى خمدت جذوتها وأسلمت آخـر أنفاسها بين أحضـاني ونحن ملتصقتـين في رقصة محمومة هي للعاصفة موت ولي حياة.

أحسست كأنّ شيئا ما يولد في باطني، عصرني الألم، فإذا طفلتي تنبعث من رماد العـاصفة يـموج ريحان الفـرح في عينيهـا ويفوح. كـانت مزهوّة بكينونتي التي نحتها بأظافري.

احتضنتها وأنا لا أصدق عودتها. مـسّدت على شعري الممجّج، ومرّرت أصابعهـا الصغيرة على وجهي كأنّهـا تمسح عنه خدوش العاصفـة.. كأنها تردّ لقسماتي ألقها، ثمّ أخرجت من جيب فستانها الورديّ مرآتي الصغيرة.

بـيـت جـديـد

تطلعت إلى مرآتي فانعكس عـليها وجه فيه كـثير من التفاصيل أعـرفها، فـسلمت لطفلتي كلّ أقـلامي تحـبّر مـا تشاء عـلى أوراق الروح وتفاصـيل الجسـد، وانفردت بمرآتي أرتّب أثـاث بيتي الجديد وقـد استقـام فيّ زجاج التكسرات نافذة على خصب وسفر.

وهزتني نشوة العثور عليّ، فقفزت كأني أعانق الشمس.

ـ أوت 98 ـ

«لا تسبوا الدّهر فإني أنا الدهر»
ـ حديث قدسي ـ

شيء من الرّغبات

صلاح الدين الحمادي

الحمد للدهر والقدر المفتري
خلقتم على درجات
وليس لكم في البلاد
سوى ما رزقتم بكدّ اليسار
وإن تتقرمطوا نغضبْ
نحمّلكم إثم عصياننا
ونجعل ليلكم كالنهار
فكونوا بما قد وهبنا إذن قانعين.
ويحدث أن...
يعتريكم ذهول رهيب
إذا ما افتقدتم رضى الأهل والأصدقاء
فلا تحزنوا.
إن في جنة الخلد ما تشتهون
حبيباتكم ملك أموالنا
إذا ما اشتهين الخيانة
وقد يشتهين.
جنتنا الآن يا فقراء
وجنتكم بعد حين.
لنا ما نشاء من الرغبات
لكم ما تشاؤون من أمنيات ومن ذكريات
ومن أغنيات ،
ومن ولع بالشتيمه ،
ألا لا تسبّوا الذي مدّ حبل الرجاء لكم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلقوا أرواحكم دون سخط
بحبل التمنّي المتين
نحن لا نعتني مثلكم بالعصافير
لنا قطط وكلاب
نحبها أكثر من حبكم للخيول
وأكثر من عشقكم للتراب
وليس لنا في مساكننا
قلق أو ذباب
وليس لنا دافع للمعاصي
لذلك نحشر يوم الحساب
وكل كتابه يحمله باليمين.
فلا تشتمونا
لكي لا نكفّ عن الصدقات
وتصبحوا عن كرهنا
نادمين

*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

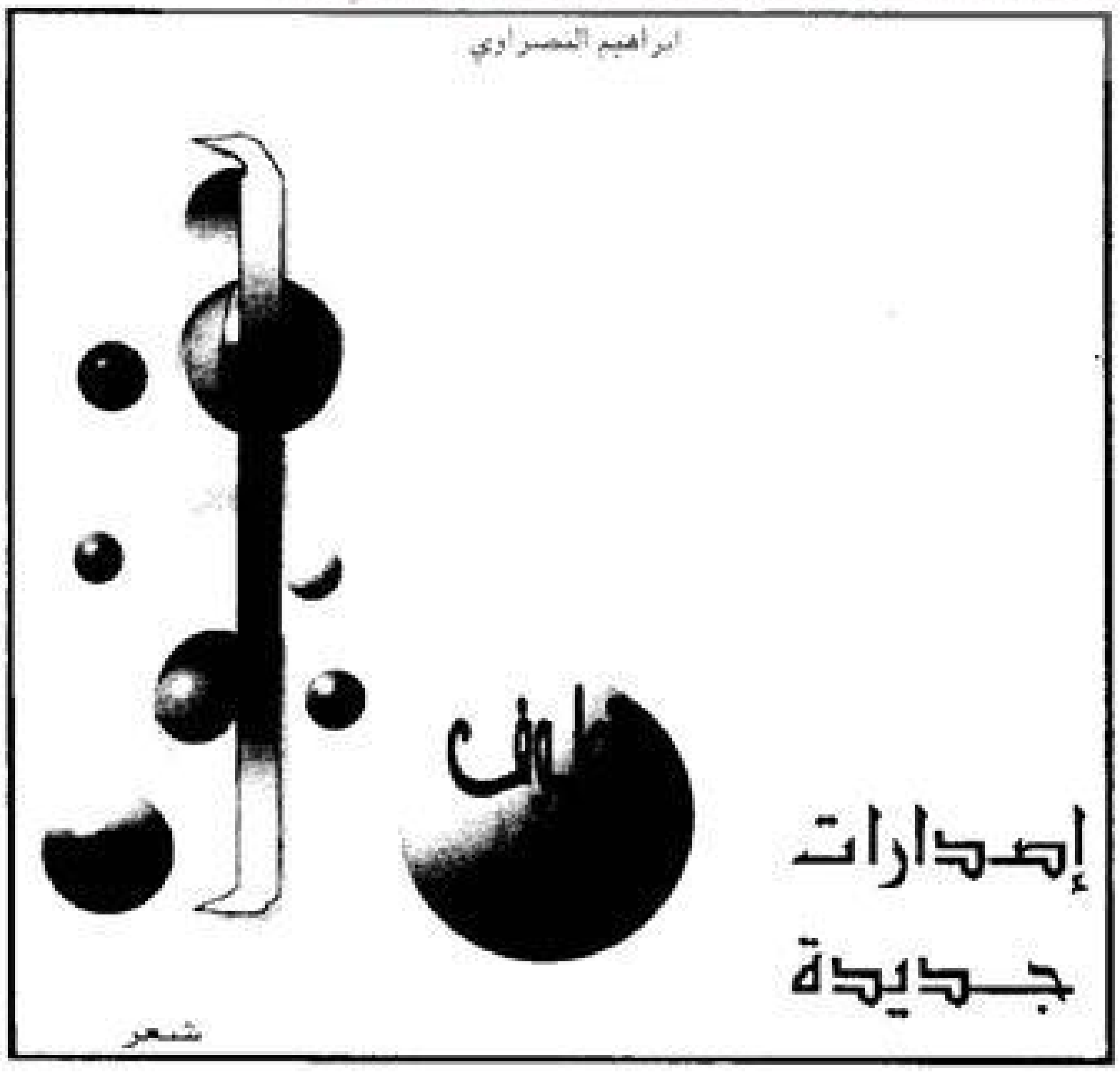

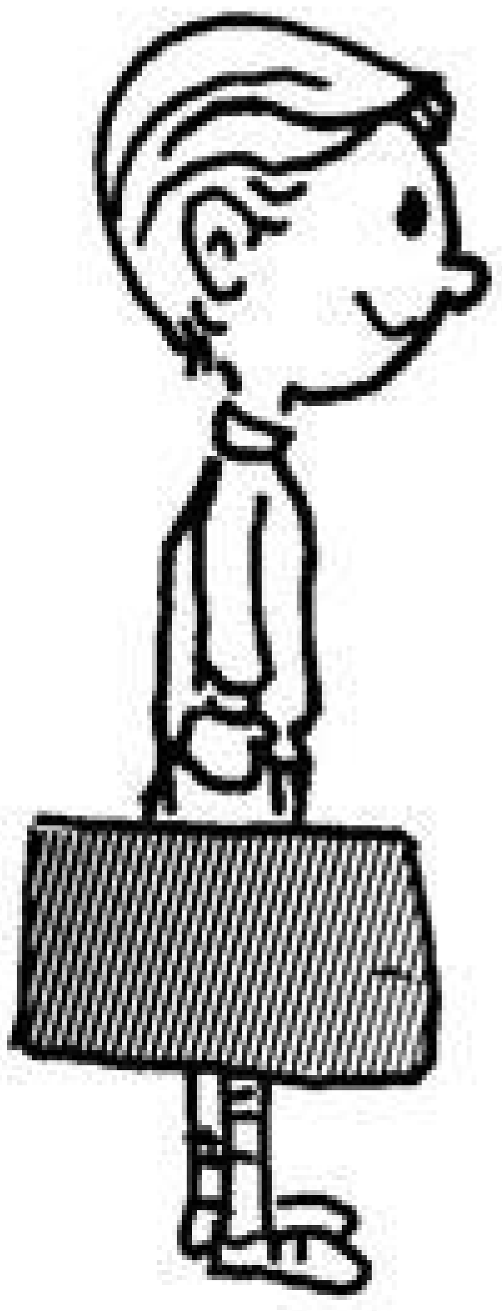

العوامل المحدّدة لحضور الأدب التونسي بالبرامج الرسمية (*)

مقطوف الظاهري

متفقد التعليم الثانوي (قفصة)

إن طرح إشكالية حضور الأدب التونسي في البرامج الرسمية ينبىء بأنه ثمة مسألتان يمكن أن تكون إحداهما وراء هذا الطرح : فقد يكون هذا الطرح صدى لذلك الصراع الحضاري الذي تأجج في أيامنا هذه بين مفهومين هما المحلية والعالمية. فالعالمية تعتبر الإنسانية أسرة واحدة لذلك لا مجال لديها لطرح إشكالية اللغة أو الجنس أو الوطن ليصبح بذلك التفكير واحدا والثقافة واحدة ولا حواجز تقف بين الشرق والغرب. ولكن ألا يكون وراء ذلك تشريع لسيطرة الأقوياء على العالم اقتصاديا وسياسيا عبر هذا الحجاب الثقافي. أما المحلية فهي الانطواء والبعد عن المؤثرات الثقافية الأخرى خاصة الغربية منها وهي إحساس وقناعة ولدتهما كثرة وسائل الاتصال وسرعتها. لذلك بدأ الحديث عن الذاتية التي تميّز كل شعب من الشعوب بل أدى الأمر إلى حد أن جسّدت اليونسكو ذلك في دليل عمل العقد العالمي للتنمية الثقافية 1988 ـ 1997 ومما تضمنه هذا الدليل ما يلي : «إن الذاتية الثقافية تعني أولا وقبل كل شيء تعريفنا التلقائي بأننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بما لها من قيم تميّزها أخلاقية أو جمالية... وتتضمن (الذاتية) أيضا الأسلوب الذي به يستوعب تاريخ هذه الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأساليب حياتها وإحساسها بالمشاركة في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(*) مداخلة قدمت في ندوة نظمها اتحاد الكتاب التونسيين حول «الأدب التونسي في البرامج المدرسية» (23 ـ 24 ـ 25 اكتوبر 1998).

تشكيل قدر مشترك».

فمن مقومات الذاتية نجد اللغة التي تحتل مكانا متميزا ولأن اللغة إطار كل عمل إبداعي ولأنه لا مجال لتعلم اللغة بمعزل عن محيطها فإن تناول اللغة ظاهرة أو ممارسة يعني دراسة مجموعة من المفاهيم والاتجاهات والقيم التي تشكل هذه الذاتية الثقافية والتي نتناولها في لقائنا هذا تحت إسم الأدب التونسي.

ولن تكون المداخلة انتصارا للعالمية أو للذاتية على اعتبار أن ما تضمنته البرامج الرسمية للمرحلة الثانية من التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية وما قام عليه النظام التربوي قد كان حسما لهذا الصراع. فالمؤسسة التربوية بعيدة عن أن تكون الاطار الأمثل لهذا الصراع. ولكن إذا كانت الثقافة لا يمكن أن تكون شيئا إن لم تكن شخصية بمعنى أو بأخر وإذا كان فهمنا للعمل الإبداعي قائما على اعتبار أن الهوة الفاصلة بين ما هو ذاتي وما هو إنساني هوّة واهية انطلاقا من كون الأدب يمكن أن يكتسب إنسانيته من ملامسته الواقع الذي قد تضيق حدوده إلى حد يخيَّل إلينا أنه ضرب من الانغلاق والانعزال، يصبح من البداهة ومن المشروعية البحث عن مكانة الأدب التونسي في البرامج الرسمية طالما أن هذا الأدب من أهم مكونات شخصيتنا الثقافية التي هي تآلف بين الهوية الوطنية والانتماء العربي الاسلامي والمغاربي والانساني.

فمن أبرز الملامح التي تميِّز برنامج الأدب في التعليم الثانوي التنوع وهو تنوع تنازعته تيارات فكرية ونقدية شتى منها ما هو معلن ومنها ما هو خفي ومنها ما اكتسب حق الحضور بالبرامج الرسمية انطلاقا من سنة القدامى ومنها ما اقتحم هذه البرامج اقتحاما حتمته سنّة الحداثة وإرادتنا مواكبة المتغيرات لأن الإبداع لا يمكن أن يظل بمعزل عن المتغيرات بل إن الأدب رصد لها ورسم لتجلياتها واستشراف لما يمكن أن تؤول إليه فهناك في هذه البرامج ما يشد التلميذ إلى انتمائه العربي الاسلامي القديم وهناك ما يصله بانتمائه المغاربي قبل أن يصبح هذا الانتماء خيارا سياسيا وهناك ما يجعله مطلعا على الفكر الانساني ومؤثرا فيه ومحاولا الملائمة

بين مقولات هذا الفكر وخصوصية البيئة التونسية والعربية عامة (الرومنطيقية).

وإذا كان أهم ما تأسست عليه البرامج الرسمية محاربة الانغلاق ودعم التفتح على الحداثة والحضارة الإنسانية في إطار الهوية الوطنية فلا يجب أن يحول ذلك دون طرح السؤال : أين الأدب التونسي من هذا كله ؟ وما الموقع الذي يحتله في هذه البرامج ؟ وهل من دور يمكن أن ينهض به في إطار محاولة توعية التلميذ بالهوية الوطنية التونسية وتنمية الحس المدني لديه والشعور بانتمائه الحضاري ؟

وقد يكون ما تضمنته البرامج الرسمية من توجيهات ومن أهداف وما قام عليه النظام التربوي من أسس تأكيدا لتوجه سليم نحو تشكيل ذات الانسان التونسي. ولكن المؤسسة التي تحملت مسؤولية وضع البرامج إنما تضع تصورات عامة خالية من التفاصيل الدقيقة بينما يرد الكتاب المدرسي ترجمة تفصيلية لهذا المحتوى. أي أنه عندما تتحول هذه التوجهات إلى فعل وممارسة يصبح التساؤل عن موقع الأدب التونسي ضمن هذه المنظومة مشروعا. وهذا التساؤل حتمته قراءة النصوص التي يعاشرها التلميذ وهو ما ستؤكده الجداول التالية التي تصوّر حضور النصوص التونسية بالكتب المدرسية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السنة السابعة من التعليم الأساسي

المحور	عدد نصوص المحور	النصوص التونسية	النسبة
الاسرة	12	01	%8 ,33
الحي	12	02	% 16,66
الوطن	10	08	% 80
الاطفال في العالم	09	00	% 00
عالم الحيوان	12	01	% 8,33
شخصيات قصصية	08	00	% 00
حكايات عن الشعوب البدائية	09	01	% 11,11
المجموع	072	13	% 18,05

السنة الثامنة من التعليم الأساسي

المحور	عدد نصوص المحور	النصوص التونسية	النسبة
مسرات العائلة	12	05	%41,66
مظاهر من الحياة في الريف والمدينة	17	08	% 47,05
الطبيعة	11	02	% 18,18
الترفيه والثقافة	07	01	% 9,09
عظماء الإنسانية	07	02	% 28,57
اكتشاف العالم	09	02	% 22,22
مشاعر وأحاسيس	13	07	% 53,84
المجموع	80	27	% 33,75

السنة التاسعة من التعليم الأساسي

المحور	عدد نصوص المحور	النصوص التونسية	النسبة
المرأة في المجتمع	11	01	%9,09
شواغل الإنسان المعاصر	14	01	% 7,14
الإعلام	15	03	% 20
تفاعل الثقافات	10	02	% 20
الشعوب ومعتقداتها	11	02	%18,18
الفنون	16	02	% 12,50
المجموع	77	11	% 14,28

* نسبة حضور النصوص التونسية بكتب النصوص الخاصة بالمرحلة الأساسية الثانية :

%22,02

السنة الأولى ثانوي

المحور	عدد الحصص	المحتوى	نسبة حضور التونسي
الشعر الجاهلي	15	عنترة ـ الخنساء ـ النابغة	
شعر الغزل بالحجاز	16	جميل معمر ـ عمر ابن أبي ربيعة	
الشعر الوطني في بداية القرن العشرين	13	أحمد شوقي ـ أبو القاسم الشابي	6.5 ساعا
فن الأقصوصة : البدايات	14	محمود تيمور ـ علي الدوعاجي	7 ساعات
السيرة الذاتية	12	طه حسين	
المجموع	70		13.5 = 19,28 %

السنة الثانية ثانوي

المحور	عدد الحصص	المحتوى	نسبة حضور التونسي
التجديد في الشعر العربي في ق 2 هـ	20	بشار بن برد ـ أبو نواس ـ أبو العتاهية	
من أشكال الأدب القصصي القديم النادرة الحكاية المثلية	16	كليلة ودمنة ـ البخلاء	
الأدب الرومنطيقي	16	العواصف : جبران خليل جبران أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي	08
المسرحية	10	مراد الثالث : الحبيب بولعراس	10
من الفكر الحديث	08	امرأتنا في الشريعة والمجتمع : الحداد	08
المجموع	70		26 = 37,14%

السنة الثالثة ثانوي

المحور	عدد الحصص	المحتوى	نسبة حضور التونسي
الشعر في المغرب ق 5 هـ	18 22	ابن زيدون : الغزل ـ الحصري : الرثاء	0
نماذج من النثر القصصي في ق 4 ـ 5 هـ	20	المقامات : الهمذاني ـ طوق الحمامة : ابن حزم	0
الشعر العربي الحديث	10	نزار قباني ـ بدر شاكر السياب	0
فن الأقصوصة	70	حادثة شرف : يوسف إدريس	0
المجموع			0

* لم يتم اعتبار الحصري ممثلا للأدب التونسي باعتبار المحور ينزّله في إطار تمثيل شعره الشعر العربي في المغرب.
* لم يتم رسم جدول خاص ببرامج السنة الرابعة ثانوي لورود ذلك في مداخلة أخرى.

كتـــاب اللغــــة

نظرا لكثرة النصوص التي يتضمنها كتاب اللغة ولكون هذه النصوص تتفاوت من حيث الحجم ارتأيت ان أنظر في ثلاثة دروس من برامج السنة التاسعة من التعليم الأساسي وكان اختيار هذه الدروس على أساس الظاهرة اللغوية التي تتناولها. إذ فيها تناول للعلاقات بين الجمل على أساس التمييز بين الابتداء والاستئناف والاعتراض وأدوات الربط والنداء وهذه المسائل اللغوية لا يتميز بها نص عن آخر.

المسألــــة	عدد التمارين (نصوص وجمل)	عدد النصوص التونسية	النسبـــة
العلاقات بين الجمل	16	02	% 12،5
الربط	47	09	% 19،14
النداء	47	03	% 06،38
المجموع	110	14	% 12،72

* فعدد النصوص التونسية مجتمعة أقل من عدد نصوص محمود تيمور لوحده (15 نصا). قبل التعليق على هذه الأرقام والنسب وقبل المجازفة ببعض الاستنتاجات لابد من التفكير بالأهداف العامة لشرح النصوص في المرحلة الأساسية الثانية : إن شرح النص تأليف بين مدخلين إثنين : المحاور باعتبارها تحدد المعاني التي تقوم عليها النصوص وأنواع الكتابة من سرد ووصف وحجاج ليكون التلميذ بذلك قادرا على التعامل مع النصوص باختلاف أساليبها ومضامينها تعاملا يغني رصيده المعجمي ويحقق له متعة ذهنية ويمكنه من التمييز بين مختلف أنماط النصوص. وانطلاقا من هذه الأهداف لا نجد الإلحاح على الهوية صريحا. فلا وجود لنمط كتابة خاص بمجموعة معينة أو بلغة معينة فالنص السردي قائم في العربية وفي غيرها من اللغات وحتى وإن تنوعت النصوص السردية فإن ذلك لا يرجع إلى طبيعة اللغة التي بها نكتب بل قد يكون المتقبل طرفا محددا

لذلك وإن يظل الإبداع العامل الأساسي الذي عليه تتوقف الكتابة ولكل مبدع اختياراته. وعلى أساس هذه الاختيارات يمكن أن تصنف النصوص. وعليه لا يمكن الحديث عن نص سردي تونسي. أما إذا انطلقنا من المحاور فيصبح التساؤل مشروعا. فمواضيع كالأسرة والحي والوطن والمرأة والطبيعة والريف والمدينة جميعها تساهم في تشكيل الهوية الوطنية.

ولكن الوقوف على النسب التي تضمنتها الجداول يقود حتما إلى الإقرار بضآلة حضور الأدب التونسي بالبرامج الرسمية وإن كان ذلك بنسب متفاوتة. وقد يكون النظر إلى المسألة من زاوية الكم غير منصف لتناقض ذلك وخياراتنا التربوية. فالأدب كما يعرفه توفيق الحكيم هو «الكاشف الحافظ للقيم الثابتة في الإنسان والأمة الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في شخصية الأمة والإنسان» فالأدب متصل بالقيم وهو الاتصال الذي نجد صداه في البرامج الرسمية من خلال تلك المحاور التي تسعى إلى تأصيل التلميذ وإلى الإسهام في بناء شخصيته بناء يبتعد عن الإسقاط والتأثير. إذ كان نمط الكتابة المدخل إلى هذه المسائل. لذلك كان التأليف بين المباني والمعاني أفضل المداخل إلى دراسة النصوص في هذه المرحلة، بل يمكن اعتبار هذا المدخل المعيار الذي يقوم عليه اختيار النصوص.

وإذا نظرنا في الآثار التونسية نجد أنها لم تكتسب صبغة خطابية تثير الحماس أو الشفقة ولم تسع إلى القيام بالدعاية إلى هذا المذهب أو ذاك بل حاول الأدباء التونسيون توظيف خصائص الكتابة الأدبية الراقية للتعبير عن معان هي نفسها التي تضمنتها البرامج الرسمية كالانتماء إلى الأسرة والحي والوطن.

ولا نرى في هذه المعاني انغلاقا على الذات ذلك أن الآداب جميعها في السنوات الأخيرة قد نحت منحى لا يقوم على وصل الإنسان بمجموعة من المثل بقدر ما يقوم على محاولة تحقيق تلك المثل عبر مقاربة الواقع. فكان الحديث عن الحي الضيق سبيل الكاتب إلى العالمية الرحبة. فلا قطيعة بين ما هو وطني وما هو إنساني بل متى استطاع الوطني بلوغ مرتبة الإبداع جعل منه ذلك أدبا إنسانيا. وهذا ما يسمح لنا بالقول أنه ثمة إمكانية لدعم

حضور الأدب التونسي ببرامج المرحلة الإساسية الثانية وهو ما يؤكده حصر المؤلفات التونسية.

فإذا انطلقنا من كون الإنتاج التونسي ما بين 1956 و1984 قد ضم 83 مجموعة قصصية و70 رواية و25 مسرحية إلى جانب 147 مجموعة شعرية و78 كتابا نقديا أمكن القول أنه بالامكان أن يكون حضور الأدب التونسي في البرامج الرسمية أفضل إذ كثيرة هي النصوص التي تستطيع أن تجمع بين نمط الكتابة الذي حددته البرامج والموضوعات التي هي جزء مما تقوم عليه تربية التلميذ. ولا نكون بذلك قد وقعنا في الإقليمية الأدبية الضيقة بل يمكن أن ينهض هذا النص التونسي بالوظيفتين معا وتتحقق الأهداف المرسومة بشكل أفضل.

المرحلة الثانوية : مع هذه المرحلة يبدأ الحديث عن الأدب باعتباره عملا إبداعيا ليقوم تدريس الأدب على محاولة تدريب التلميذ على التعامل مع الكتابة تعاملا يقوده إلى الوقوف على خصائصها إلى حد يمكنه من تصنيف الأعمال الأدبية. ونحن عندما نحاول تحديد العوامل التي تقف وراء اختيار البرامج الرسمية المسائل الأدبية نجد ذلك واضحا من خلال هدف من أهداف تدريس الأدب ألا وهو إطلاع التلميذ على الأدب العربي في أهم أشكاله وأغراضه وأطواره وأعلامه. والتأليف بين الأشكال والأغراض والأطوار والأعلام قد يبدو عملا يتناقض واتجاهات النقد الحديث إذ ثمة من يعتبر التأليف بين مناهج مختلفة عند تناول الظاهرة الأدبية أمرا مستحيلا ولكننا عند استقراء المسائل المدرجة نجد كون دراسة الأدب وفق منظومة الأجناس الأدبية بدأت تتبلور. فهناك النادرة والحكاية المثلية والأقصوصة والرواية والمسرحية والمقامة والسيرة الذاتية وفي مستوى أقل يتم تناول الأدب انطلاقا من أطواره. فهناك تحديد للعصور الأدبية وحديث عن التجديد باعتباره بحثا في علاقة اللاحق بالسابق.

يلي ذلك تناول الأدب انطلاقا من مقولة الأعلام أو الشخصيات كالحديث عن المعري أو التوحيدي أو الجاحظ... وفي مقام أخير حديث عن الأغراض الأدبية وهي في حد ذاتها مسألة غير ثابتة ومتحولة لاندثار موضوعات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقيام أخرى .

وهذه المداخل بتنوعها سبيل التلميذ إلى الأدب العربي. لذلك كان تناول الأدب التونسي في هذا الإطار (الأقصوصة الواقعية، الرومنطيقية، الشعر الوطني، المسرح الذهني) وغالبا ما كان حضور الأعلام التونسيين بالتوازي مع أعلام آخرين فالدوعاجي مع محمود تيمور والشابي مع جبران حينا ومع شوقي حينا آخر والمسعدي مع الحكيم في المسرح الذهني. إن هذه المداخل كانت الإطار الذي يتسع لحضور الأدب التونسي أو يحول دونه لذلك لا يمكن الحديث عن مقامة تونسية أو نادرة أو حكاية مثلية مقابل ذلك قامت دراسة المسرح على أعمال جلها تونسي. ومهما يكن من أمر يبقى الحضور محدودا إن نحن انطلقنا من قراءة تقوم على النسب فتلميذ السادسة ثانوي لا يطلع على أي أثر تونسي وتلميذ السابعة آداب إنما يرى الأدب التونسي من خلال أحد مؤلفي المسعدي «السد» أو «حدّث أبو هريرة قال» فهل يمكن الحديث عن حضور أفضل ؟

ولنا أن ننطلق من تساؤل شبيه للدكتور محمود طرشونة في كتابه «مباحث في الأدب التونسي المعاصر» حين حاول البحث عن الأسباب التي تقف وراء قلة اهتمام الدراسات الأدبية العالمية بالأدب التونسي ليقر على إثر ذلك بكون الأدب التونسي «بقي مجهولا في أغلب الأوساط الأدبية. فهو لم يتجاوز الحدود لتبقى محاولات التعريف به وليدة الصدفة أو العلاقات الشخصية »« ويرى أنه حتى هذه العلاقات الشخصية قد لا تنتقي الأفضل الذي يمكن أن يعكس بحق صورة الأدب التونسي. ولكن إذا كان البحث عن منزلة للأدب التونسي بين الآداب العالمية أمرا مشروعا فان ذلك لا يجب أن يحجب عنا أمر البحث عن منزلة هذا الأدب داخل الحدود. فهل للأدب التونسي منزلة في برامجنا الجامعية ودراساتنا العليا ؟

إن مشروعية طرح هذا السؤال متأتية من كون الجامعة أهم مؤثر في الحياة الأدبية في تونس وأهم محدد لصورة الأدب في البرامج الرسمية للتعليم الثانوي. فالجامعة تكوّن الأساتذة وتتدخل في تحديد البرامج وتشرف على تأليف الكتب المدرسية. ولكن ما يلاحظ أن حضور الأدب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التونسي بالجامعة التونسية حضور محتشم. فهو من خلال نصوص منتقاة بل إنني أعيد انتقاء هذه النصوص إلى أسباب وقناعات شخصية كبعض قصائد الشابي أو نصوص المسعدي ونصوص مصطفى الفارسي وخريف... فكيف نعيب على غيرنا قراءة الأدب التونسي قراءة تقوم على الإنتقاء ونحن قد أفرطنا في هذا الانتقاء إلى حد أن قائمة من يمثل الأدب التونسي في برامجنا تبدو جاهزة ومن الصعب أن تتسع لغير من سبق إدراجهم ضمن هذه القائمة. وقد لا أكون متشائما إن قلت أن تناول تلك النصوص بالدراسة في الجامعة بدأ موحيا بكونها تمثل كل ما هناك من أدب على الساحة الوطنية يمكن أن تنسحب عليه صفة الإبداع. إن الاهتمام بالنص التونسي لا يمكن أن يكون بمعزل عن الإطار الأشمل وهو الأدب العربي وهو ما حاولت البرامج الرسمية الالتزام به ولكن يمكن أن يكون لهذا الأدب حضور أفضل إن نحن صنفنا هذه الآثار التونسية التصنيف الذي يتلاءم والأهداف الرسمية وإن قام بالجامعة التونسية الاهتمام الذي يؤكد حضور الأدب التونسي باعتباره ظاهرة لها ما يميزها ولها إسهاماتها ولها من النضج ما يسمح بإدراجها ضمن برامج التعليم الثانوي.

خلــــودات

رعـد مطـشـر
العـراق

لي حبال ألمّ عمرها بصعودي
كلّ قنوت،
وفي الركوع..
أرى حنجرتي بيديها كي أمنحها إيماءة مدًى ،
ساجدا
تحت صرخة عكّازي
أرفع القطارات من ياقاتها وأنفضها
ليسقط ليل الجند كالمصابيح ،
وأسمع كيف تموء المرايا بوجهي
وتفكّ أزرار تلفّني قبل أن تلمحني العربات ،
أنا الذي علقت المحطّات ببابي
وأمرت أنتظارها :
ـ تمهّــل
لا ترم نطاقك ...
ها قد سامحك الراحلون
وها .. هناك صلاة الآفلين على مرمى المطر ،
فلا تخش أنين وداعتها ،
ولا تحزن لتسبيح غنائمها ،
أو .. لا تسأل :
ـ هذا الخفوت لم ؟
وأصابع الغيم تنزّ بالبرق وتنثني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لتسقي شتات نذورنا التي لم تصل
لأنّها صارت مظلة لتجميل الدعاء !
ـ هذا البهاء لمن ؟
وأمهاتنا ما زلن يأسرن الغزاة بشهقة
ثمّ ...
يقايضن أنواط الشفاعة بالطغاة
ليوقدن أنتصار صفوفنا بالوطن .
ـ ولماذا الارتجاف إذن ؟
والحرب جرّدت شطآنها من أدمع السبايا
وشاحت بسفينها عن شمعة الغريق
موقظة خفر السواحل :
هيّـــا
هيّـــا
هيّا أحرثوا الموج المقمّط بالحشود !
ـ وحتّى متى يُولج البحر طوفانه في قناة الحشود ؟
والأرض تخلع دورتها للشتات
وتفطم أنسكاب الأرامل بالحرير
ناحتة لليتامى أمس المسلاّت ،
والحاضر
آه
خَلجان علقم يرضعها رجل أعمى للثغور
مطوّقا غصن المنافذ بالوقوف !
ـ فعلامَ الكراسي سمت في السماء ؟ !
والقوائم
تنحتُ القامات نهبا للجلوس
وتوصي القائمين عليها أن يقترحوا ..
هيئة فخذيك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعليك
أن تتصفح ورشة التاج العظيم !
ـ ولِمَ التساؤل أصلا ؟
والعمر مزدحم بالنضوب
مطوّحا كلّ متن للهوامش هنا
وهناك ...
أسدل جنوح وليدي نحو أحشاء السمك
وأزعزع فصاحة أمواتي
من تأتاة المحيط ،
عائمـــا
صوب
قاع المآثر
وما أكثرها :
فأن يكن نسرا ...
سأسطّح راسي عشا لجنون جناحيه
وأمدّ أقصى جبهتي مهبطا لاستقامة مخلبيه
أما حاجبايا فساتران
لريشه المصفّح !
وإن صار قانونا للتعلّم ..
سأمحو أميّة وجهي ،
وأدمجها في وعي ميزانه ،
وأشاغل انزلاق عيوني الى كفتي عَدْلِه الطّاغي
قبل أن ترفع المصائد كسورها
عـــن
فم الحاكم
وتلصقها على عنق الشهود ،
وألهج بحمد حكمته الحافية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

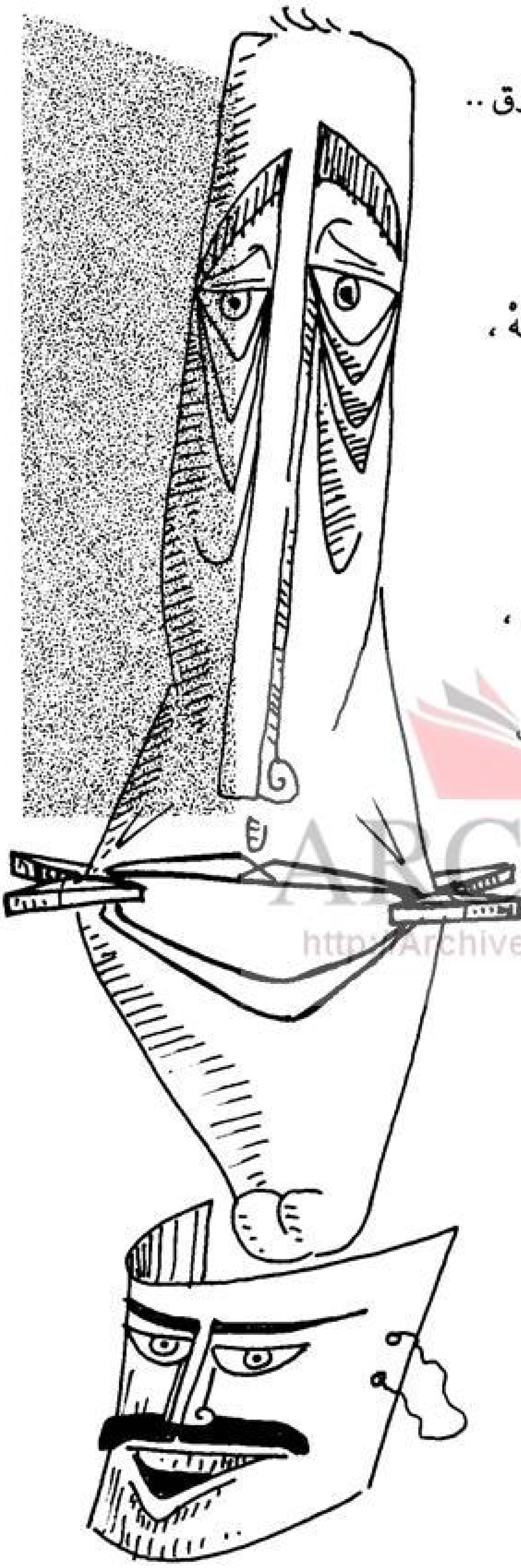

من جعل وجهه معْبرا
أكلته التصاريح وساقته نوبات الطرق ..
وقد
أردّد بمعول أخرس :
أمّي تعرف لغتي
وتدري بأن رحمها أقفاص لُغمٍ مقفلهْ ،
وتسرجُ حَبلَ سرّي
قطيعا للمراثي
وقرنا للمقصله ،
وتخبئني من شيخوختي
ومن النهايات التي لا باب فيها ،
وتناورني :
أيّها الولد المفضّل على كاتم الصوت
ووميض الفرح...
بَلغ التأريخ عظامك ،
فلم لا تضحك أكثر ...
حتّى لا يتنزّه فيك
وجهُ أسير ،
أو تبكي كثيرا ...
ليبترَ الحزن عواءه ثمّ يمضي
كمعوّق ،
أو تكتظَّ مثل
جنـــديّ
يخترع اللحاقَ بأرتال الفراغ
ويرمّم في ثكنات العودة
قلب قتيل
داعبتْه أراجيحُ الصور ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينبغي أن تتفاءل أخيرا
وأنت
ترى
شبَاك أبيك كيف تصطاد الأبناء
مَن
بحيرات الجثث ،
وقد تخطفها ـ ذات نزوة ـ
من
رخام الأعمدة ...
فتبسَّـــــمْ !!

كركوك

إصدارات
جديدة

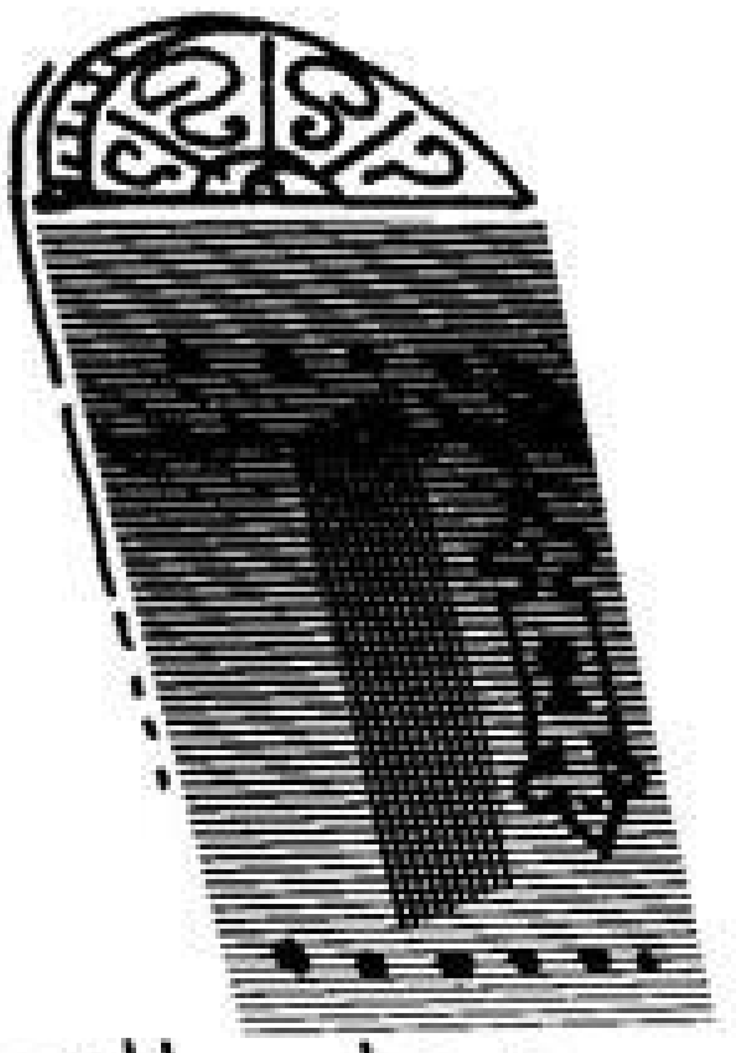

من
رؤى الحلاج
قبل صلبه

محمد علي الخميري

1

سمع أذان الفجر يأتيه إلى حجرته في الطابق العلويّ، قويا واضحا، آمرا، آسرا. نزل من السرير فرأى الأنوار تشع في الغرفة وقد تحوّل كل شيء فيها ينابيع تبث السلوى والسرور. لاحظ أن رجليه لا تلمسان الأرض فهو كالطائر أو كالسابح في أرجاء الكون، لم يندهش ولم يحتر، وواصل السير حتى بلغ الباب: فانفتح أمامه الوجود سيلا من المواجد وسمع صوتا يأتيه من الفضاء: إن ملكت سرّ الحروف فأنت سيد العاشقين، فتمتم: ما ألذَّ الاغترابَ في كهوف الوجد. ورأى نفسه كوكبا وسط السماء والنجوم من حواليه تحوم، وهو الهائم في ملكوت ذاته. وفجأة وخزه الحنين واستبدّ به الشوق فالتفت نحو سكنه وقال: لقد خلقت لأشقى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2

ارتعش ضوء في الأفق ثم خبا وخمد. قال الراوي: سرُّ وجدي حرف «حاء». سَمِعَ حفيف الشجر من بعيد يخالط همهمات المريدين في الخلاء. ارتفع صوت من وسط الحلقة يقول: في البوح بحبك غايتي وانتشائي. ثم عاد السكون يلفُّ المكان ولم يظهر ضوء في الأفق ولم يرتعش.

3

في حلكة ذلك الليل البيهم لم أعد أدرك شيئا إلاّ شذى عبقا يتهادى مع

نسيمات آتية من جهة الجنوب. قال أحد الجالسين في الظلام : في الجنوب جبّانة هزَّ الوجد أشباحها فهم بين تسبيح وعربدة...

4

استقر في مقام العشق ولم يبرحه. عصفت به رياح الشكّ وتاه في الطرَيق، ولم ينقذه إلاّ صوت تدلّى من سرايا الروح : في الشكّ مُستقَر اليقين.

قال : لمّا حللت بمقام الورع احترت ما أقول ؟ ابتسم شيخي وردّد بصوت كرنّة الذكرى : لكلّ مقام مقال.

5

سُمِعَتْ أصواتٌ آتيةٌ من الخلاء كأنها نازلة من الفضاء. همهم الصوت الأول : أنفض خلايا القلبَ وتسمّر في العتمة.

همس صوت ثان : «الريح تمحو والرّمال تتذكر» (1).

وتمتم صوت ثالث : عذاب الوجد تسبيح، وآهة الهجر موّال.

6

على رقعة سقطت من بعض الوراقين، كتب : ما أتعس الخلقَ لولا نعمة الهجران.

من قال : لا أدري، فقد وقّى نفسه من الزلل، من فهم كلام الرّعود فقد ملك سرَّ الأسرار.

قال المريد : لَمّا دخلت مقام الزهد خلعت عني كل نعيم الدنيا، ولمّا حللت بمقام التوبة خلعت عن قلبي كل غل وضغينة. ولما رأيتني بمقام العشق أحببت كل النساء. وكان يقول : حق الجمال هو جمالُ الحقّ.

7

سألت شيخي يوما وقد كان إمام العارفين : ما هو اليقين ؟ فقال دون تردد : هو ساعة الفناء. وطالما سمعته ينشد أبياتا في نغمة كافول الهوى :

«أطفىء لظى القلب بشـــهد الرضاب»(2) ثم يعـقب بقوله : اللهم زدنا عشـقا حتى نبلغ مراتب الشهداء. ونظر مـرة الى البحر وقال : لا يقدر كل هذا الماء على غسل ذنب عـاشق لم يخلص لمعـشوقه. وسُـمع يوما يقـول : «يا عالم الأسرار علم اليـقين»(3) فسـئل ما هو سر الأسرار ؟ فـقال : معـرفة مكمن العشق من المخلوق .

8

استقبلني بالأحضان، مبتسما. قلت له : من أين يأتيك كل هذا السلام ؟

فَقهقه عاليا : سلام ؟ أيّ سلام ؟

اقترب منه وهمس : لـيتنا نعود كما كنا من قـبل. وترجع أيامنا الخوالي. فقالَ : للشمس طلعة واحدة في النهار. والغروب نهاية الكائنات.

9

توارى عنا أيامـا حتى كدنـا ننساه. وأشرق علينا ذات فجر مـن حيث لا ندري، سألناه : أين كنت كل هذا الدهر ؟ فهمس كأنه يخاطب ذاتا خفية : في قربك أنسى كلّ تباريح الهوى.

شكاه محب من لوعة الجـوى، فقال له : هل ترى محبوبك أحـيانا ؟ قال : نعم. فقال : تلك هي النعمة الكبرى .

10

عدناه عند مـرضه وكانت داره في الخـلاء منعزلة عن الخلق، لا يهـتدي إليها إلاّ من خبر طريقهـا، تسبح في سكون شامل وسكينة لا حد لها. قلنا له : ألا تخشى الـوحدة والانعزال ؟ تبـسمت عـيناه فأضـاء المكان كإشـراقة الصحو بعد السهاد وقال : كيف أكون وحيدا ومعي المحبوب ؟

جويلية 1979

---

1 ـ عنوان كتاب حسب الشيخ جعفر.

2 و3 ـ من رباعيات الخيّام : ترجمة أحمد رامي.

فَوَاصَــل

عمّار العونــي

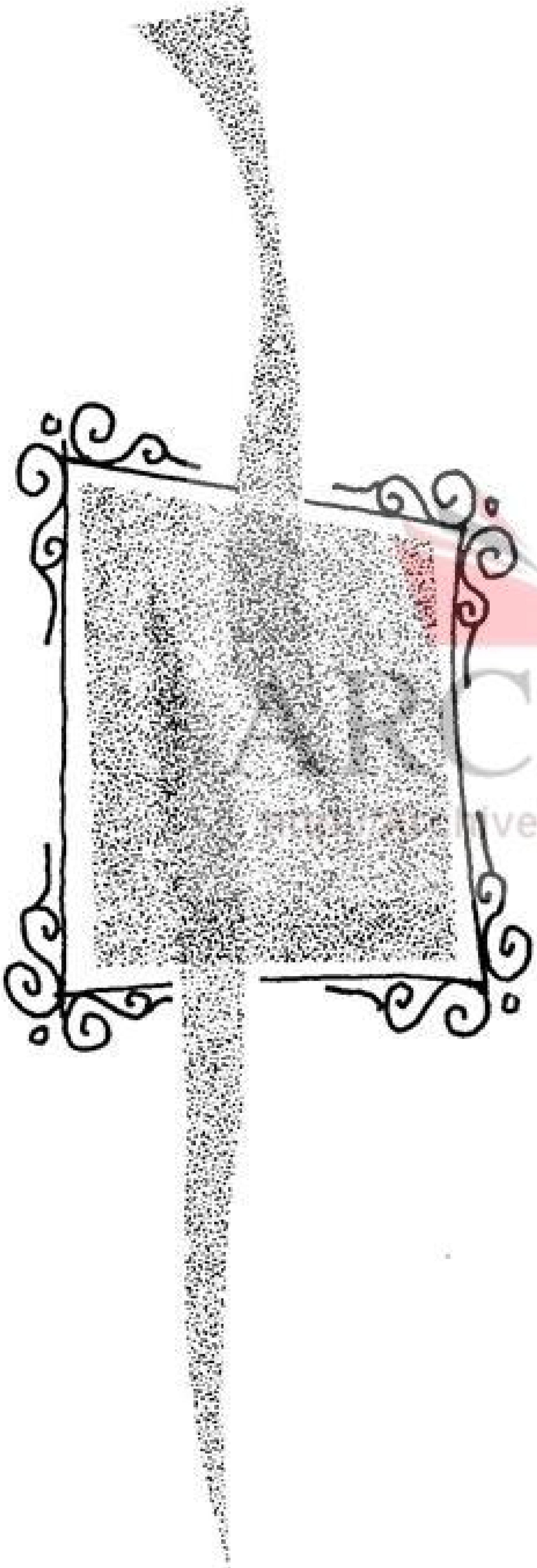

1 ــ دَرويش :

أطردته ٱلقبيلة
فأمضى اللّيل
يراقص الغيلان
ثمّ ٱلبّها عليها
ومضى
يضرب القداح .

2 ــ شاعر :

يغتبق، يغتبق
حدّ الاصطباح
ويغنّي
فتزغرد الأسحار
ويصفّق الجناح .

3 ــ طفل :

كان لي طفل
يتوارى وجهه
في ذاتي،
وحين انصرفت
عنه
همّ في أثري

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

وارتسم نورًا
على شرفاتي .

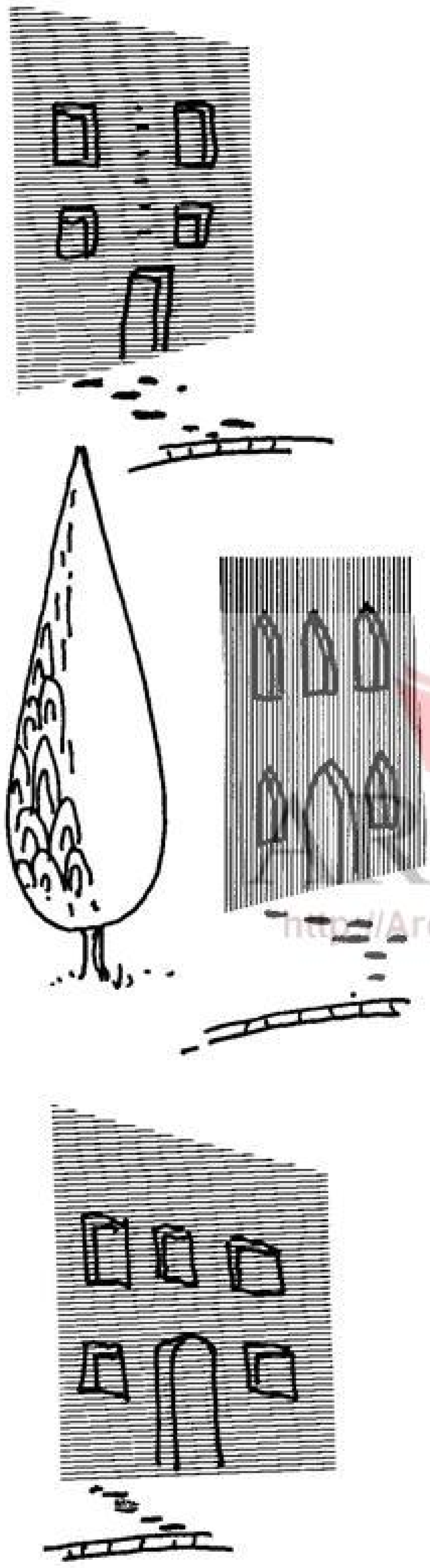

4 ــ وجه .
وجهٌ ينحدر
على عرض البلاد ،
والرّيح مثقلةٌ
بالأغاني
تمرُّ ...
حتّى إذا ألفته ،
تكسّرت على
صفحاته .

5 ــ غريبٌ :
غريبٌ ،
يعبر البلاد
باردًا ... باردًا
ويعبرني
وكان يبدو مشتعلا
قال حدّثني : لماذا
المدينة ، باردةٌ ؟
أما من عذارى ، في
هذا الخلاء .. !
قلت ، ضيّقٌ عليها الخناق ..
وقف على الرّصيف
المقابل ،
قــــد

تعيد إليها
الاشتهــاء .

6 ـ امرأة :

المرأة التي
نفخت في روحي
وقرأتني
مددت لها
عند المضيق، جسرا
كـفَّــي
فعبرتني
إلى
أمداء الآخرين .

7 ـ سنبلة :

من ألف عام أعرف
عنها الكثير
كانت توصوص
لزَرزُورِ يوزّع
علينا أشجانه
بالتّساوي
وذات يوم، نطق
ردّي عليَّ فؤادي
وآحتملي خجلي...
وغازلهــا...
وحين لانت
انصرف.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

8 ــ غروب :

الغروب
أشبـه ما يكون بالمعبد
والشّمس دوّرت
قصعة أرجوانية / فيها
تغطس الآلهة سيقانها
وتصبغ أرجل الخطاطيف
وتبتذل البهاء ..
ترتجل الامتداد .

9 ــ آخر جولة :

بالأمس التقيته
كان
يرقص على رجل واحدة
وحين يتعب
يشتم العجله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

10 ــ أخيرا :

جمّعت أفراحك...
واحدة... واحدة
فغربليها
وأعجنيها
ثمّ وزّعي
أصابع الحاكي
على
العشّــــاق .

من إشكاليات تلقي الشعر في تونس

قضية تلقي الشعر من القضايا الملامسة لطبيعة الشعر نفسه، من حيث هو خطاب غير عادي، لا يعتمد التصريح اعتماده التلميح، ولا يتأسس على المباشرة في التعبير بقدر ما يتأسس على التصوير وما يستلزمه من مجاز يخرق منطق اللغة العادي ويجوز بها إلى تخوم غير مألوفة حتّى ليعتقد القارئ أو السامع - أحيانا - أنه بإزاء كلام لا يستطيع ردّه إلى ما اعتاد من معان ولا تلخيصه في جمل أو الإخبار بمحتواه في فقرة أو فقرات.

والأمثلة على ما نقولَ أكثر من أن تحصى، ويكفي أن نتصفّح بعض الكتب التي دوّنت أخبار الشعراء القدامى لنقف على ما تخلّل عصور الأدب العربي من «جدل» بين الشعراء في توقهم إلى التحرّر من قيود الكلام العادي، والنقاد في سعيهم الدائب حتى يردّوهم إلى «واضح الكلام» من خلال ما ضبطوا من حدود للتشبيه والاستعارة وما سنّوا من قوانين لضمان ما كانوا يحبّون من درجة تواصل عند تلقّي الشعر.

ولو أردنا أن نسوق حُججا على هذا لطال بنا الحديث، ،لكن نكتفي - تمثيلا - بالقول :

- ألم يُسأل أبو تمام (مثلا) : لِمَ تقول ما لا يُفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهمون ما أقول ؟

- ألم يُثر الشعر الرومنطيقي ضجّة تتصل بآليات تلقّيه، وهي آليات خرقت مألوف الذائقة العربية ؟ ويكفي هنا أن نذكر ما قيل في شعر جماعة الرابطة القلمية - تمثيلا - لا حصراً، حينما لم يهتد بعض النقاد إلى أسس رؤيتهم الشعرية فانقلبوا يعيبون عليهم خروجهم عن «الفصاحة».

- ألم يدعُ الذين تبنوا شعر التفعيلة، إلى «التعاطف» مع حركتهم وإلى

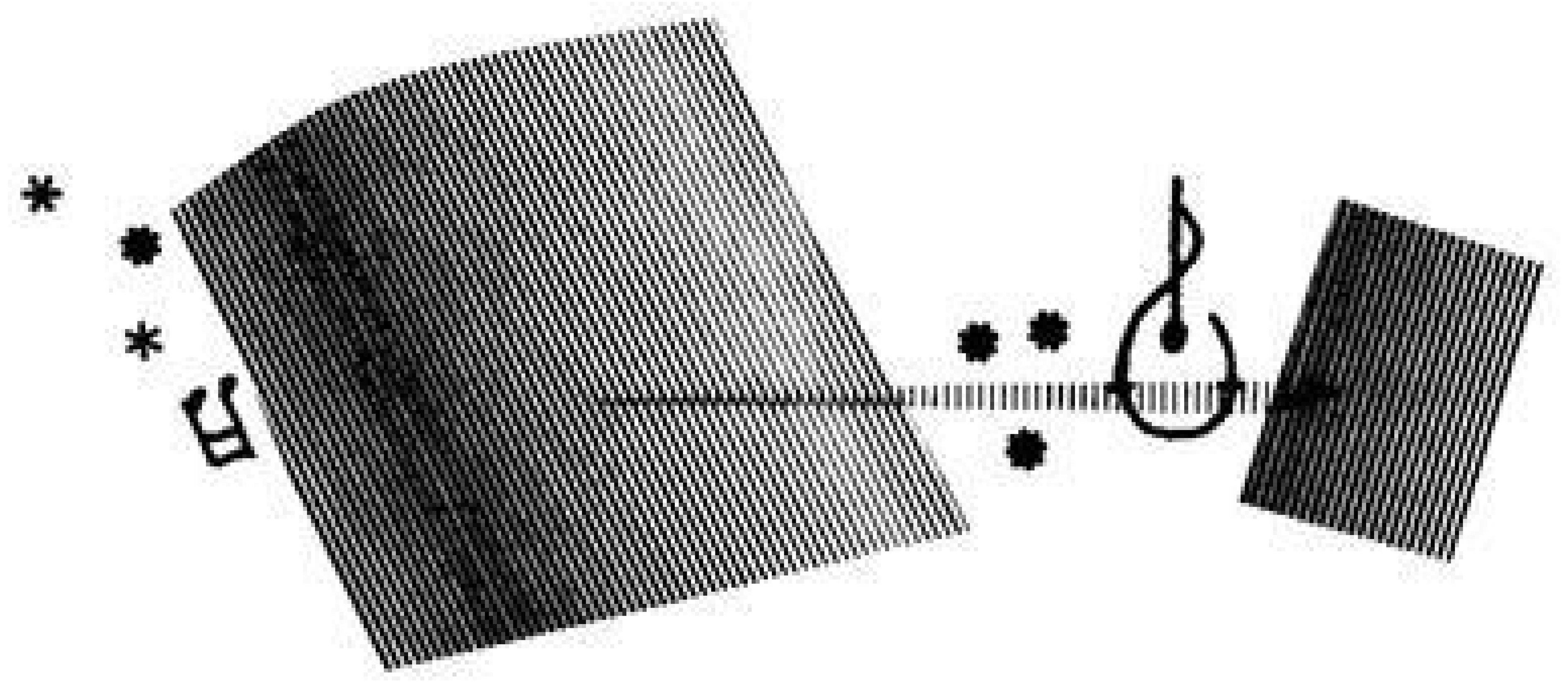

إعداد : محمد قوبعة

تفهم شعرهم لما له من خصوصيات ولما تبنّى من رؤى.

- ألا يقوم ذلك كلّه دليلاً على أن قضية تلقّي الشعر قضية ملابسة للشعر نفسه، بسبب طبيعته من حيث هو خطاب مخصوص يقوم على أسس تختلف عن أسس الخطاب العادي ؟

فالقضية على صلة بالرؤية كما هي على صلة بالرؤيا، رؤية الانسان ومنزلته من الكون من جهة، ورؤيا الشاعر وتطلّعه إلى مثال يروم أن يراه ماثلا من جهة أخرى.

والقضية على صلة بالموقف من اللغة ووظيفتها : أهي لغة نفعية ذات وظيفة إبلاغية ؟ أم هي لغة مقصودة لذاتها ذات وظيفة إبداعية، أي تبدع الكون على غير مثال ؟

والقضية على صلة أيضا بماهية الشاعر ووظيفته وعلى صلة بعلاقته بالآخرين : فمن يكون الشاعر، وما الدور الذي ينبغي أن يضطلع به وما منزلته من بني قومه ؟

هذه بعض وجوه القضية التي كثيرا ما تذكر حينما يتعلق الأمر بمعالجة إشكاليات تلقي الشعر.

غير أن هذه الوجوه، وغيرها ممّا لم نذكر، يبقينا في حدود النصّ الشعري من وجهة نظر لغوية فنية تعبيرية، أو من وجهة نظر تعتني بالرؤية الشعرية التي يصدر عنها ذلك النص وما يتصل بها من مفهوم الشعر حدًا ووظيفة أو ما يرتبط بها من تصوّر للشاعر ماهية ووظيفةً ومنزلةً.

فإذا ما وسّعنا دائرة النظر وسعينا إلى تلمّس إشكاليات تلقي النص الشعري بآعتبار بعض ملابسات التلقي «الموضوعية» الحافّة، أي بآعتبار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعض خصائص الإطار الثقافي العامّ، أمكننا أن نرسم بعض الخطوط التي ربما كانت صالحة لتكون منطلقا لتعرّف جوانب أخرى من المشهد الذي يمكن أن ننزّل فيه إشكاليات تلقي الشعر، ذلك أننا نكاد لا نشك في الدور الذي يضطلع به ذلك الإطار الثقافي العام في الكتابة الشعرية نفسها، لما يسمه من تشعّب وتعقّد، ولما يداخله من تحوّلات لا تقتصر على جانب منه دون آخر.

وسنسعى، من خلال هذا الحديث الموجز إلى أن نستعرض جملة من المؤثرات التي يعسر تجاهلُ فعلها في الشعر وفي تلقيه.

فلا شك في أن الشاعر في تونس، كسائر الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين، يتوجه بشعره إلى قراء يتصوّرهم لحظة كتابته الشعر، وهم قرّاء واقعون تحت تأثير ظروف وملابسات موضوعية عليه ألا يُغفلها وألاّ يغفل عنها، ويمكن أن نقول إن هؤلاء القراء ينتمون إلى صنفين كبيرين:

- صنف القراء العاديين، الذين يتلقون الشعر فيتألف منهم ما يمكن أن نسمّيه بالرأي العام الثقافي.

- صنف من القراء ينتمي إلى المؤسسة الرسمية (الثقافية / السياسية) وهو صنف مكلّف بالسهر على تركيز «ثقافة وطنية» والنهوض بها وتوجيه الجهد نحو إنمائها.

ولعلّ الشاعر على وعي كامل بأن ما ينتظره الصنف الأول من القراء ليس مطابقا دومًا لما ينتظر منه الصنف الثاني.

ولعلّه على وعي تام كذلك بأن الصنف الأول لا يتلقى شعره على الشاكلة التي يتلقاه بها الصنف الثاني، فيَنشأ لديه ضرب من التصوّر للعلاقة التي قد تكون بين كل طرف منهما والنصّ الذي يكتبه (ذلك الشاعر). ولا شك في أن تصوّر نمط من العلاقة بالنصّ يؤثر في كتابته من جهة وفي تلقّيه من جهة ثانية، أي إن تصوّر نمط من العلاقة بالنص يؤدي إلى ضرب من الرقابة الذاتية تسير بالنص الى السكوت عن بعض المواضيع أو إلى التركيز على بعضها الآخر، مع ما يقتضي ذلك من عمل خفيّ لجعل النص غير مخيّب لتوقع هذا الصنف من القراء أو ذاك، وهو عمل ذو أثر لا يخفى في تعقيد إشكاليات تلقي النص، وفي سيرورته ورواجه أو كتم صوته وإخماده، ذلك أن توقع هذا الفريق وانتظاره والأفق الذي يروم أن يبلغه النصّ به لا يساير دومًا أفق انتظار الفريق الثاني، فإذا بالشاعر كالسائر على حدّ السيف،

يروم توازنا إن فقده آل إلى قاع هاوية، وإذا به يبذل قصارى جهده حتى يفوز برضى الطرفين، فيزرع في نصه ما يعتقد أنه يسعفه بحسن التلقي.

ولكن إذا ما تجاوزنا الشاعر وما يتصوره من علاقة بين نصه ومتلقي ذلك النص - مهما كان انتماؤه - وإذا ما تجاوزنا فعل ذلك التصور في النص الشعري إلى النظر في المجال الموضوعي الذي يتجه إليه الشاعر بشعره، وسعينا إلى تبيّن منزلة الشعر من المجال الثقافي على وجه العموم، أمكننا أن نبدي بعض الملاحظات قد تكون منطلقا آخر للتفكير في الإشكاليات التي تحفّ بمسألة تلقي الشعر في تونس، وإن كان عدد من هذه الملاحظات لا يخصّ الشعر التونسي، دون غيره ممّا يُكتب من شعر في أرجاء البلاد العربية.

لعلّ الشعر في تونس لا يخرج عن قاعدة تبدو سمة عامّة تطبع الأدب في بلادنا، وهي اعتماده على الصحف، واعتماده على النشر فيها، فجلّ الصحف التي تصدر بتونس تخصّص حيِّزًا للأدب - وللشعر - هو صفحة أو صفحتان، أو جزء من صفحة أحيانا، بعناوين مختلفة وفي أزياء متباينة، وقد تُجمع تلك الأشعار أحيانا في مجموعات شعرية، وقد تصدر المجموعات الشعرية دون أن تكون قد صدرت من قبل نُتَفا وشذرات في الصحف، وينتظر الشاعر عندئذ أن ينبري ناقد أو صحفي ليعرّف بشعره ويمهّد قراءته للناس، وييسر أمر تلقيه لديهم، وفي هذا مكمن المفارقة، لقد انقلبت الموازين وصار الشاعر ينتظر من يعرّف به ويدعو إلى سبيله ويشهر نصّه، بعد أن كان هو لسان الجماعة، وصار الشاعر يقنع بالنزر القليل من الإشارة والتعريف بعد أن كان «مالىء الدنيا وشاغل الناس» بل لعلنا لا نبالغ إن استعرنا صورة من قال إن الشاعر قد انحسر دوره حتى صار شعره كالخبر الصحفي أو كالفاصل الموسيقي، لا يتسع مجال العناية به لدى أناس غلبتهم مشاغل الحياة الحديثة ومشاكلها، فعزفوا عنه، ولم يعد له من الأهمية في نظر عدد كبير منهم، إلاّ بقدر ما للأخبار الطريفة أو للمتفرقات منها، وإذا بالصحف وبوسائل الإعلام - عموما - قد اغتصبت منزلة الشاعر ووظيفته، وإذا بالحيّز الذي خصّصته للشعر والشاعر يضيق دون النهوض بما يروم التعبير عنه، ودون إبلاغ أصوات نفسه في وعيها وفي لا وعيها.

ولعلنا نرى الشاعر - نتيجة ذلك - يسعى إلى تركيز تجربته الشعرية

وٱختزالها إلى الحد الأقصى عند التعبير، فتدق قنوات التواصل وتشف حتى تكاد تنقطع، فتحتد إشكالية التلقي وتتعقد، وقد ينعت الشاعر بنعوت، أيسرها الغموض.

فإذا أضفنا إلى هذا كله أن الصحف تسعى إلى المواكبة السريعة لكل طارىء، والحدث الشعري الثقافي، حدث لا يتميّز في نظرها بشيء من سائر الأحداث. رأينا عددا من الصحف يسارع إلى إصدار مقالات تعرّف بالمجموعات الشعرية أو تنقدها وتهدي القراء إلى ما أصابت من التوفيق أو ترشدهم إلى مسالك تأويلها، غير أن هذه المقالات لا تخلو في أحيان كثيرة من العجلة، وتفتقر إلى بعض التعمق والتروّي اللأزمين للوقوف على قيمة الأثر الشعري، وإذا بأثر هذه المقالات إلى عكس ما يُنتظر منها، وإذا بها تسهم في ٱحتداد مسألة تلقي الشعر.

ولا يمكن الحديث عن دور الصحافة في هذه القضية دون التعريج على دور الإذاعة والتلفزة، وإن ٱختلفت المسألة جزئيا عند الحديث عن هذا الجهاز الفعّال : إن الإذاعة والتلفزة لا تختلفان عن الصحف في أنهما أسهمتا في ٱغتصاب منزلة الشاعر من الجماعة ولا في تضييق الخناق عليه حتى قنع منهما بحيّز يعدّ بدقائق لا تزيد عمّا يخصّص لشتات الأخبار أو الخوارق والمغامرات، إلاّ أنه لا بأس من التساؤل عن الساعة التي يُبرمج فيها الشعر أو الحديث عنه، وعن مدى تتبع الجمهور السامع أو المشاهد لتلك الحصص، ثم عن الأثر الذي تتركه تلك الحصص وعن مدى إسهامها في سيرورة الشعر بتونس، ومدى تيسير أمر تلقّيه، هذا فضلا عن النظر في البرامج نفسها من حيث تصوّرها وإخراجها (وخاصة في التلفزة) والمراوحة فيها بين الكلام (وهو غالبا رتيب حدّ الإضجار) ومختلف الطرق والوسائل التصويرية السمعية والبصرية.

فما أشد ٱفتقارنا إلى دراسات تطلعنا على تأثير تلك الحصص - إن سلبا أو إيجابا - وتأثير تلك المقالات الصحفية أيضا، في ٱنتشار الشعر والإقبال عليه وتيسير تلقّيه !

وما أشد ٱفتقارنا إلى يقين يطمئننا، فنعلم أن المساحات المخصصة للشعر والشعراء، في مختلف وسائل الإعلام، هي المساحات التي ينبغي لنا أن نخصّص، دون سواها، لا أقل ولا أكثر عسانا نأخذ بيد قارىء الشّعر إلى صنف من التلقي يتجاوز ٱعتبار النص الشعري نصا يهدف إلى تأدية غرض

أو الخوض في مسألة خوضا يُرجى منه حلّ أو الخوض فيها خوضا يمكن التعبير عنه في جمل نثرية معقولة منسجمة، كي نصل به إلى نظر يعتبر النص الشعري قائما على الإشارة والإيحاء، منتهيا في ذاته، إلى نظر يدرك أن الشاعر يقول شيئا ويعني غيره، ويدرك أن السبيل إلى تلقي النص هو التأويل والإسهام في بناء مداليله لا تقبّله تقبّلا سلبيا يقنع بالظاهر ويرجو الفائدة.

ولعلّ المشهد يزداد اتضاحا إذا ما ذكرنا الأماسي الشعرية والاحتفالات التي تعقد للشعر وأهله : ذلك أن تلك اللقاءات قلّما تكون منتظمة التواتر، نسمع بانعقادها هنا أو هناك ، في دور الثقافة حينا، وفي منتديات خاصة أو عامّة حينا آخر، وقليلا ما تكون مقصودة لذاتها، أو تحرّكها الرغبة في المساعدة على تلقي الشعر ودعم منزلته من النشاط الثقافي الوطني، ولا نعرف، أو نكاد لا نعرف، عدد الشعراء الذين يدعون إليها، ومدى إقبال الجمهور عليها، أو إسهام النقاد في تنشيطها وإغنائها، ثم إننا لا نعلم شيئا يذكر عن منطق توزيعها في مختلف أنحاء البلاد، ولا نعلم شيئا يذكر أيضا عن مصير قسط غير يسير ممّا يقدّم فيها من شعر، ربما ذهب أدراج الرّياح أو لفّه النسيان، إذ أننا نفتقر إلى مرصد يضطلع بوظيفة تتبع الحركة الشعرية في بلادنا كمًا وكيفا، ويشهر أمره بين الناس ويكون عاملا من عوامل نشر الشعر وتيسير تلقّيه بالدعوة إلى الإسهام في اللقاءات الشعرية إلقاءً وانصاتا ونقدا وتوجيها، عسى أن تتسع دائرته وتعود إليه منزلته ويسترجع ألقه. والأرجح أن تأسيس مرصد للشعر سيفضي إلى تبيّن ثغرات كثيرة تتصل بتواتر الأماسي الشعرية وتتصل بتوزيعها مكانيا وزمنيًا، كما تتصل بمدى الإقبال عليها وبمدى تقبّل الشعر في مجتمعنا، وبمدى سيرورته ودرجة تلقيه.

لعله قد آن أوان الإقرار بأن الشاعر قد دُفع إلى مضايق لا قبَل له بها، وبأن الشعر ضحية أطوار الحياة الحديثة وما جرّت من ألوان التّأزم، حتى سحبت من تحت الشاعر «المنبر الذي كان يشدو على ذروته، فأدرك أن الناس قد انفضّوا من حوله وتركوه قائما ينشد في العراء» (كما يقول سعيد مصلح السريحي في : الكتابة خارج الأقواس ـ جدة 1986 ـ ص 17)، فليس من المبالغة إن ملنا إلى تأييد قوله بأن الشاعر صار على وعي حاد «بالأزمة التي أنتهى إليها الشعر تحت وطأة التطوّر العلمي والتكنولوجي

المعاصر الذي صرف الناس عنه صرفا وبهرهم بالإنجازات الواقعية الملموسة في ميادين الطب والهندسة والجيولوجيا وغزو الفضاء» وليس من المبالغة إن ذهبنا إلى أن الشاعر على وعي حاد بما آلت إليه منزلته من الحضارة الحديثة، وهي منزلة إلى الهامشية أقرب. وما من شك في أن ذلك كلّه ممّا يزيد مأساته إلى الجانب الانساني العامّ لما ضمّت جوانحه من قلب كالاسفنجة «التي تمتصّ أحزان البشريّة» ولا ترانا نجانب الصواب إن قلنا إنّ تلك الأزمة ممّا يؤثر في الشعر وصياغته وقد غدا ذلك الشعر محاولة من الشاعر «لإبداع معادل فني يقاوم من خلاله تسلّط الأشياء عليه وسيطرتها على العالم من حوله».

ومن الطبيعي أن يتأثر تلقي الشعر بمختلف هذه العوالم، ومن الطبيعي أن يواصل الشاعر كفاحه من أجل إثبات أن الطريق التي اختار هي الطريق المثلى، وأن يصابر يحدوه الأمل في أن يستقطب أوسع قاعدة ممكنة تتلقى شعره بالقبول والإقبال والتهليل، ولعلّ هذا الأمل هو ما يدفع بعدد غير قليل من الشعراء في تونس إلى إصدار مجموعات شعرية في صفحات قليلة نسبيا.

ونقدّم هذا الاحصاء الممتد على ثلاث سنوات (94 ـ 95 ـ 96) دليلا على ما نقول :

1994 صدرت 35 مجموعة شعرية منها :

10 مجموعات عدد صفحاتها أقل من 80 ص.

10 مجموعات يتراوح عدد صفحاتها بين 81 و100 صفحة.

5 مجموعات يتراوح عدد صفحاتها بين 101 ،120 صفحة.

1995 صدرت 23 مجموعة شعرية منها :

10 مجموعات عدد صفحاتها دون 80 صفحة.

7 مجموعات عدد صفحاتها يتراوح بين 81 و100 صفحة.

1996 صدرت 32 مجموعة شعرية منها :

15 مجموعة صفحاتها لا تبلغ 80 صفحة.

12 مجموعة عدد صفحاتها يتراوح بين 81 و120 صفحة.

إن سعي الشعراء إلى إصدار هذه المجموعات بهذا الحجم ضربٌ من المجاهدة والمصابرة، وضرب من العمل على قهر العوائق التي تقوم في وجه تلقي الشعر ومن العمل على إثبات الذات الشاعرة في خضم حياتنا وقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غدا جلّ ما فيها يدعونا إلى التنكب عن سبيل الشعر،

غير أن هذا السعي من الشعراء يحمل في طياته ما قد يزيد مسألة تلقي الشعر تعقدًا وإشكالية : فقد أعتاد القارىء العربي أن يتصفح دواوين من الشعر أضخم حجما، وربما مال في أحيان كثيرة إلى أعتبار الحجم أو كمية الشعر مقياسا للإقبال على هذا الشاعر دون ذاك، فإذا به بإزاء مجموعات لعلها لا تلفت النظر دومًا.

ويبدو لنا أن حرص الشعراء على ضمان قناة توصل شعرهم إلى القارىء، وتسهم في حلّ مسألة تلقي الشعر، يتجلى أيضا في تولي عدد غير قليل منهم نشر مجموعاتهم على نفقتهم الخاصة، والناظر في المجموعات الصادرة في السنوات 94 ـ 95 ـ 96، يتبيّن أن 11/ 35 (عام 94) و 9/ 23 (عام 95) و 14/ 32(عام 96) [من 1956 إلى 1996 = 135/ 374] قد نشرت على نفقة الشعراء أنفسهم، وقد يكون هذا الاحصاء منقوصا، ومردّ ذلك إلى أن بعض المجموعات الشعرية تصدر في بعض جهات الجمهورية دون أن نسمع بها أحيانا، ودون أن نستطيع الحصول عليها إذا دفع بعض الشعراء نسخة إلى بعض الصحفيين النقاد للتعريف بمجموعته، فنطلبها في المكتبات وقلّ أن نجدها، وهذا وجه آخر من وجوه المشكل مشكل تلقي الشعر وما يعترضه من عوائق وعراقيل تزيدنا أقتناعا بأن الشعر وتلقيه من القضايا التي لا بد من تدارسها في سياق تدارس قضايا الكتاب عموما، من حيث كلفته (وليست لنا دراسات في هذا الشأن بأستثناء الدراسة التي قام بها المركز الوطني للدراسات الصناعية عام 1983 عن كلفة الكتاب الثقافي بتونس)، ومن حيث إمكانيات تسويقه ومدى تلقيه (ذلك أنه لا تتوفر في دور النشر التونسية ـ على علمنا ـ أجهزة أو مكاتب متخصصة في دراسة إمكانيات التسويق، باستثناء النواة التي في دار سيراس للنشر).

لعلّ المشهد الذي قدّمت يثير بعض التشاؤم ولكنه مشهد لم يحط بمختلف جوانب القضية، ولم نتعرض عند رسمه إلى إشكاليات تلقي الشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحايثة للشعر نفسه من حيث منطلقاته الفنية وأبنيته وآليات التصوير فيه وطرائق إنتاجه المعنى، ولم نتعرّض عند رسمه إلى الاشكاليات المتصلة بنقد الشعر وأدواته وخلفياته النظرية ومسالكه والقائمين عليه وجهدهم أو تقصيرهم وحدودهم ودورهم في تيسير أمر تلقي الشعر.

وما كنا لنقول هذا لو لم نكن على وعي بأن مسألة تلقي الشعر وما تثيره من إشكاليات على غاية من التعقيد والتشعب، وما كنا لنقول هذا أيضا لو كنا ننوي أن ننهي هذا الحديث ببيان ختامي يضع حدّاً للقضية ويفضي إلى رسم السبيل الكفيلة بحل ما يتولد منها من مشاكل وما يلابسها من تعقيد، ذلك أن التوتر لا بدّ أن يكون ميسمَ الشعرِ الأوّل، فانعدام إشكالية التلقي قد يفضي إلى ضرب من الاطمئنان إن أصاب الشعر قتله.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

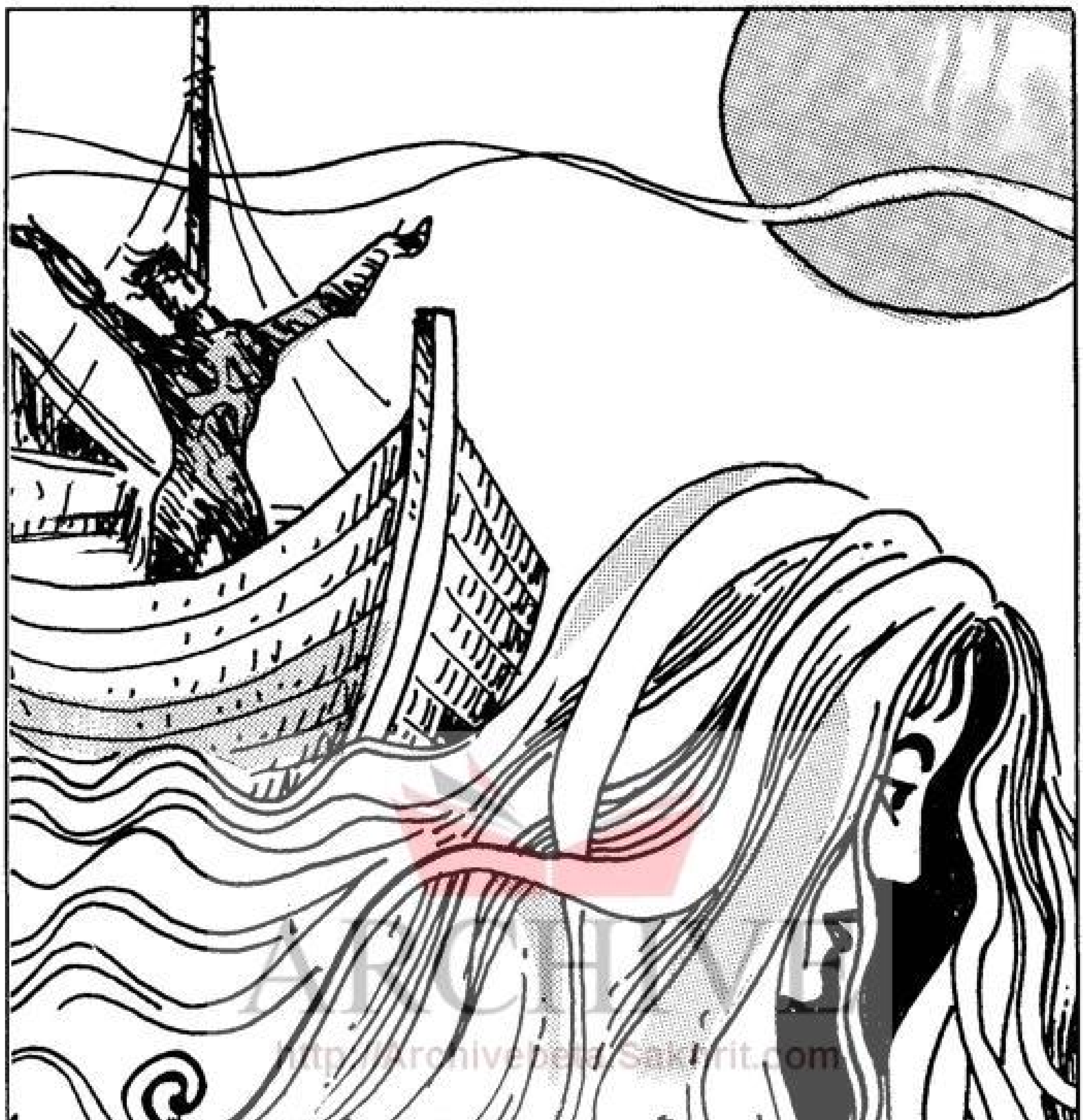

يا أيها البحر الذي عشقَ التسكّعَ والغناءُ
وملاحمَ
رفعت ـ أليسَ ـ إلى الضياءُ
هل أنَ ـ تونس ـ وردتي
وسفينةَ البدءِ الذي
لــولاه
ما اشتعلَ الزمانُ.. قصائدًا
أم أنني وحبيبتي الشقراءَ
نــأى ،
قصّــةً حمراءَ
في همس المطرْ

عبد الستار العبروقي

نـــصّ

ثرثرة لم تكتمل!

هيثم الطيب (العراق)

تثرثر عين الماء بلهجة العنكبوت عن علاقات لم تقطعها شكوك الأمس، أين مكانك حينذاك ؟ .. شـربته رغباتك ؟ والفـحولة تهددها، ليس ما تـدعيه وجهك الأفضل، لك ظاهرة الضـوء فقط أيها الفقير فقـد رآك تموز في ظلمة الشك تدخن خناجر الاسترضاء، قلقك الليلي يستحم في بركةٍ من خصلات شعر الغول.

سكران في وضوح الغفلة، ثعلب تختار انتماءاتك. كيف تعوّج منذ 1417 عام هجري، قبطان الباخرة التي أقلتك نحو ربيع الجليد قال هذا : إنك حلمت لكي تتوازى ونهـضت عشيقـتك من النوم وآثار الكهولة على قدميـها وبين عينيها انهيارات آدم الوحيد.

حكمتك الوحيدة صلاة يتسرب إليها الليل بينما أرجأت غضبك العاصفة، تخيّلت شمس الصمت مدارية كدفوف الخروج.

هناك تعاليـم الضباب تنتـهك عيوني، أشـاركُكم وجدي، سـهولي التي أغرقـها البقـاء بالذهول، مدني المعطرة بـسقوف السـمرات، القطارات تئن خرائط الأرض، خـبأتهـا نخلة تشكو وحدتهـا في صلاة الفجـر، في همس نساء شبقات وشمال غض، بارتفاع برج إيفل خطايانا يا رب المذنبين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تدفق النور أسكرنـي، سلالتـي في أرض العبـوات تتكـهن بنور يسطّر تاريخي:

«الغريب يعوي آلام الإنسانية، يناهض ذكرى الوجـود حيثما بقي شراع واحد يميل الى أنحطاط المسافة، يسمونه العصور الغارقة في المجاهيل».

عائلـة الكواكب الشمـسيـة حلّت محل القلب، مع أن القلب في زمـن آخر يرتل رغبـاته، سار بضعـة أميال قـبل أن ينظم قداس الخـوف، من الصعب معرفة كنه الشيء أو تحسس البياض، صـفته نضوج السنين المتأخرة عن النمو ورائحته أزكى من مداد الذهول.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسول عدنان

ميتافيزيقيا
الآلهة لمانيرو

نقوش عربية

إصدارات
جديدة

من الشعر الهزلي

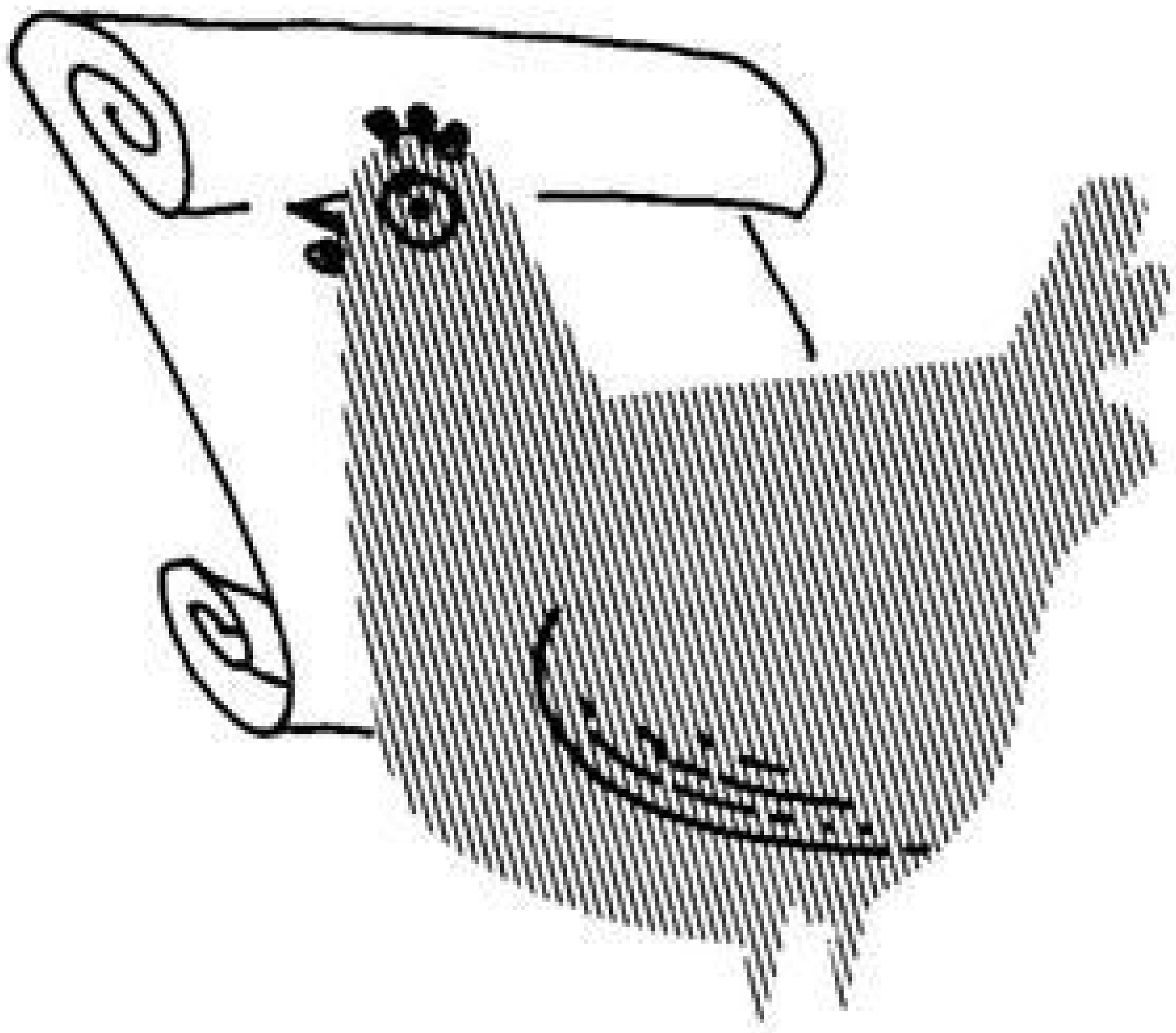

الشعر والدجاجة

مصطفى عزوز

ذهبت إلى الدجّاج أبغي دجاجة يلُفَّ المبيع في بقايا الجرائد
وعفواً على القرطاس ألقيت نظرة فشاهدت بل يا ليتني لم أشاهد
لقد كان في القرطاس بعض كتابة تأملتها إذ هي إحدى قصائدي
فاحسست بالإحباط يغزو مشاعري وقد كدت أرمي بالذي كان في يدي
أهذا هو الشعر الذي كان حلة يصان بفخر في أعز المناضد؟..
فأصبح قرطاسا يلف بضاعة ويرمى به في سلة للزوائد
فقلت لنفسي بئس ما أنا فاعل أضعت حياتي في العنا والتكبد
فكم بت سهرانا وكم همت حائرا أنقّب عن معنى وما كنت أهتدي
لأصنع شعرا رائقا ومنمقا تخاله عقدا من جمان منضد
وقدمته للناس فنا ومتعة وقد كان ظني بعد موتي مخلدي
ولكن بدا أن كنت في الظن مخطئا فقد عاد لي ميتا وفي سوء مشهد

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عجيب لدنيا فاز فيها ثلاثة ... وشهرتهم نالوا بها كل مقصد
مغنٍ ورقّاص يدوّر نصفه ... وكوّارجي ينهات بالرجل واليد
يلفّهم التقدير من كل جانب ... وأنصارهم من معجَب ومؤيد
وأما ذوو الإبداع والخلق لا تسل ... مقاعدهم في الذكر خلف المقاعد
وقد شاء حظي أن أكون من اللأئي ... مقاعدهم في الذكر خلف المقاعد
تباينت الأذواق حسا ومذهبا ... وللناس فيما يعشقون ولو رديء
فقلت لشعري أنت مثل دجاجة ... تعيش لأيام ومالك من غد
لقد مت قبلي ها أنا بك لاحق ... فليس لنا من معجب ومؤيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

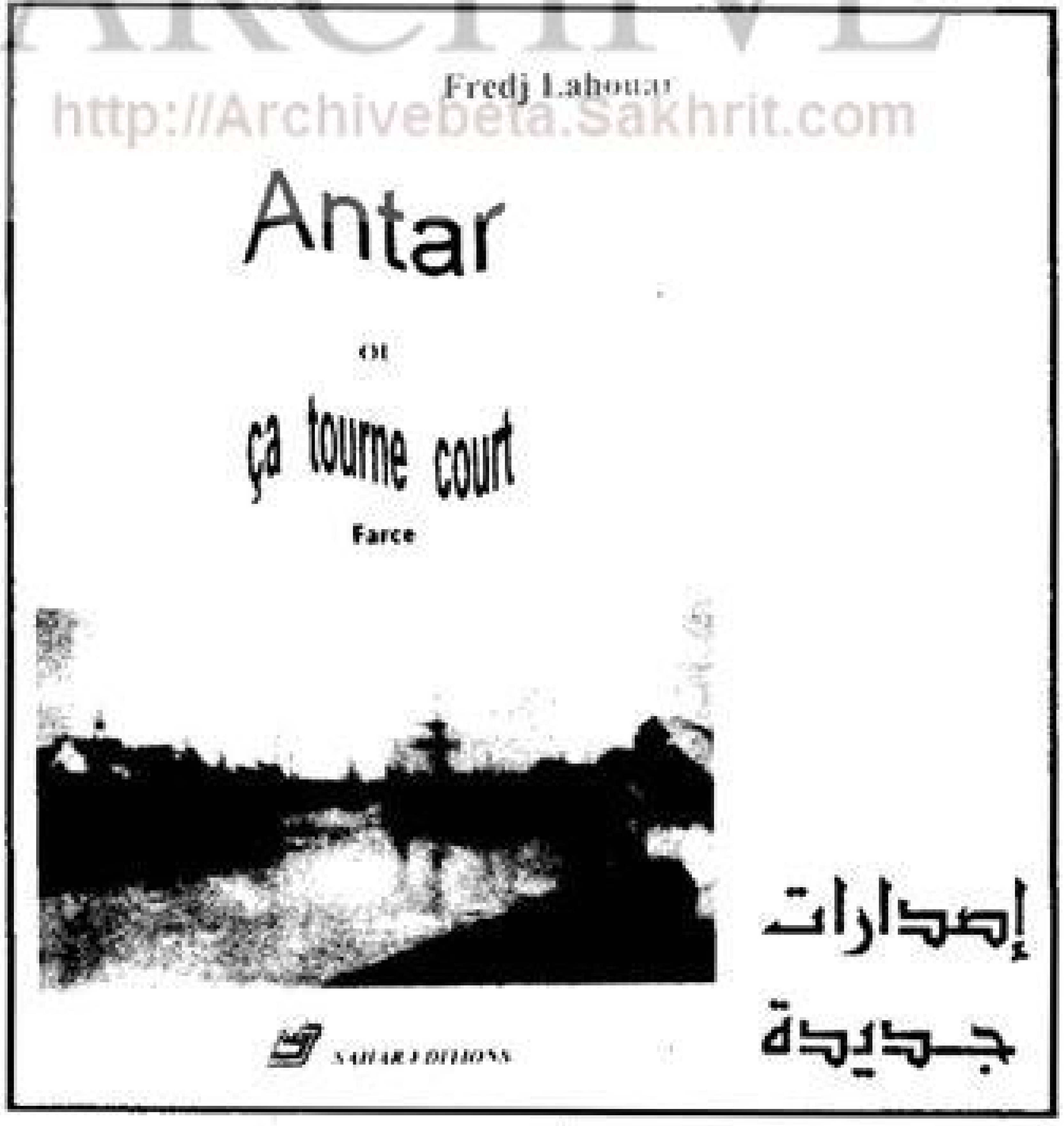

الواجهة والخلفية

قراءة في مجموعة فاطمة سليم

«نساء وأقلام»

فاطمة سليم قاصّة تونسية ذات صوت متميّز، برهنت من خلال مسيرتها الطويلة في الكتابة على مثابرة وإيمان بقدرة الأدب على الاضطلاع بدوره في الدفع بالمجتمع إلى تجاوز عثراته وتحقيق تطلعاته. فقد أصدرت سنة 1972 مجموعتها القصصية الأولى «نداء المستقبل»، وأعقبتها سنة 1974 بالمجموعة الثانية «تجديف في النيل». وبعد أكثر من عشرين عاما ها هي تطلع علينا بمجموعتها الثالثة التي وسمتها بـ «نساء وأقلام». وعلى هذه المجموعة سيكون مدار حديثنا. وقد رأينا أن نتسلّل إلى هذه النصوص متبعين خطة تقودنا في كل حلقة من حلقات القراءة من الظاهر إلى الباطن ومن الواجهة إلى الخلفية رغبة منا في الاقتراب من البنية الأولية للدلالة التي تمثل النواة الحقيقية للإبداع في أي مجال من مجالاته وفي أي تجلّ من تجلياته. وعلى هذا النحو فإن بداية القول إلى التحليل أقرب، أما نهايته فهي بالنقد ألصق.

1) **الجنس :** يثير هذا الكتاب من حيث انتماؤه إلى جنس مخصوص بعض القضايا التي قد يعسر علينا أن نجد لها لأول وهلة حلاً. فعنوانه «نساء وأقلام» يوحي بأنه كتاب تراجم أو متابعة لتجارب بعض النساء في

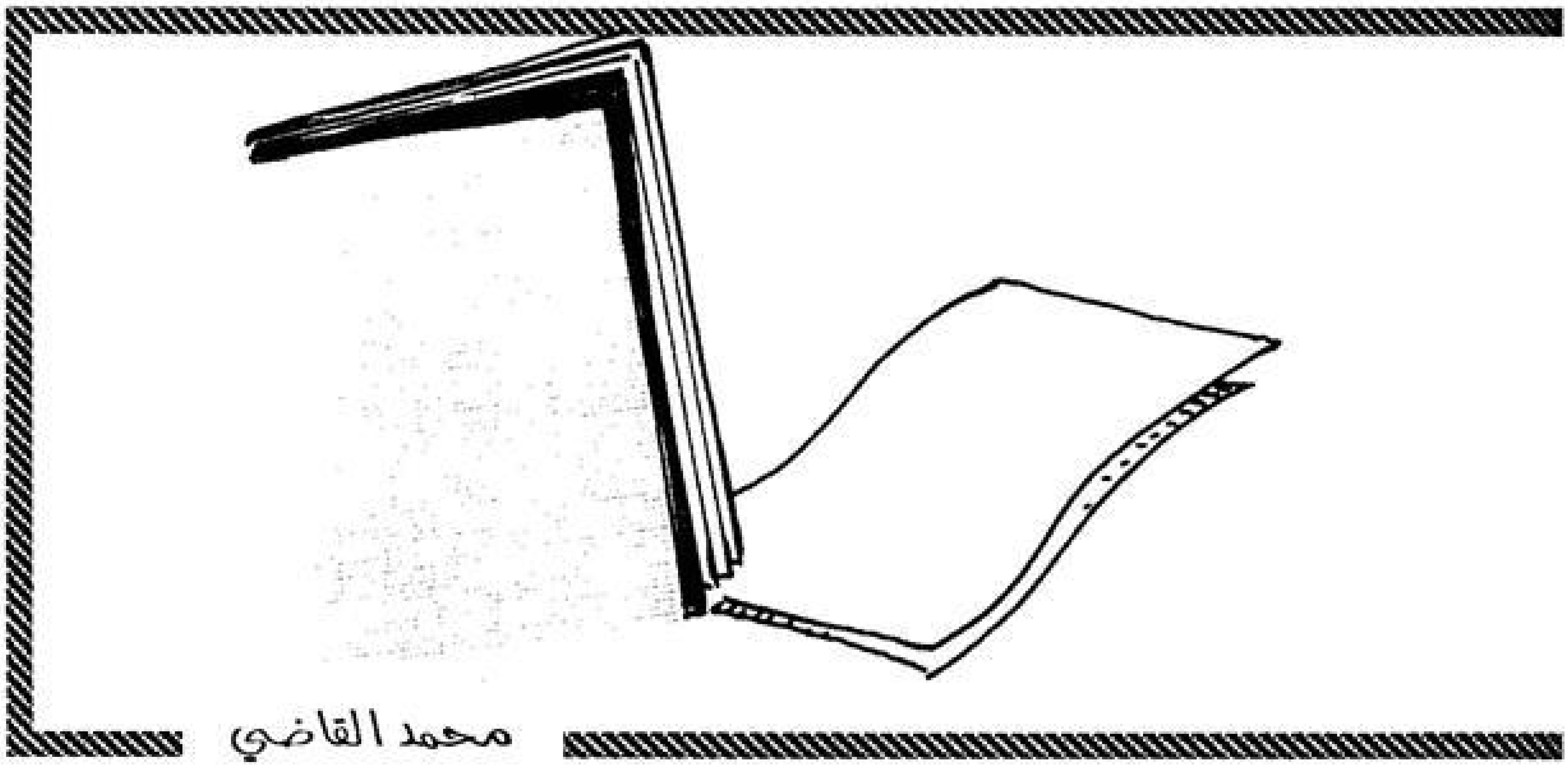

مجال الإبداع. وكأن واو العطف تشي بتلوّن هذه العلاقة بين المرأة والقلم، وكأن صيغة الجمع توحي بأن لهذه العلاقة وجوها متعدّدة.

ولكننا حين ننزل بأبصارنا إلى أسفل صفحة الغلاف نجد لفظة «قصص» وهي عقد بين صاحبة الكتاب وقرائه، يدفعهم إلى أن يقرأوا هذه النصوص لا بوصفها صورا لشخصيات المبدعات الواقعية باعتبارها أعمالا فنية ذات مواصفات جمالية محدّدة.

على أن عين القارىء قبل أن تغادر الغلاف ترى هذه الصورة الشمسية بالأبيض والأسود وهي تمثل امرأة تبتسم ووراءها غابة من العمارات أو ناطحات السحاب. من تكون هذه المرأة ؟ ولمَ جعلت صورتها على الغلاف ؟ القراء القليلون الذين يعرفون فاطمة سليم يدركون أن الصورة صورتها، أما الأغلبية الساحقة من القراء فان الحيرة ستكتنفهم وسيذهبون في تأويل هذه الصورة مذاهب. ومهما يكن من أمر فان الذين يعرفون الكاتبة والذين لا يعرفونها سيتساءلون عن سرّ هذه الصورة الشمسية وأسباب وضعها على غلاف مجموعة قصصية، والشأن أن توضع صورة المؤلف ـ إن وضعت ـ في الصفحة الأخيرة من الغلاف. ثمة إذن محاولة للخروج من المألوف واختراق العادي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإذا انـتقلنا إلى داخل الكتـاب طالعتنا ظاهـرة غريبة أخـرى هي أن أول نصـوصه ـ بعـد الإهداء وأقوال النقـاد في الكاتبة ـ وهو بعنوان «خـواطر معلّمـة» من الشعـر، وكذلك شأن النص الأخـير وهو بعنوان «سـجائر في نادي القصة». فما معنى أن تفتتح مجموعة قصصية وأن تختتم بالشعر ؟

فإذا تجـاوزنا ذلك ألفينا أنفسنـا أمام نص «حلم عظيم» وهو أقصـوصة تتوفر على جميع مواصفات هذا الجنس، فـتتم عندنا المصالحة بين محتوى الكتـاب وعنوانه، إلا أننـا لا نلبث أن نواجـه النص الثـالث «نسـاء وأقـلام» فتعاودنا الحيرة الباهضـة في إنتمائه إلى جنس محدّد. إذ هو نص قائم على ثمانيـة عناوين فرعية بعـضها مـقالة وبعضهـا خواطر وبعضهـا ذكريات وبعضـها شكوى. ما هي خلاصـة هذا كله ؟ وهل يجوز أن نعدّه قـصّة ؟ لا أظن ذلك. ومن عجب أن عنوان هذا النص الخلافي عينه هو الذي اتخذ عنوانا للمجموعة القصصية. فهل جاء ذلك لدرء شكوك القارىء وإضفاء مشروعية على هذا النص حتى يتبوّأ مكانته في هذا الكتاب ؟ أم جاء لإبراز وعي الكاتبة لهذا النشاز ورغبـتها في توسيع ما يفهم من كلمة قـصّة حتى تضمّ أجناسا أخرى ؟ أهـو عمل تفـجيري لـلاجناس أم انطوائي يردّ النافر إلى الحظـيرة ويقتل الخصوصية باسم النظام ؟

هذه تسـاؤلات لا نملك الإجابة عنهـا الآن، إذ يتـعين علـينا أن ننظر في مستويات أخرى حتى نستطيع أن نرى من حقيقة هذا الكتاب ما ظل محجبا.

2) **الشكل :** تنهض أقصوصات هذه المجـموعة التسع على ظاهر هو الإحكام. وقد ذكرت على سبيل المثال أن اقصوصة «حلم عظيم» نموذج من هذا الإحكام في البناء، إذ هي تستـجيب لمقومـات فن الاقصوصـة اختزالا وشعرية وإطارا مكانيا وزمانيا إضافة إلى لحظة التنوير الختامية التي تأتي قالبة للأوضاع كلهـا. فهذه القصة تروي علاقة مثـالية بين زوجين وتنتهي بتنبّه المرأة إلى أن كل ما حدث لم يكن إلا حلما. وربما جاء الانقلاب مزدوجا على غرار ما نجده في اقصوصة «هل أغنّي أم أبكي» وهي تصوّر المصاعب

التي واجهتها فتاة معوقة في طريقها، ونجاحها في إحدى المسابقات الفنية، ثم ما حدث لها ليلة نجاحها حين عادت إلى البيت فوجدت أن أمَّها جنَّت وقتلت أباها. وهذا عين ما نجده في نص «لماذا انتقلت من دار أبي ؟» وهي تحدثنا عن فتاة كانت تعمل سكرتيرة وكانت تطمح إلى أن تصبح محامية، ثم تتزوج فتتأزم حياتها ثم يقيض لها بعد ذلك أن تتخلص من زوجها فتحقق أملها.

ولعلّ من علامات هذا الإحكام ما نجده في نصوص شتى منها «نحو سكة الجنون» و«قضايا» و «حواجز على الحدود» من تقسيم للقصة إلى مقاطع يحمل كل منها عنوانا فرعيا. وكذلك ما تعمد إليه الكاتبة من ترتيب للزمن على نحو يستجيب إلى مقتضيات الخطاب ولا يخضع لتسلسل الأحداث في الخبر، وهو ما نشهد طرفا منه في أقصوصة «هي وهُمَا» على سبيل المثال حين يستأسد الزوج فترتدّ الزوجة إلى الماضي لتستعرض موقفه منها قبل الزواج.

إن هذه العلامات في البناء تخفي علامات أخرى لا بدّ من الوقوف عندها لأنها تجسّد وضعا آخر يتسم بالتسيب. ولعل من أبرز مظاهره اعتماد الصدفة وهي واضحة في اقصوصة «لماذا انتقلت من دار أبي» بين هذا اللقاء الجامع بين الراوية والسكرتيرة بعد خمس سنوات من الغياب وذلك رغم تجاورهما في السكن ويشهد به نزولهما من سيارة أجرة في محطة واحدة، وهذا الموت المفاجىء للزوج تحت الثلوج.

إن بناء بعض النصوص يغدو أحيانا شديد الشبه ببناء الخرافة ويتحوّل الراوي قاصا شعبيا (فداوي) يتدخل متى شاء وكيف شاء فيقطع سير الأحداث ويفسّرها ويكسر نمط الرواية السائد. ولنا في هذا المقطع شاهد على ذلك بليغ، وهو مستمد من أقصوصة «هل أبكي أم أغني» وقد جاءت كلها على لسان الشخصية فدوى. وفي القسم الأخير من الاقصوصة نجد ما يلي : «يا الهي ما الذي حدث... هل مات أحد أنا اشق الزحام وأصرخ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خلوني أدخل بيتنـا... ماذا أسمع... إنهم يقـولون مسكينة فدوى جنّت أمـها وقـتلت أباها طعنتـه بسكين حـادّ في أسـفل بطنه بعـد نقـاش عـدائي دار بينهماحـول لمن تعود المسؤولية في ما آل إليـه حال الأولاد... طعنته وهي تصـيح خذها يـا من كنت السبب فـي كل ما نقـاسي من تعب (ونسـيت أن المسؤولية تعـود للسرور الذي كانا يتبادلانه في شبـابهما بدون ضبط ولا نظام) مسكينة فدوى هـل هي السبب في موت أبيها وجنون أمـها أم أخوها سامي الذي يسكن السجن منذ الصباح. ماذا أرى وماذا أسمع...» (ص 51).

أما من حيث اللغة فإن فاطمة سليم قد اختـارت للتعبير العربية الفصحى التي لا تخلو من أناقة كمـا يظهر في هذا المقطع مثـلا : «أيها القبس اللاهب بين أصابع الـحياة، مـا أمتع اللحظة التي كنت تمـوت فيهـا، وكانت النبـتة الظامئة تبعث من جديد. وكان العملاق الصامد يتنفس ارتياحا وتصميما. يا أروع قبس... نفـثنا عبـرك الأحزان وألقينا مـعك قلق السنين وعبـرة الدنيا ومجـانية الوجـدان.. (ص 69) إلا أن نصهـا تتـسرب به من حين إلـى آخر عبارات شعـبية مصرية من قبيل : «اجـابهـا سـي علي : بكل ممنونية» (ص 23) و «يا سي علي»... الله يخليك أكس المخدّات والحشـايا بأغلفتها» (ص 25) و «هات يا شاي يا قهوة ويا مأكولات ويا مشروبات» (ص 61).

ويتـصل بهـذا ما نلحظه في هـذه النصوص من مـيل قـار إلى الأسلوب المرسل ينكفىء في بعض الأحيان إلى السجع التقليدي الصرف على نحو ما يظهر لنا في هذا المقطع : «قلت لها يا ما سال وشـربت من فيضه الهضاب، والوديان في بلاد خضراء بهية مشهورة من قديم الزمان والأنس والأمان... يرتاح فيـها المتعبون ويتمناها الأبعـدون... ويندم على فراقهـا لأي سبب الأهل والأقربون... النفوس فيـها زكية، والطبيعة رائعة وسـخية، والافراح مسـتديمـة، والاحلام عـريضة... ولكن الجـيوب شكاءة بكاءة مـن قبل أن يصبح الهلال بدرا مـنيرا، ومن يوم أن يكـون الطفـل نحيلا وصـغيرا» (ص 128 ـ وأنظر أيضا ص ص 66 ـ 69 ـ 137).

وإذا كانت فاطمة سليم تستخدم عادة الاسلوب الإيحائي فانها تركن احيانا إلى الاسلوب المباشر الذي يطالعنا منذ النص الشعري الأول وتكثر فيه افعال الأمر، كما نجده في اقاصيص من قبيل «قضايا» ومما نجده فيها» «دافعي عن نفسك أولا، فقضيتك قضية النساء جميعا [...] دافعي وجنّدي النساء معك يدافعن... إلى أن تنتصري وينتصرن...» (ص 97).

وعلى هذا النحو فإن دراسة البناء إجمالا توقفنا على خصيصة مهمة في هذه المجموعة هي مراوحتها بين ظاهر هو الاحكام والتجديد وباطن لا يخلو من تشوش وتقليد. ولعل هذا الوضع هو الذي دفع بالكاتبة إلى أن تمهد لنصوصها بقولها : «أما عن اسلوب كتاباتي فأنا متخلصة والحمد لله من عقدة الفبركة والتصنع والتقليد مع محاولة هضم ما هو جيد في الساحة العربية والتونسية» (ص 12).

3) **الموضوعات :** لا يتردّد قارىء هذه المجموعة لحظة في إدراك المحور الذي عليه مدار هذه النصوص وهو قضية المرأة. فالكاتبة تسعى فيها جميعا إلى إبراز المرأة في وضع يشهد بأنها تمرّ بطور خطير وأنها غدت مساوية للرجل وإن لم تتحقق لها هذه المساواة فإنها تعمل جاهدة على تحقيقها. بهذا نفهم قولها : «... لا فرق بين رجل وامرأة، لم أشعر في يوم من أيام حياتي بأن هناك فرقا بيني وبين الرجل [...] إن الوقت قد حان لصنع امرأة عربية جديدة تعرف جيدا ما لها وما عليها... تؤسس بيتا تسوده العدالة لا فرق فيه بين ذكر وأنثي» (ص ص 31 ـ 39).

وقد ربطت الكاتبة هذا التحوّل في منزلة المرأة في المجتمع بالتحوّل الذي طرأ على القوانين فهي تصدع بالقول : «إن المرأة في تونس متساوية مع الرجل أمام القانون» (ص 107) وهذا ما يفسّر لنا انخراطها وانخراط بطلاتها في العمل الجمعياتي «الاتحاد النسائي» (بطلة «الحلم العظيم») وتردد عبارات «المصلحة الوطنية» (24) و«خدمة الوطن» (25) و «سياسة بلادنا تهمنا» (39).

ولكن هذه النظرة الموسومة بالتوازن والاندماج في المجموعة تقابلها نظرة أخرى إلى الرجل تخرجه في صورة سلبية فنحن لم نر بطلة مستغلّة أو متسلّطة أو كاذبة أو جاهلة، ولكننا رأينا نماذج عديدة من الرجل الظالم المعتدي (ص 63) والجاهل والاندفاعي (هي وهُمَا) والحقود : «ضربني بكل عنف بكل وحشية بكل حقد جميع الرجال على جميع النساء» (ص 89) بل حتى الحيوان «إن الطريق امامي ما زال طويلا وهذه أول مرة أروّضه فيها» (79). إن المساواة تصبح على هذا النحو ظاهرا مخادعا يخفي حقيقة هي على طرفي نقيض وهذه الحقيقة هي ما يمكن أن نسميه بالعنصرية فالرجال كلهم شيء واحد لأنهم من معدن واحد : «الآن فقط ذكرها هذا الرجل بذاك الرجل» (ص 95) وكذلك النساء : «ثقتي في الرجال معدومة [...] آه من قلوبنا وأنوثتنا نحن النساء» (ص 111). «انتهت قهوتنا ولم يأت صاحبنا، فنهضنا وتعزّينا بالقول بأن النساء أشجع من الرجال في التصدّي للعواصف» (112).

ولعلّ هذا ما يفسّر لنا الحلّ الذي تميل إليه فاطمة سليم لتجاوز القضايا التي تثيرها في بعض نصوصها. وهذا الحلّ يتمثل في قتل الرجل حتى تستطيع المرأة أن تعيش وتناضل وتنجح. وبهذه الصورة قتلت زوج السكرتيرة تحت الثلوج حتى تمكنها من أن تصبح محامية» (ولماذا انتقلت من دار أبي ؟) وقتلت والد فدوى لتمكن فدوى من النجاح في مجال الغناء، وقتلت معنويا حسنين زوج ماجدة حين جعلته يتنكر لمبادئه ويختار المادة على السعادة ويرحل، كما قتلت معنويا سلمان الذي أراد أن يستغل ضعف سارّة وحنينها إلى الأمومة.

4) **الدلالات :** إننا نصل هنا إلى نهاية الرحلة فهذا التعدد الذي تشي به عبارة «نساء» في العنوان يخفي وحدة مدارها على «أنا» الكاتبة. وهذا الانطباع الذي يحصل لنا من تردّد كلمات «المساواة» و«التقدم» و«النهوض» وهو يقود إلى رؤية جدلية للكون والمجتمع والفرد ينكشف لنا

عن رؤية أحدية لعلّ التجربة الذاتية هي الفاعلة الأولى في وجودها واتجاهها. ومن ثم فإن الديمقراطية التي يبشر بها العالم الممثل لا تنهض إلا على ديكتاتورية الرؤية الاجتماعية.

فهل نحن بإزاء صورة للمستقبل المشرق أم أننا ننوء بصورة الماضي المظلم، إن هذا السؤال ربما وجد جوابا في قول بطلة «هي وهُمَا» : «مكتوب على مثيلاتي أن يعشن القحط واللا استقرار حقوقنا الطبيعية في العيش العاطفي الكريم هربت منا يوم دخل الوعي الشديد إلى عقولنا» (ص 84). أن يصبح الوعي لعنة فهذا يعني أن الجهل نعمة.

وبهذا نصل إلى مفهوم الكتابة ودورها التغييري، ونحن لا نهتم بالتناقض الذي يشف عنه تردد الكاتبة بين رفض التمييز بين أدب نسائي وأدب رجالي» (ص 32) ودعوتها إلى تشجيع الأدب النسائي : «لقد عملنا باخلاص على تشجيع القلم النسائي لإيماننا بأهميته وضرورته في مسيرة البلاد» (ص 37)، وإنما نهتم بدور المرأة المثقفة كما تراه فاطمة سليم فهي تقول : «الفعل عند المثقفة الأديبة هو أن تكتب ما ينفع الناس ويدفعهم إلى الامام» (ص 92) وتقول : «إنه قد حان الوقت لتعبّر المرأة العربية بكل قوة وانتشار عن مشاكلها بنفسها وتسهم في بناء المجتمع وتنويره بقلمها» (ص 37) وهذا مفهوم مناضل يعمل على تغيير الكون إلى الأجمل والأعدل والأسمى، فلا ضير أن نقرّ للكاتبة بأن القلم الذي جاء ذكره في صيغة الجمع عنوانا للكتاب معطوفا على النساء، هو السلاح الذي به تحقق هذه الأهداف، وهي تؤكد ذلك إذ تقول : «القلم ما زال سلاحنا.. نحارب به كل الأعداء.. وسنكتب.. ونكتب ونكتب» (ص 31).

والناظر في جلّ هذه النصوص يلاحظ أن فاطمة سليم وفت بوعدها واتخذت القلم سلاحا ولكنها وجهته إلى الرجل لأنها تحت ستار المساواة لا تريد أن تقرّ بحق الاختلاف. وإن قارىء هذه النصوص ليتساءل عن هذا القلم أكان أداة تحرير للمجتمع أم أداة للثأر من الرجل.

بين الواجـهة التي تـعلنها فـاطمـة سليم والخلفـية التي تقـبع وراء هذه النصوص فرق. ولكن لا بد لنا من أن نعترف بأن قوة فاطمة سليم تتمثل في تزويق الواجهة على نحـو ينسينا الخلفية فهي متـمكنة من فن القصّ تتمتع بلغـة ثرية وأسلوب رائق وهي ككل القصـاصين المـقتـدرين تحيط الـقراء بسحر لطيف وتمكر بهم مكرا جميلا هو من الأدب في جوهره.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

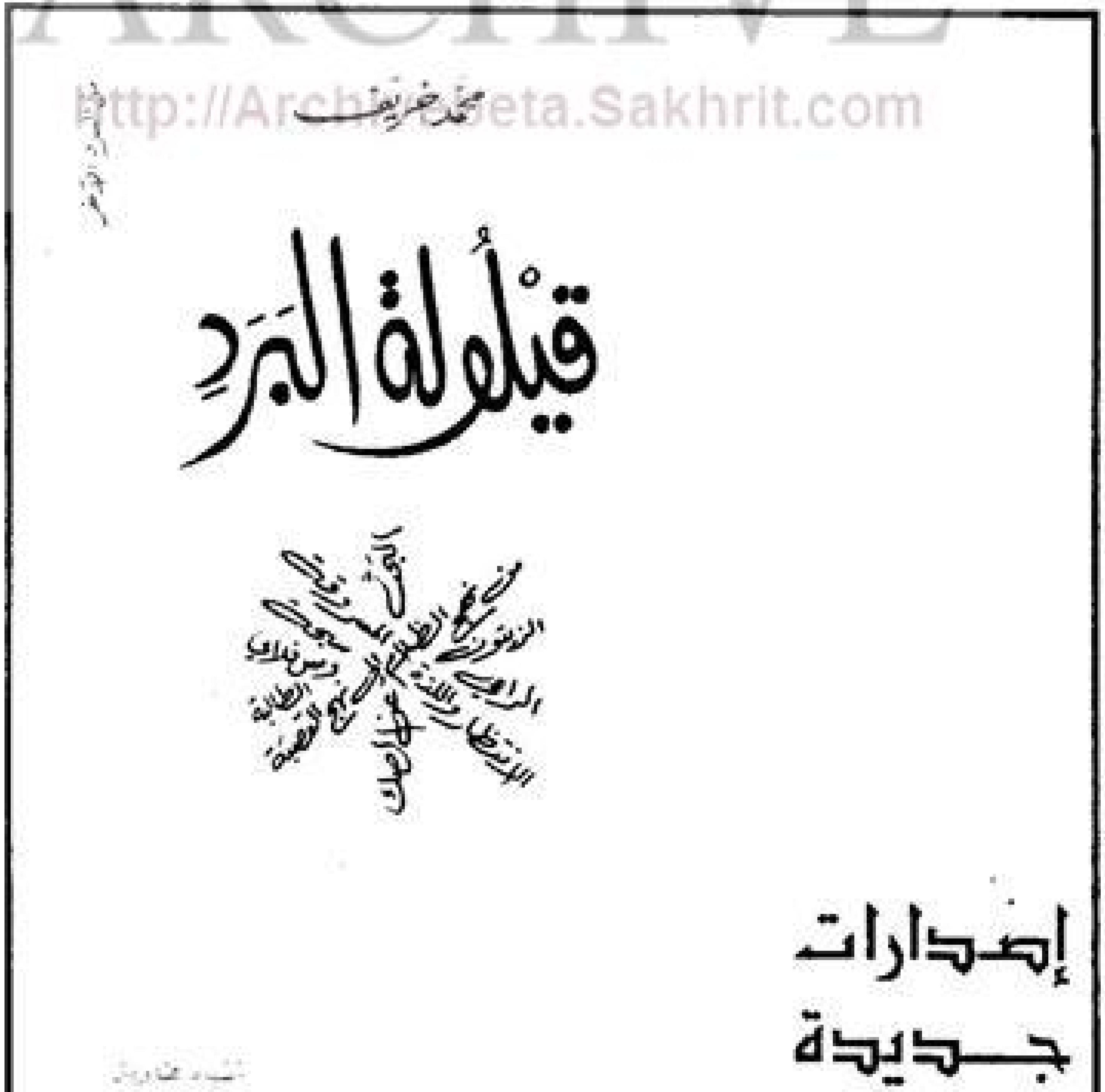

أنا والليل والمدينة

محمد علي الشايبي

ويجيء اللّيل
كما يأتي من ألف السّنين
يجيء من خلف الغموض
... والصمت الحزين
يجيء فكأنّما الكون يسير
في موكب الموت
... للقبر الدّفين
يأتي من خلال الأمس البعيد
في سكون ولا سكون
فتخبو في خشوع اللّيل
مصابيح المدينه
ويومض في داخلي شيء دفين
كلّ شيء في المدينه
يلفّه سكون
الناس في الشّوارع
مآذن الجوامع
مداخن المصانع
يغمرها اكتئاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقمر في عليائه
يطلّ من حجاب
ضياؤه شوّهه السحاب
أيتها المدينه
لا تتركيني أضيع في شباكك الكبيره
أتيه في عيونك الصّغيره
أحتار بين أشيائك الكثيره
فأنت لو علمت يا مدينتي
أميرة، أميره
وأنا برغم جدائلك المضفوره
والطيب المحبوس في أناملك الصّقيله
ما زلت أستعذب رقدة الحصيره
وأستطيب أميرتي كسرة الشعير
ورشفة الشاي عند الظهيره
وأخيرا يا مدينتي
أقول باختصار
طبيعتي لا تعشق الهذار
وعالمي في كلّ لحظة
يضيق باستمرار
وحالتي اليوميه
البحث عن قرار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة

سلام النايترون

صلاح زنكنة
العراق

شيء مريع، مريع ومرعب ومؤسف حقا ما قام به ذلك البروفسور المجنون ابراهام دافيد حين فجّر في 9/9/1999 إحدى وخمسين قنبلة نايترونية في الولايات المتحدة الامريكية. فأدت إلى إبادة الشعب الامريكي بآستثناء سبعة عشر ألفا وسبعمائة وسبعة وسبعين مواطنا نجوا بأعجوبة من الكارثة وفروا الى الغابات النائية، يأكلون من ثمار الأشجار ويشربون من مياه الجداول، معظمهم مجانين أو أنصاف مجانين أو على وشك الجنون وحسب التقارير الصحفية المدعومة بالصور التي آلتقطت لهم بواسطة الاقمار الصناعية أن لا فائدة ترجى منهم بعد الآن.

وقد آمتدت آثار هذه الانفجارات الى المكسيك حيث قضت على نصف الشعب المكسيكي بضمنهم ثلاثة عشر وزيرا بالاضافة الى الهيئات الدبلوماسية لسفارات كل من دول الموزمبيق وتركيا وبريطانيا ومصر والدولة المنكوبة أمريكا.

ومن الجدير بالذكر أن أعضاء هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام (كوفي عنان) قد راحوا ضحية هذه الفاجعة المؤلمة مما دفع الدول الكبرى الى تأسيس هيئة جديدة مقرها طوكيو في اليابان لتنتخب بالإجماع (الدكتور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هيو اشوان).

وجّه الدكتور هيو اشوان باعتباره أمينا عاما جديدا لعهد جديد في تاريخ البشرية نداءً شـاملا لجميع الشعوب الفـقيرة في أرجاء المعمـورة للتوجه نحو الولايات المـتحدة الامريكيـة الجديدة الخاليـة من البشر تمامـا سوى الأمـوات، على أن يدفن كل مهـاجـر مائة من المـوتى الامـريكان ليحـصل بالمقابل على وطن جديد به كافة الامتيـازات، وظيفة وشقة وسيارة وحياة رخيّـة، إذ أن النايترو اللعـين لم يمس معالم الحـضارة التكنولوجـية بأذى حيث بقي كل شيء على حاله.

مئـات الملايين بل آلاف الملايين من الناس من شـتى بقاع الارض بدأوا بالتدفق زرافات زرافات نحو أرض الأحلام نـحو دولة الفردوس، عبر الجو والبر والبحر بواسطة الطائرات والشاحنات والسفن والقاطرات، بالدراجات البخـارية والهوائية، على البغـال والحميـر ومشيا على الأقـدام حتى خلت بلدان كثيرة من سكانها مما أدى بالنتيجـة إلى تغيير كبير في خارطة العالم حيـث تمّ ضم ثلاثة وثلاثين دولة إلى تسع دول أخرى وانـبثاق سـبع دول جديدة.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد أن استقر الناس في دولة الفردوس تأسست جمـعيات عجيبة مثل جمعيـة المجرمين التائبـين وجمعية المتـسولين القدماء وجمعـية الرؤساء والوزراء السابقـين وجمعـية نزع السلاح والسـلام الدائم برئاسة المـمثلة والراقصـة الفاتنة سوزان هاردي وهي أنشط الجـمعيـات وأكثرها حـيوية وشعـبية ونفوذا اسـتطاعت خلال بضع سنوات إقناع عشـرات الحكومات والشعـوب بالتخلي عن أسلحتـها النووية والنايترونيـة والكيمائية، الثـقيل منها والخـفيف، الدفاع والهجـوم، المدمر والمـعمر وتم تسريح الجـيوش والعـساكـر في كل مكان وبتنا نرى الدبابات وقـد تحولت الى عـربات لنقل الأزبال وسبطانات المدافع والرّاجمات حُـوِّرت إلى انابيب إسالة المياه، أما الطائرات الحـربية فـبيـعت في المزادات للـهـواة الشبـاب وراحوا يـجرون

مسابقات في الجو، حتى ابن جارنا البقال اشترى (ميك 21) ليعاكس بنات الجيران ثم استبدلها بأخرى (سيخوي) واستقرّ أخيرا على الفانتوم.

حمدا لله لقد انتهت أزمنة الحروب وتخلصنا من ويلاتها ونسينا مفردات الحرب والهزيمة والنصر، والحرب الوحيدة التي نشبت بين الصين وروسيا كانت بالهراوات والركلات، والحرب الأهلية في ايران استخدمت فيها اللكمات والركلات. يا سلام.

يا سلام على النايتروجين، يا سلام على ابراهام دافيد وجنونه، يا سلام على هيواشوان وخططه، يا سلام على سوزان هاردي وسلامها، يا سلام على صلاح زنكنة وأكاذيبه الحميمة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتذار للأرض

ماذا نقول للوزَيـــافَـــا ؟
لبحيرة ظلّت ترقب موتها
لصبيّة ضاعت شرائط وقتها
لصهيل حيفا إذ يتعتها الرّحيل ؟
ماذا نقول لعشقنا الدّامي
لقصيدة المنفى
ليمامة حيْرَى
تبدّد حلمها في رُبى الجليل ؟
ماذا نقول لأمّـنـا
وغطاءُ قُلّتها رماه اللّيل في أعقاب غارَهْ
وأصيص نعنعها تشتّت في الزّمانْ
ماذا نقول لجدّة طال ابتهالها في شظايا الأقحوانْ ؟
ماذا نقول لجارة ملأتْ ولمْ تشربْ ؟
خبزتْ لطفلتها عَروسا من عجينْ
لكنّ زنبقةً نمتْ وسط الطّحينْ
فتخضّبت كفُّ الصبيّة بالأنينْ
ماذا نقول لعمرنا الغافي على سُرَرِ الحنينْ ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

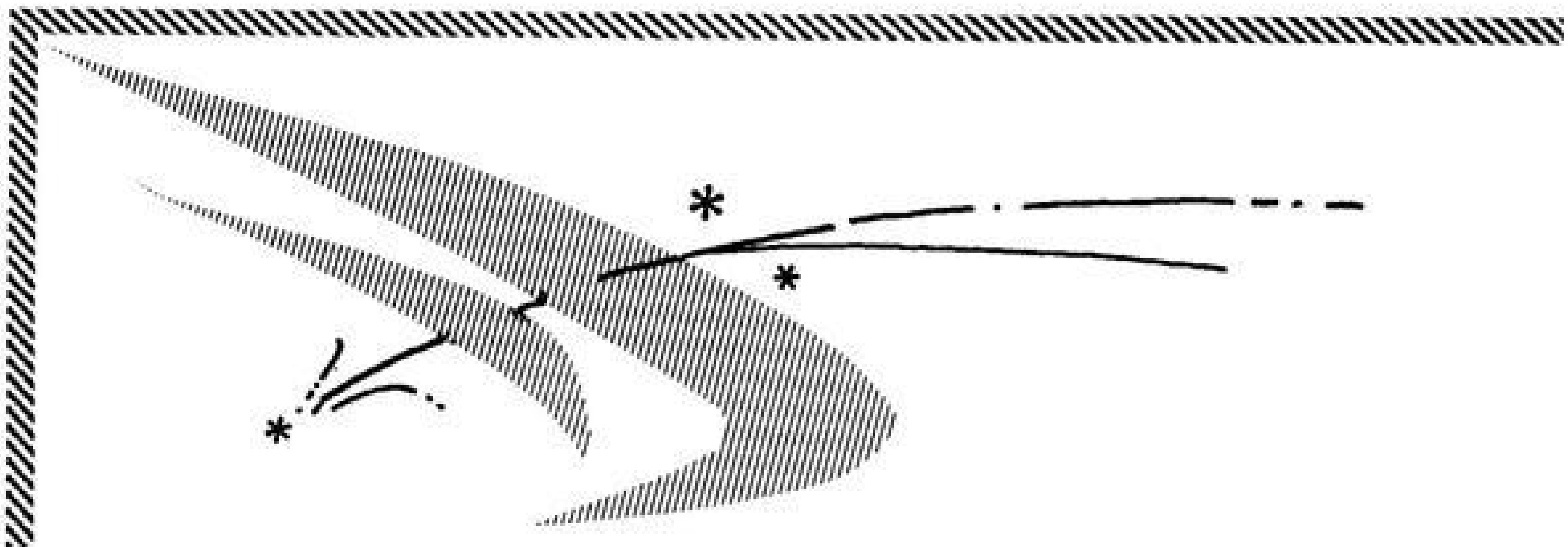

فوزية العلوي

ماذا نقول وقد وعدنا البُرتقال بأن نعيد أريجه
ونعيد للكرم المعرّش في الدّوالي ضجيجهُ
ونعيد للعشّاق أحلام المسا
ماذا نقول لقبّة التّبر المضرّج بالدّما ؟
أنقول كنّا نمازح موتنا
وبأنّنا كنّا نخاتل من زمان وقتنا ؟
أنقول خدعتنا أعمدة الصّحافهْ
وبنينا في وهم المساء حكاية لا بل خرافهْ
ورأينا في أحلامنا
أنّ الذي خلناهُ أفّـاكا أتـــى
بشراشف العُنّـابْ
ولطفلة الوادي المسندس بالسّحارْ
ولأمّنا بحزامها المفقود في بئر الضّبابْ
وشربنا ماء عيوننا
ظنّا بأنّ الغيث آتْ
وتوزّعت أعناقنا بين المواجع والسّباتْ
هل يصدُق الصبّار يا أمّي
وهل وجهي الّذي ضيّعت في كفيْكِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يأتيني إذا ما الفجر آبْ
هل تمتلي الأثداء بالأنواء
من بعد ما هطل العذابْ
هل أنّ مختار الحقول يعودنا هذا الرّبيع
ليقول إنّ اللّوز شفّاف اللّقاحْ
وبأنّ مشمشة الجنوب تفتّحتْ
عن نرجس
من بعد ما نزفت جراحْ
هل كاذب حلمي أنا
هل صادق حلم الكهانهْ ؟
هل تستعيد قوافل الصّيف التي عبرتْ
شكل المسافات المضيئهْ
كون النّخيل
عبق النّحور
سرج البراق إذا اشرأبَّ
صوت المهاة، إذا ما الحادي أضناه المسير ؟
هل صادق حلمي أنا
هل كاذبٌ حُلْمُ الكهانهْ ؟
هل صادق لون الزّياتين التي
نحبت بكفّك يا سميحُ ؟
شربت وفاءك كيف تكذب جملة
قالت وريدك واحتقان الدّمع في رموشك يا جريح ؟

* * *

كل النّخيل مسهّد في النّيل يا درويشُ
وصهيله الطّخرورُ(*) قد ملأ العراق وأرض كسرى

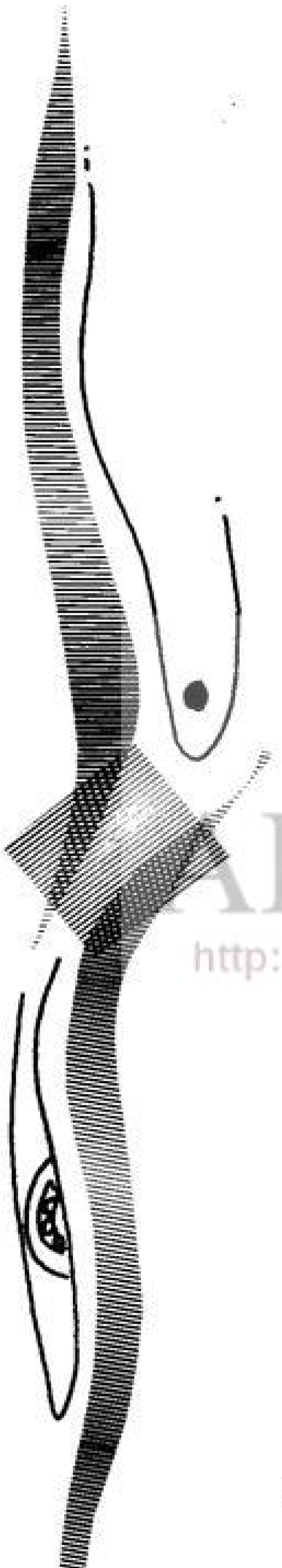

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

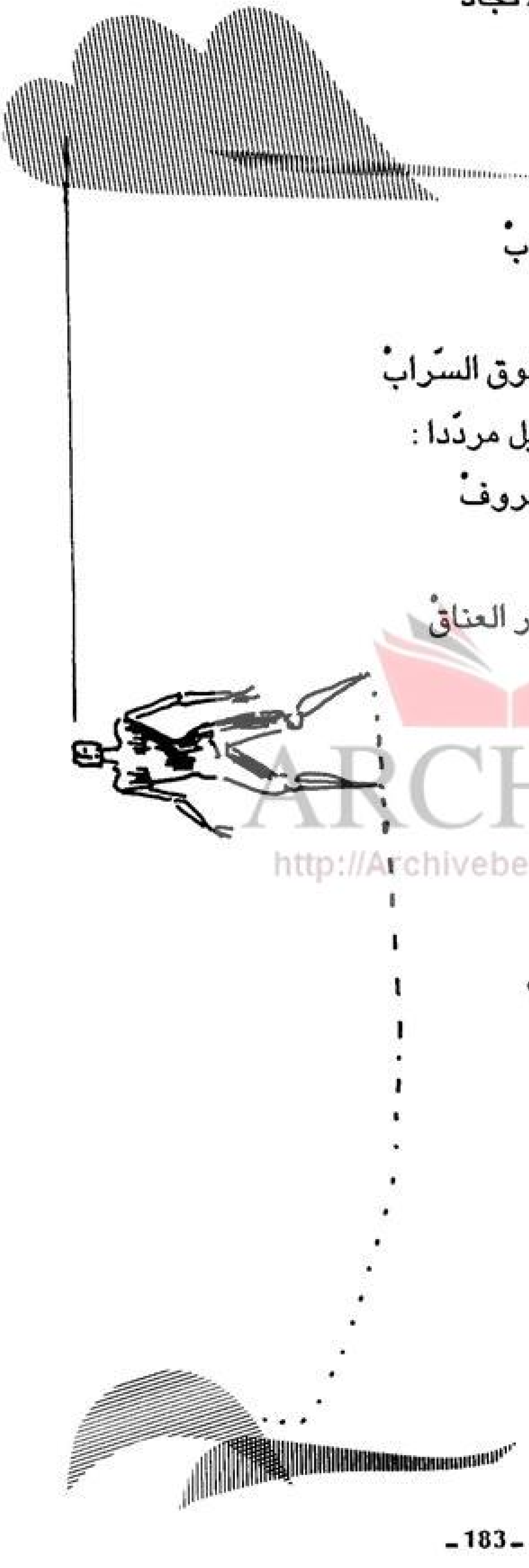

ورجال كافور أستباحوا التلَّ والأنجادَ
ثمّ فلوها رمال مصرا
من أيّ سالكة تراه فرّا
كلّ القوافل أوقفوها ليسألوها
هل مرّ ذاك الطيّب من ذاك السّحابْ
إنّا رأينا البرق من شرق يلبّي
ورأينا أفواف الحرير الزّرق من فوق السّرابْ
وسمعنا ماء النّيل في عمق الأصيل مردّدا :
يا خير من طرز الحروف على الحروفْ
يا تبر بادية العراقْ
يا سيف محنتنا المغروس في نحر العناقْ
أما آن الأوان لكي تعودْ
تعب الوريد من الوجيبْ
تعب الشّغاف من اللّهيبْ
تعب الحبيب من الفراقْ

* * *

أعرائس الخلجان في نهر الزّمانِ ؟
ألا استفيقي وهيئّي
لقصيدة الكوفيّ أجراس البراقْ
إنّا سنسري وحدنا
لا شيء فوق جنوبنا إلاّ هوانا
لا شيء وسط عيوننا إلاّ لظانا
لا تجزعي
إنّ هبوب الرّيح من وحي خطانا
وجسومنا ذابت جوىً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhr.com

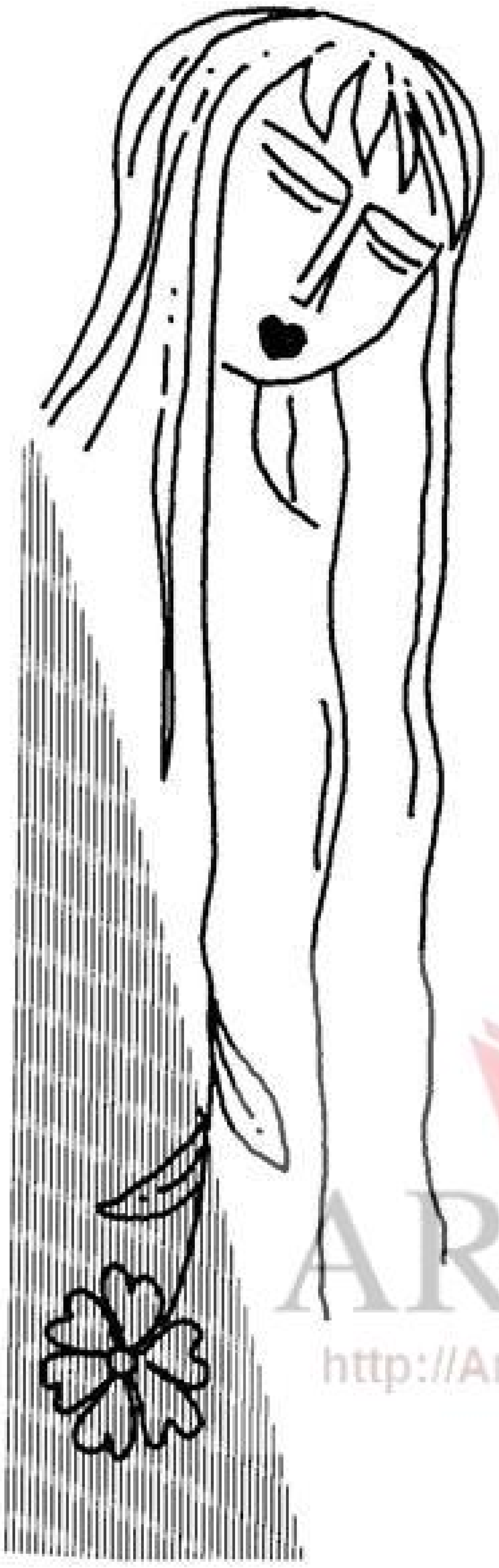

حتّى غدونا الخيزرانا

* * *

حتمًا سيفجئنا الأذان بسُرَّمَرَّا

يا منْ حلمت بسُرمرًا ولم تزرها

حتمًا سننفق حبّنا بالرّافدين

وسنشتري للبنتِ أشرطة جديدهْ

حتما سيسبيني البَكاء وانحني

لأضمَخ القلب العليل

بمهجّة الشّيخ الجليل واكتوي

بدموع حلاّج جديد

حتمًا سآخذ من لهيب النّخل ما يذكي الفتيل

يا طائر الأحزان عرِّش ها هنا

لا يفزعنّك البرد واللّيل الطويل

وكري ووكرك يا رفيقي بلادنا

مهما كوانا الثّلج واليأس الثقيل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(*) يقال إنّه إسم جواد المتنبّي

أصداء

و

متابعات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

برقية شكر إلى سيادة الرئيس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توصيات ندوة أدب الطفل والناشئة

توصيات ندوة الأدب التونسي في البرامج المدرسية

جائزة لريم العيساوي

برقية شكر
إلـــى
سيادة رئيس الجمهورية

وجه المشاركون في الأيام الشعرية التي نظمها اتحاد الكتاب التونسيين من 10 إلى 13 ديسمبر 1998 برقية شكر إلى سيادة الرئيس زين العابدين بن علي فيما يلي نصها :

إن المشاركين في الأيام الشعرية الثالثة التي نظمها اتحاد الكتاب التونسيين من 10 إلى 13 ديسمبر 1998 حول «إشكاليات نقد الشعر التونسي» يرفعون إلى سيادتكم أسمى عبارات الشكر والامتنان لما لقيه اتحاد الكتاب التونسيين من لدن سيادتكم من تشجيع وعناية موصولة ومن دعم كبير للثقافة والمثقفين في تونس العهد الجديد.

وإذ يشكرون لكم يا سيادة الرئيس عنايتكم الفائقة بالإبداع وأهله ومبادرتكم الرائدة من أجل إرساء المجتمع المدني، يجددون لكم آيات الولاء والعرفان ويعدونكم بمزيد العمل والبذل لمساندة المشروع الحضاري المتكامل الذي وضعتم اسسه منذ تغيير السابع من نوفمبر المبارك.

دمتم خير سند للثقافة.

عن المشاركين في الأيام
رئيس اتحاد الكتاب التونسيين
الميداني بن صالح

توصيات

ندوة أدب الطفل

والناشئة

في تونس

انعقدت يومي 10 و11 اكتوبر 1998 ندوة - أدب الطفل والناشئة في تونس - التي نظمها اتحاد الكتاب التونسيين بمقره بدعم من وزارة الشباب والطفولة وبحضور ممثلين عن وزارات التربية والثقافة والشباب والطفولة وجمع من الأدباء والباحثين ورجال الإعلام وقد احتوى برنامج الندوة على ست مداخلات انعطفت على أدب الطفولة في تونس بالنظر والتحقيق وأثارت جملة من القضايا تتصل بثقافة الطفل الحديث وبالوسائل الجديدة في المعرفة والاتصال.

وقد شفعت هذه المداخلات بنقاش جاد أثراها وأضاف اليها أبعادا فكرية وثقافية وتربوية عديدة. وفي ختام أعمال هذه الندوة بلور المساهمون جملة من التوصيات التي من شأنها أن تدعم ثقافة الطفل في تونس وتسند الحركة الإبداعية الطفلية فيها وأهم هذه التوصيات :

1/ - دعم كتاب الطفل في مكتباتنا المدرسية بحيث يتعدد عنوان كل

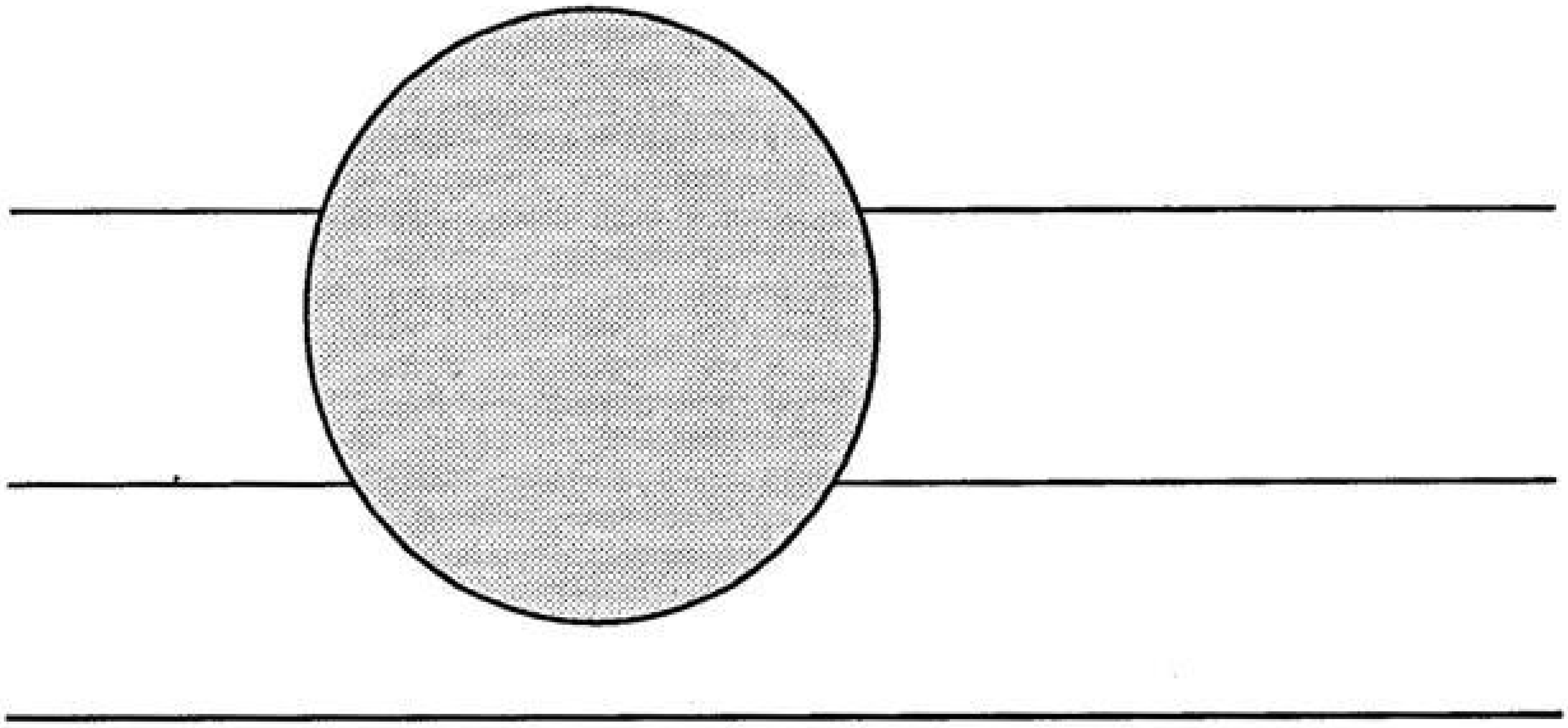

كتاب لتسهيل تداوله وقراءته.

2/ ـ تكوين لجان لترشيد الكتاب الموجه للطفل وتأهيله تضم الأطراف المهتمة بكتاب الطفل وترويجه (وزارة الشباب والطفولة ـ وزارة الثقافة ـ وزارة التربية).

3/ ـ العناية بكتاب الطفل لغة وأسلوبا ومحتوى وطباعة وإخراجا.

4/ ـ إيلاء توزيع كتاب الطفل العناية التي يستحقها بحيث يصل هذا الكتاب إلى كل الأطفال التونسيين خاصة في الأرياف والقرى والجهات النائية.

5/ ـ تدعيم التجارب الجديدة في ميدان كتاب الطفل (الكتاب الصورة ـ الكتاب الصوت ـ الكتاب الإلكتروني) وتدعيم ورشات الكتابة للطفل كتجربة «الطفل يكتب للطفل».

6/ ـ تكوين لجنة عليا تضم المختصين في ثقافة الطفل من علماء النفس والتربية وكتاب وشعراء وموسيقيين ورسّامين وناشرين وسينمائيين ومسرحيين يكون من مهامها النظر في المواد الثقافية والتربوية والأدبية الموجهة للطفل.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

7/ ـ يوصي المشاركون في الندوة بمزيد توجيه ومراقبة المنتوج الثقافي الوارد علينا من خارج حدودنا (أشرطة سينمائية للطفل ـ الصور المتحركة ـ الأشرطة السمعية البصرية المتداولة ـ الألعاب الحسّ حركية وغيرها) لحماية أطفالنا من مخاطر الغزو الثقافي.

8/ ـ يبارك المشاركون تجربة بعث مراكز الإعلامية الموجهة للطفل التي أحدثت بقرار رئاسي ويتمنون تعميمها بكامل جهات البلاد.

9/ ـ الحث على دورية هذه الندوة في المستقبل بمزيد مشاركة الأطراف المعنية.

10/ ـ تكريم الشخصيات الأدبية التي اهتمت وتهتم بالكتابة الموجهة للطفل والناشئة في بلادنا وذلك نشدانا لتحفيزهم على مزيد الخلق والإبداع.

11/ ـ دعوة وسائل الإعلام المختلفة إلى مزيد التثبت والبحث في بث ونشر كل ما يتعلق بالطفل لتكون مادته منسجمة مع توجهاتنا الحضارية ولا تتناقض ونوازع الطفولة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

12/ ـ دعوة الجهات المختصة وأصحاب المؤسسات الاقتصادية إلى المساهمة في إنتاج أشرطة ومسلسلات للأطفال تستند إلى موروثنا الثقافي الوطني والعربي والقيم الانسانية.

عن المشاركين في الندوة
رئيس اتحاد الكتاب التونسيين
الميداني بن صالح

سيدتي ..
للشاعر مهرة الحزن
وللقصيدة آياتها الوثنية..
ولك فواتير الماء
وقط يعالج خبزه العادي من
دفء الضوء
في شوارع الكدح السفلية .. !

المختار الاحولي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توصيات
ندوة الأدب التونسي
في
البرامج المدرسية

نظم اتحاد الكتاب التونسيين بالتعاون مع المندوبية الجهوية للثقافة بقفصة وبدعم من وزارة التربية ندوة حول الأدب التونسي في البرامج المدرسية أيام 23، 24، 25 اكتوبر 1998 بدار الثقافة ابن منظور بقفصة وقد شارك في أعمال هذه الندوة عدد من الباحثين من جامعيين ومتفقدين وأساتذة ومعلمين وواكبها عدد من المهتمين بشؤون الأدب والتربية وقد تطرقت البحوث المقدمة في هذه الندوة الى جملة من المسائل تتصل بمنزلة الأدب التونسي في الكتب المدرسية في التعليم الأساسي والثانوي ونوعية القيم التي تأسست عليها البرامج وقد تلاها نقاش أثيرت فيه قضايا متنوعة منها الخلفية الفكرية والحضارية التي انبنى عليها الاصلاح التربوي والقيم التي تطمح البرامج الرسمية الى ترسيخها في الناشئة ومسألة الهوية التونسية ووضع الكتاب والقراءة عامة في إطار طغيان الوسائل السمعية البصرية في عالم اليوم وقد أفضى النقاش إلى التوصيات التالية :

1 ـ الدعوة إلى أن يكون الأدب التونسي حاضرا في البرامج والكتب المدرسية بما يتماشى وتطور هذا الادب وجودته ومدى استجابته للقيم التي ينهض عليها الإصلاح التربوي

2 ـ تعهد قائمات المطالعة بالمراجعة الدورية وإثراؤها بما يصدر في تونس من نصوص تتوفر فيها مقومات الجودة إبداعيا وفكريا.

3 ـ تحرير التأليف المدرسي بما يسمح بمواكبة ما يجد من نصوص ابداعية وفكرية مما يفسح المجال للمنافسة والاجتهاد والتجديد ويضمن تحسين الكتاب المدرسي شكلا ومضمونا.

4 ـ إن اتحاد الكتاب التونسيين على استعداد للتعاون مع وزارة التربية لتعزيز مكانة الأدب التونسي في البرامج والكتب المدرسية وقائمات المطالعة لمواكبته الصادرات الجديدة إبداعا وفكرا وثقافة وذلك خدمة للأدب التونسي وتحقيقا لأهداف الاصلاح التربوي في بلادنا.

وفي هذا السياق يقترح اتحاد الكتاب التونسيين على وزارة التربية أن تنشىء بنكا للكتاب التونسي يضمّ كلّ الصادرات التونسية ويزوّد باستمرار بما يجد في هذا المجال.

اتحاد الكتاب التونسيين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب جديد للعيّادي شابير

إنّ دراسة الدكتور العيّادي شابير خليقة بالاهتمام فهي من بين أوائل الدّراسات النقدية التطبيقية التي جمعت بين الألسنيّة والرياضيات وعلم الإحصاء كأدوات فاعلة لفهم واستقصاء مقامات بديع الزّمان الهمذاني كنصّ أدبيّ قديم هو نثر مشجع وموقّع تتخلّله أبيات شعرية.

طرحت هذه الدراسة الهائلة (1268 صفحة) التي هي في الأصل رسالة دكتوراه تمّ طبعها أخيرا بفرنسا في ثلاثة أجزاء، اشكاليّة قائمة ألا وهي جدوى البحث اللّساني الكمّي في إثراء المعجميّة العربيّة كمنهج قائم الذات، واهتمت خصوصا بالبعد اللّغوي اعتمادا على ثراء النص / المقامات الذي يختلف من كاتب إلى آخر كما قامت بجرد واسع وكامل لكل الأنماط والتطبيقات والبنى والجذور التي قامت عليها المقامات.

إنّ حصر عالم متغيّر، متحرّك، معقّد ووعر المسالك كالمقامات هو المخاطرة الحادّة والمبدعة لحصر العمل الابداعي والاستمتاع بلحظاته المشرقة والذكيّة وهذا ما تصدى له الباحث الدكتور العيّادي شابير في عمله الضخم فاتحا الطريق لغيره حتى يواصلوا إثراء نصوصنا واغنائها بعيدا عن التقليد والتكلّف.

الدكتور العيادي شابير باحث وأستاذ محاضر بمعهد اللّغات والحضارات الشرقيّة بباريس نشر العديد من المقالات العلميّة في المجلات الفرنسيّة المتخصّصة في الألسنيّة العدديّة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جائزة

لريم

العيساوي

فازت الكاتبة التونسية ريم العيساوي بالمرتبة الثانية في مسابقة الدراسات الأدبية الخاصة بابداعات المرأة والتي تنظمها أندية الفتيات في الشارقة وقد حجبت الجائزة الأولى لمسابقة الدراسات.

أما عدد الفائزات فقد بلغ إحدى عشرة كاتبة عربية من مختلف أقطار الوطن العربي.

وكان عنوان دراسة الكاتبة التونسية الفائزة بالجائزة «سيرة الشاعرة فدوى طوقان».

قالت ريم العيساوي في تصريح صحفي لجريدة «الخليج» تعليقا عن فوزها:

«الجائزة شحذت همتي نحو العطاء الأفضل، وعضدت عزيمتي على المثابرة والدأب ومنحتني سندا قويا للسير في دروب الإبداع الصعبة».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ثيابي رائحة امرأة
غسلت الثوب مرات
ثم مرات
وبذلك لم تبقى إلا
رائحة
إمرأة ... !
الحبيب الهمامي

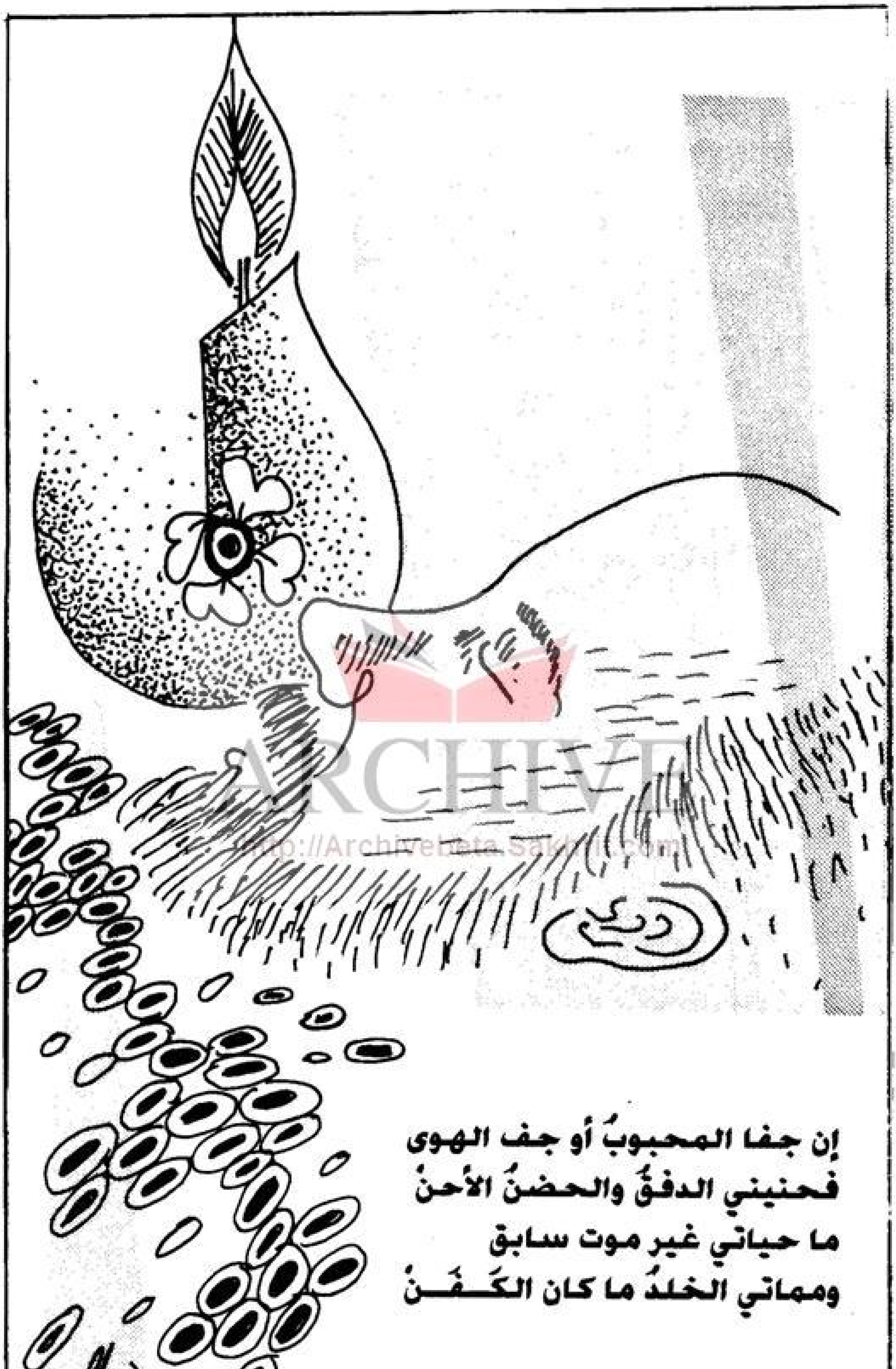

إن جفا المحبوبُ أو جف الهوى
فحنيني الدفقُ والحضنُ الأحنُ
ما حياتي غيرُ موت سابق
ومماتي الخلدُ ما كان الكَـفَـنُ

علاله الحواشي